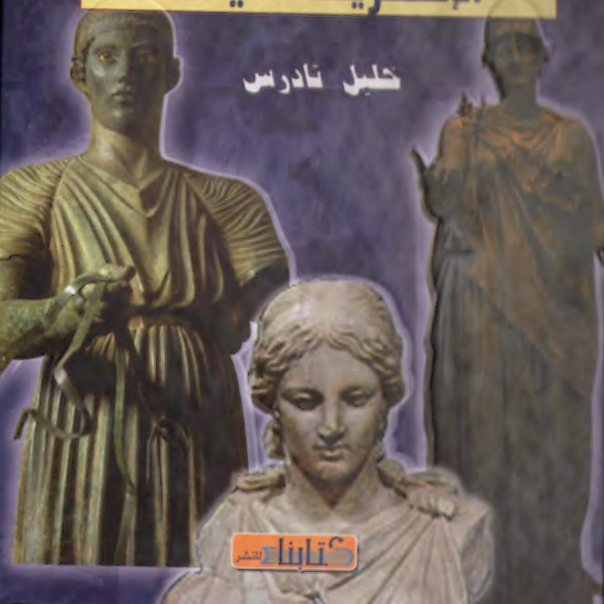


أحلى الأساطير

الإغريقية

خليل تادرس



كتابنا للنشر

أحلى
الأساطير الإغريقية

كتابنا للنشر

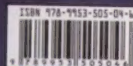
أحلى
الأساطير
الإغريقية



إن الأساطير في ما تتضمنه من حوارق من خلق الخيال، تقاربت الشعر بسحرها وجمالها فكما الشعر يرفع الإنسان إلى عوالم يتطأ إلىها ولا يستطيع إليها تحقيقاً، هكذا الأسطورة هي تصوير لهذا العالم الذي عجز الإنسان عن تفسيره فعزاه إلى قوى خارقة سماها «الآلهة» فجعلها تصرف بعزل عن قوانين الطبيعة والعامل البشري. إضافة إلى ذلك إن الأسطورة عند شعب معين صورة صادقة تعكس عقلية هذا الشعب وتفكيره ومعتقداته كما أنها تجمع للفصائل والقيم الإنسانية العليا ففيها الوفاء والحب والإخلاص. وفيها الصداقة والعطاء. وفيها البذل والتضحية...

لذلك ندعوكم إلى رحلة طويلة في الأساطير اليونانية. نعرفون خلالها إلى عوالم قد تنوِّقون إلى العيش فيها إزاء الواقع المروري الذي يعيشه الإنسان.

الناشر



كتابنا للنشر

أحلى الأساطير الإغريقية

إعداد
خليل ح. تادرس

كتابنا للنشر



ولادة المفضل - زيوس.

همنة حب

ما أجمل... وما أمتع... وما ألد أن يعيش الإنسان هائماً... محلقاً
في أجواء الخيال.. يرى.. يسمع أو يعيش في قصة شيقه بعيدة عن
الحقيقة والواقع وقد تتجاوز الخيال في أحداثها ووقائعها.

وهذه القصة... أو الأقاصيص هي أساطير تجبس الانفاس
أساطير شيقه... مثيرة... ممتعة.

وما أمتع الأساطير!..

خاصة الأساطير الإغريقية

إنها مبعث للخيال الوفير والالهام النصير.

وهذه المجموعة التي بين يديك الآن من أساطير اليونان، هي باقة من
الزهور والورود قطفتها لك من بستان الكون ومن فوق قمم جبال
الالمبيوس حيث يتربع كبير الآلهة زيوس على عرشه الضخم المطعم
بالزبرجد والياقوت والمرجان وسائر الأحجار الكريمة. إنها مجموعة من
بستان الأدب العبق تنقلك إلى دنيا الحب والعشق والغرام، تنقلك إلى عالم
الخيال والأحلام... وإلى اللقاء.

خليل ح. تادرس



جميع الحقوق محفوظة
لدار كتابنا للنشر

كتابنا للنشر

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب
أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات
أو نقله أو استنساخه بأي شكل من الأشكال
دون إذن خطي مسبق من الناشر

الآراء الواردة في هذا الكتاب
لا تعبر بالضرورة عن اتجاهات بيتنا للدار

ISBN 978-9953-505-04-6

لبنان، المتصورة (المتن)

ص.ب.: 269 - المتصورة (المتن)

هاتف/فاكس: 00961/4/532255 - جوال: 00961/3/629918

E-mail: kitabouna@yahoo.com

نشأة الأسطورة الاغريقية

يرجع الفضل في نشأة أو ظهور الأساطير الاغريقية إلى الشاعر الضريع - هوميروس - الذي عاش في فترة اختلف المؤرخون في تحديدها فتأرجحت بين عامي 1200 وعام 850 قبل الميلاد. وكما اختلفوا في تحديد السنة التي عاش فيها هوميروس، كذلك اختلفوا بشأن تحديد موطنه، فيقول البعض إنه من بلاد آسيا الصغرى، ويقول البعض الآخر إنه من جزر بحر إيجه. وقد بلغ من تنافس مختلف المدن والجزر على الاستئثار بفخر إنجاب هوميروس أن سبعا منها تنازعت فيما بينها هذا الشرف.

وبالرغم أن اسم هوميروس بات من أشهر الأسماء في تاريخ الآداب العالمية قاطبة، فإن العالم لا يكاد يعرف عنه حتى اليوم سوى النزر اليسير... لا يعرف سوى أنه رجل شحاذ ضريع كبير السن كان يتجول من بلد إلى بلد منشدا أشعاره التي بلغت الآلاف من الأبيات الموزونة الجميلة.

وتعد ملاحم هوميروس هذه أقدم وأجمل وأغرب ما في الأدب الاغريقي الذي ظل خالدا منذ ثلاثة آلاف سنة حتى اليوم.



قالوا في الأساطير

كان المنشدون حين يتغنون بها يهتزون نشوة، وتجيش نفوسهم طرباً، بمجرد سماعهم صدى موسيقى الأبيات التي يرددونها.

[اللاتون]

أي ملك الملوك. خير المباركين بركة. وأبلغ قوى الكمال كمالات...
أي زيوس يا واهب الغبطة.

[الهولوس؛ الضارعات]

لا يمكن فهم الفن الاغريقي إلا من خلال الاسطورة والتراجيديا الاغريقية، فالاسطورة تجسيد للدوافع التشكيلية الكامنة في جميع افراد الشعب.

[ريتشارد فاجنر]

لا أقرأ الآن سوى هوميروس. وقد انتويت ألا أقرأ في العامين القادمين لأدباء معاصرين. لأن أحدا منهم لن يفيدني، وهم يعدوني عن ذاتي على حين يمنحني القدماء متعة حق.

[شيلر]

كل ما في اليونان من جبال وأنهار وبحار وأودية إنسي يشافه الانسان بلغته، لا يسومه العذاب ولا يرهقه بل يؤاخي ويناديه، فتستحيل صرخة الهمجية المضطربة شفاقة حين تغمرها اليونان بضوئها، فتحول إنسية ثم فكرا.

[نيكوس كاينتزانس، تقرير إلى جريكوا]

إلا ما أسمى الانسان بين المخلوقات حين تتكامل له إنسانيته.

[ميناندر]

لم يخترع الشعراء موضوعات ملاحمهم، بل شكلوها من الحقائق القائمة.

[الكانتاتيس]

يعتبر هيربرت سبنسر من أكبر مؤيدي المدرسة الأنثروبولوجية إذ يحاول أن يلقى مزيداً من الضوء فيقول إن الاساطير الطبيعية هي نوع من عبادة الاسلاف نشأت نتيجة لما تسميه سوء الفهم. ويضرب مثلين لذلك.

هناك بعض القبائل التي تسمى أفرادها أسماء مأخوذة من الطبيعة مثل فجر وشمس وقمر ونور الخ... فلو أن هناك أسطورة تتناول قبيلة من تلك القبائل، فإن أفراد القبيلة بمرور الزمن - سوف يخلطون بين الشخص الحقيقي والظاهرة الطبيعية، وبذلك تكتسب الظاهرة الطبيعية روحاً وتصبح شخصاً، كالقمر أو الشمس. مثلاً هناك بعض الأفراد يهاجرون إلى قبائل مجاورة فيقال عن أحدهم أنه جاء من عند الشمس الحارقة أو من ضفة النهر السريع الجريان، وبمرور الزمن يعتقد أحفاد الشخص الأول أن جددهم قد انحدر من النهر، وأحفاد الشخص الثاني أن جددهم قد انحدر من النهر. ومع مرور الزمن أيضاً يكتسب كل من الشمس والنهر - في نظر القبيلة - روحاً وتصبح شخصاً.

أما عن الاساطير التي تتناول الحيوانات، فإن هيربرت سبنسر لا يعجز أيضاً عن تفسير لاصلها متبعاً نفس المنهج. هناك قبائل تُسمى أفرادها أسماء حيوانات مثل فهد. نمر. اسد... الخ وبمرور الزمن ينسى أفراد القبيلة الحقيقية أو يسيئون فهمها فيعتقد الأحفاد أن جددهم الأكبر كان فهداً أو نمراً... أو اسداً... الخ.

ويقدم لنا توماس بوليفنش في كتابه «ميثولوجية اليونان وروما» أربع نظريات في أصل الاسطورة لخصها فيما يلي.

الاولى دينية، تقرر أن حكايات الاساطير كلها مأخوذة من الكتاب المقدس مع الاعتراف بأنها غيرت أو حرفت. ومن ثم كان هرقل اسماً آخر لشمشون المارد ديوكاليون ابن بروجيشيوم الذي انقذ زيوس مع زوجته من الفرق فوق أحد الجبال هو نوح، وهكذا.

والثانية تاريخية، تذهب إلى أن أعلام الاساطير عاشوا فعلاً وحققوا سلسلة من الاعمال العظيمة، ومع مرور الايام اضاف اليهم خيال الشعراء ما وضعهم في ذلك الاطار العجيب الذي يتحركون فيه.

والثالثة رمزية، وتقوم على أن كل أساطير القدماء لم تخرج عن أن تكون في شتى أشكالها الدينية والاخلاقية والفلسفية والتاريخية مجرد مجازات فهمت على غير وجهها أو فُهمت حرفياً. من ذلك ما يقال عن - ساترون - يلثمهم أولاده، فقد أخذه الاغريق، وإذا كرونوسا أي الزمن يأكل أي شيء يوجد.

والرابعة طبيعية، وبمقتضاها تشخص عناصر الكون من هواء ونار وماء وتراب، أو تتحول إلى كائنات حية، أو تختفي وراء مخلوقات خاصة. وعلى هذا النحو وجد إزاء ظاهرة طبيعية - ابتداء من الشمس والبحر حتى أصغر مجرى ماء - كائن روحي معين.

ومن المؤكد أننا لا نستطيع أن نرفض هذه النظريات الأربع كذلك لا نقبلها فكلها صحيح من وجهة النظر التي تمثلها، أو في كل منها ما يشدنا إليه، ومع ذلك نقرر حقيقة أن الاسطورة عادة هي ثمرة جهود الانسان في فهم طبيعة الكون وفي تسمية ظواهره وتحديد أماكنه.



الخبانة والوفاء في الأسطورة الاغريقية

الآلهة في الأسطورة الاغريقية كالشر تماماً . . . تجري في عروقهم دماء الشهوة، تحركهم الرغبة . وتملكهم المشاعر والانفعالات الدنيوية . ونجد الخيانة الزوجية . . أو الوفاء للزوج الغائب .

هذه هيلين في الالياذة

وأيضاً بنيلوب في الأوديسا

المرأة الاولى ذات جمال يفوق الخيال كانت سببا في الحرب الطروادية التي استمرت عشر سنوات وقد قضت على الحرث والنسل فمات الآلاف من الرجال والاطفال والشيوخ .

هيلين التي خانت زوجها الملك مينلاوس مع الضيف باريس الذي رحل معها إلى طرواده .

أنها امرأة خاتنة . ساقطة .

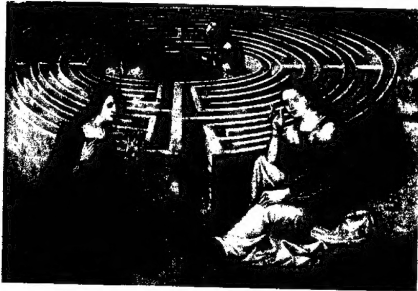
أما الثانية - بنيلوب وزوجها أوديسيوس - فقد عانت طويلا بسبب غياب زوجها أوديسيوس، وقد حاول الخطاب الطامعون ابتلاع ممتلكات زوجها ومملكته بل وابتلاعها هي أيضاً . ولكنها ظلت وفيه مخلصة طوال عشر سنوات إلى أن عاد إليها زوجها وراحا يعيشان من جديد حياة زوجية سعيدة بعد أن قضى على الامراء والاصدقاء الطامعين الذين كانوا يطمعون في زواجه .

لقد استطاع الشاعر الضريع - هوميروس - أن يقدم لنا هاتين الشخصيتين في ثوب رائع إذ بلغت به المهارة والابداع إلى حد أنه جعلنا نحس أيضاً

بتعاطف شديد مع هيلين ولا سيما عندما ترفض النوم مع باريس مخطفها ومغتصبها، ولكن أفروديتي ربة الحب والجمال والتناسل ترغمها على ذلك وتجعلها تبادل عواطفه الجياشة، وقد بكت هيلين أيضاً عندما مات هيكتور وأخيراً يعود إليها ضميرها بعدما تعود إلى زوجها مينلاوس بعد عشر سنوات وقد أدركت تماماً أنها كانت سببا في الكثير من الأذى والضرر وقد راحت تهتم بشؤون نساء مملكتها أكثر من اهتمامها بنفسها .

وهكذا

فإن شخصيات هوميروس في ملحمتي الالياذة والأوديسا يعكسون موقفهم وظروف معيشتهم ويقتربون منا بمشاعرهم الانسانية، وهم بذلك يبدون أكثر جاذبية وسحرا مما كانوا عليه في المؤلف الملحمي الذي ورثه هوميروس رغم أنه أنزلهم من عليائهم إلى الأرض، إلا أنه لم يقدحهم امتيازهم الخاص وعظمتهم الملموسة، فهم ليسوا أشرارا ولا ضعفاء ولا تافهين .



مصارعة المينوتور

رأي علماء النفس في الاسطورة

يرى علماء النفس أن الاسطورة تعبير عن ميول وقوى نفسية دائمة غير معترف بها. . أول من توصل إلى هذا التفسير هو سيجموند فرويد.

ولقد أشار فرويد إلى وجود أوجه شبه متعددة بين أساطير معروفة ورموز تظهر في الأحلام لتمثل دوافع غريزية قوية. لذا، أطلق على هذه الدوافع أسماء شخصيات أسطورية اغريقية.

بدأ فرويد بأقوى دافع غريزي في الانسان وهو عشق الابن لأمه وغيرته من أبيه فسماه «عقدة أوديب» إذ إن أوديب قتل والده وتزوج والدته، ثم انتقل إلى دافع مواز للدافع الأول وهو عشق الابنة لابنها وغيرتها من أمها فسماه «عقدة اليكثرا» إذ إن اليكثرا ساعدت شقيقتها في اغتيال أمها كلوتمنسترا انتقاما لوالدها الذي قتلته كلوتمنسترا، ثم انتقل إلى دافع ثالث وهو أن الغرور يملك المرء فيعجب بجماله ورشاقته ويعشق طلعتة البهية فيكون مصيره الموت مثل «نركسيس» وقد سمى هذا الدافع عقدة النرجسية نسبة إلى نرجس نركسيس.

ولقد وجدت تفسيرات فرويد النفسية قبولاً لدى مجموعة من الدارسين فواصلوا دراساتهم النفسية المتطرفة، فتناولوا العلاقة بين الاسطورة والشعيرة والرمزية النفسية، لكن أبرز أتباع فرويد هو العالم النفسي يونج. ومضمون رأي يونج هو أن الاساطير ترمز إلى الرغبات والانفعالات التي يشعر بها كل فرد من أفراد البشر على وجه الأرض والتي لا يعترف بها. فالفتاة تمني أن تكون على أكبر درجة من الجمال وأن تتزوج من شاب غني ميسور وجميل، وأنه سوف يعثر عليها بالرغم من إهمال أسرتهاب وعدادتها

بها .

لها وبالرغم من عدم وجود وفاق بينها وبين أسرتهاب أو الظروف المحيطة بها . هنا نتخيل الفتاة أنها قادرة على التخلص من متاعب تلك الرغبة قائلة : إن ذلك من الممكن أن يحدث فعلاً كما حدث لسندريلا . عندئذ تبدأ الفتاة في رواية قصة ساندريلا أو في قراءتها . وبالمثل فإن الفتى يريد أن لا ينافس أحد في حب والدته ويتمنى القضاء على منافسيه في حبها - ومن بينهم والده - لذا فإنه يشعر بالسعادة عندما يقرأ قصة أوديب ذلك الشاب المغامر الذي قتل رجلاً عجوزاً ثم اكتشف بعد ذلك أنه والده، وتزوج امرأة حسنة ثم اكتشف أنها والدته .

إن أوديب . . وسندريلا وهيلينا وأوديسوس، وهيراكليس وكل هؤلاء لبسوا شخصيات تاريخية بقدر ما هم صور لرغبات وانفعالات وآمال يشعر بها كل فرد من أفراد البشر على وجه الأرض .

إن الاساطير العظيمة . . بل حتى الرموز العظيمة مثل الزهرة التي يعترى الغموض شكلها، والأرقام الغامضة مثل رقم 3، 7، 13 دائماً وأبداً واردة عبر تاريخ البشر وآدابه في جميع أنحاء العالم . قد تبرز أحياناً كخرافات، أو كأسس لقصائد عظيمة، أو كنماذج عامة للفن أو للشعر .

يسمى يونج تلك الاساطير أو الرموز «التمافج الاصلية للشعور الجماعي» . وبسبب هذه الشمولية فإن الاساطير أو الروايات العظيمة - كما يعتقد يونج - لا يمكن بأية حال من الأحوال نسبتها إلى مؤلف معين، كما يمكن إعادة كتابتها مرة بعد أخرى دون أن تفقد قدرتها على التأثير أو رونقها وجمالها .

إن العمل الذي يقوم به كاتبو هذه الاساطير أو المستمعون إليها أو القارئون لها، على مدى الاجيال المتتالية، هو عمل جماعي حقاً . إنها تصور أعماق أفكار الجنس البشري وأحاسيسه . لذلك فإنها حسب المقاييس البشرية خالدة .

لمعة الفلق

بادئ ذي بدء كان العالم كتلة من أشياء مضطربة في غير نظام أو تنسيق.
وكانت ثمة وحدة جامعة بين النجوم واليابسة والبحار وما لبثت السماء
أن سمت فوق اليابسة التي طوقتها البحار.

وأخذ القضاء مكانه، وبسط الطير ذراعيه، وتلقت الأدغال وحش
الحيوان.

أما أنت أيتها الاسماك فقد أخذت الماء الدافق، ساعة كان البشر
يهيمون على وجوههم في أرض موحشة بأشكالهم الفظة وسلوكهم
الخشن.

ديارهم الأدغال، وقوتهم الأعشاب، وأوراق الشجر مضاجعهم. ما
أطول ما عاش الإنسان على غير ألفة مع غيره. إلى أن كان اللقاء بين الذكر
والأنثى، فانبعثت في الإنسان تلك المتعة الساحرة التي أيقظت مشاعره
الوحشية.

ترى ماذا كان عليهما أن يفعلا ذاك الوقت؟!

لقد علم كل منهما رقيقه دون معلم.

بالفطرة كشفت فينوس للإنسان عن قانون المتعة فغدا للطير أليف
بمشقه، وفي أعماق البحار تجد السمكة ذكرا يطنى غلة شهوتها، وتتبع
الليلة أيلها.

يضم الثعبان الأفعى، ويلتصق الكلب بالكلبة محموما بالشبق، وتسعد
النعجة حين يعتليها كبشها.

كما تهتز البقرة منتشية بثورها، وتحتمل العنزة نثن زوجها الكبش،

وتستثار الفرس سعارًا فتلاحق الجواد الفحل صوب المراعي النائية لا
تعوقها الأنهار. فلتهدأ بالاً، ولتطفئن وصاياي الناجعة ثورة أنثاك
الغضبي.

فهو يلسم الحق الثائر، وتفوق في قدرتها ما أوصى به الطبيب سن
عصارات، فما إن تأخذ بها حتى تعيدك إلى خطوتها مهما كانت خطاياك.

أوقييد



الحضارة الاغريقية والاسطورة

الحضارة الاغريقية حضارة الفلسفة والاساطير، فقد كانوا من خالقي الاساطير وأساتذة الفلسفة ومفكري الجمال وصانعي الحركة والحياة في الفن، كما أنهم كانوا يقدسون الإنسان ومواهبه وجماله حتى أنهم ابتكروا آلهة أساطيرهم بصورة إنسانية لها نفس المقومات والصفات والعيوب التي للإنسان، فكان الإنسان والجسم البشري هو موضوع الفن اليوناني الرئيسي.. في تماثيلهم ولوحاتهم ورسوم أواني الخزف وغيرها.

والمرأة في الفن اليوناني بالدرجة الأولى هي الحياة والوجود والرغبة العارمة مثلها مثل أساطيرهم، فنرى زيوس كبير آله الأولمب أحب ليدا - من فتيات البشر - الفتاة فيتحول إلى طائر البجع ليصل إليها. وفي مرة أخرى يتحول إلى ثور جميل تمتطيه «يوروبا» ليختطفها ويتزوجها، كما أن الآلهة جميعا تصارعت من أجل الوصول إلى قلب فينوس الجميلة، لكنها أحبت «مارس» وكانت له. وفي أسطورة أخرى تحكي قصة الملك «أيجوس» الذي عشق النساء وفتته إحدى الأميرات بحبها بمجرد أن رأى ذراعها الممررتين وهي تقدم له كوب ماء من خلف الباب. المرأة في الأسطورة كانت السحر والعشق الجامع، وفي الفن كذلك. لذا فقد كان الفن اليوناني عكس سابقه الفرعوني فهو لا يبغى الخلود بل المتعة... فتميزت تماثيله بالواقعية والاهتمام بالتشريح السليم للجسم ومفاته، كما خرج عن مبدأ السكون الحركي ليصبح أكثر طلاقة وليونة، وتزداد بشكل كبير ديناميكية حركة الجسم والأطراف ورشاقته. لأنه فن يبغى التحليق في سماء الأسطورة وأجواء الأرض معاً.

وقد عالج الفن اليوناني موضوعين رئيسيين هما: الأساطير والحياة

اليومية، وفي الموضوع الأول يجب أن نعرف معنى المناظر المصورة من الأسطورة التي تحكيها وعن الآلهة والأبطال بعكس مشاهد الحياة اليومية التي تصور عادات اليونان وألعابهم وحروبهم، لكن الغرض الأساسي للنحت يبقى دينيا مرتبطا بالأسطورة خاصة في عهدها الأولى.



الأسطورة

للفنان جناحان.. الحب والإبداع، بهما يخلق إلى عوالم مسحورة غير مطروقة، يخطو للزمن الآتي في طلاقة، يعود لأزمان غير معروفة، يجب أن أماكن لا يعرفها أحد، ويخيله الخصب يغوص إلى أعماق الأعماق في محاولة بحث دائمة عن شيء غير موجود. وفي المنطقة الوسطى ما بين العبقرية والجنون يترنح على شواطئ الإبداع المخملية وهو قادر على الترحال من أرض الواقع للتخليق هناك عالياً في سماء الخيال اللامتناهية.

وفي الأسطورة وجد الإنسان الأول ضالته المنشودة سعياً فكرياً وراء التفسيرات الطبيعية، ووجد فيها الفنان الشعبي متنفساً لطموحاته البطولية والأخلاقية، أما الفنان التشكيلي فقد وجدها أفقا لانهائياً لخلق عالمه الخاص الذي يحبه بعيداً عن أرض الواقع الصلبة، فقد خلق ما يحبه ولا يجده. وقد امتلأت الأساطير بنماذج نسائية مبهره تحمل ملامح أسطورية تحقق قدراً من الارتواء والرضا النفسي. فأساطير الآلهة الإغريقية لم يخلقها إلا البشر، فقد صور البشر آلهتهم كما هم يحبون ويتمنون، فوجد الفنانون ضالتهم في خلق ما يحبون ويشعرون من خلال الأسطورة، وخاصة في صورة المرأة أو الآلهات.

وأحياناً ما خلط الفنان في لوحته ما بين الواقع والأسطورة، فالمستشرقون في القرن التاسع عشر ربطوا ما بين رسمهم للحريم وجو الشرق بأسطورة شهرزاد في «ألف ليلة وليلة»، كما كان روبنز يرسم ملامح زوجته «هيلين» في لوحاته عن آلهات الفن والجمال.. كما نرى سلفادور دالي يكرر رسم وجه زوجته في لوحة العذراء والطفل، ثم وهي عارية بجوارها طائر البجع الأبيض، كأسطورة ليدا وطائر البجع - كما سيأتي

في
٢١

ذكرها فيما بعد - فالأسطورة أثرت بشكل كبير على الفن وخاصة فيما يخص علاقة الفنان بالمرأة من هذه الناحية. ومن ناحية أخرى - كما رأى بعض النقاد - إن الأسطورة تنطبق على حياة الفنانين أنفسهم، وقسموا الفنانين إلى ديونيزيين (نسبة إلى ديونيزوس إله الخمر) وأبولونييين (نسبة إلى أبولو إله القمر) وفقاً لأسلوبهم المتبع في معالجة موضوع الحب والجنس في أعمالهم وحياتهم.

والأسطورة تعني الحكاية الخيالية التي توجد عند الأمم في حالتها الأولى ومادتها أشخاص وحوادث فوق طاقة البشر، وتدور فكرتها حول ظواهر تاريخية أو طبيعية، وهي محاولة بدائية من الإنسان لفك طلاسم الكون والطبيعة بشكل خيالي، وهي تشابه إلى حد كبير بين الأمم، فقصّة «ديانا وأنديمون» اليونانية عرف مثلها الاستراليون والسنغاليون وبعض قبائل أفريقيا.

وهي تروي أن «ديانا» إلهة القمر كانت تسوق جياها الناصعة البياض عبر السماء فلمحت «أنديمون» الراعي الجميل نائماً على سفح الجبل، فأنجنت عليه وقلته. وظلت تفعل هذا كل ليلة في عشق وهيام به، حتى خافت أن تفقده فأغرقت في نعاس دائم وأخفته في كهف لا يعرفه إنسان. وأنديمون هنا كان رمزاً للشمس الغارية التي يتطلع إليها القمر كلما بدأ رحلته الليلية.. وهي أسطورة لا تختلف إلا في تفاصيل قليلة من شعب إلى آخر.

وتباين وجهات نظر الباحثين في تفسير الأسطورة فجعلها فلاسفة مدرسة الاسكندرية رمزاً للقوة النفسية والأخلاقية أو مظاهر الطبيعة كأسطورة إيزيس وأوزوريس.. إلا أن بعض الإساطير لا يمكن قبولها على هذا النحو.

والاتجاه الثاني يُرجع الأسطورة لأحداث تاريخية شبه حقيقة تحولت

إلى أساطير كما يتحول الأبطال الشعبيون في مخيلة الفنان القديم إلى آلهة مثل ملحمة «جلجامش السومرية» و«أبو زيد الهلالي».

أما الاتجاه الثالث فيرى الأساطير قد وضعت لتفسير الشعائر الدينية التي يتوارثها البدائيون ولا يفهمون معناها فتخلق الأسطورة كتفان عقلي تبريري.

وفي الأسطورة تكثر التحولات اللامنتظية من كائن إلى آخر.

فنرى «باخوس» إله الخمر في الأساطير الإغريقية أجز سفينه من قرصان «تيرينا» لنقله من مكان إلى آخر، لكنهم اتجهوا به اتجاهاً آخر بدلاً من أن يحملوه إلى غايته ليبعوه كرقيق.. فتار وتحول «باخوس» إلى «أمد» وحول الأشرعة والمجاديف إلى ثعابين وأنبت اللبلاب حول السفينة، وانطلقت الأصوات من كل جانب، فجن الملاحون ووثبوا إلى البحر وفيه مسخوا دلافين. نرى في هذه الأسطورة قدرات الآلهة غير الطبيعية على التحول والتحويل.

والأسطورة نقلت شفهاً فتمرضت بصفة عامة للتعديل والحذف والإضافة، إلا أن التدوين فيما بعد قد حفظها وساعد على ثباتها.

◀ خلق الإنسان وخلق المرأة..

صوّرت أساطير قديمة وكثيرة خلق الإنسان، لكن الأسطورة اليونانية، والتي سيطرت على عقل الفن في أوروبا في أوج ازدهار الأساطير وتصويرها هي التي توضح أن الإنسان صورة من الآلهة وله نفس قوتها.. فتحكي الأسطورة الحكاية الآتية:

بعدما نشأت معركة ضخمة بين «زيوس» كبير الآلهة - الذي قتل أباه للحصول على الحكم - وبين المردة «التيتان» من أجل الحكم في عالم الآلهة، انحاز بروميثوس وأخوه الأصغر إيميثوس إلى جانب سيد الأولمب زيوس بالرغم من انحياز أبيه إلى جانب أعدائه.. وقد سر زيوس لذلك سرورا عظيماً، واختارهما لخلق كائنات حية تعمر وجه الأرض فخلقا

نجد
في

بدائع الطير والحيوان والدواب، ولكل صفة تميزه وجمال خاص به. ثم أراد بروميثوس أن يخلق شيئاً لا تستطيع الآلهة نفسها على خلقه، فأخذ قطعة من الصلصال وصوّرها على صورة أرباب الأولمب وجعلها تقف على رجلين وتزور للسماء، وجعل لها ذهنًا جباراً مفكراً ووهيها ثلاث هبات تميزه دون الكائنات الأخرى، وهي: رأس مفكر وروح نقية ويد خلقة.. وهذه العجائب الثلاث لم تتيسر مجتمعة حتى للآلهة.

ولاحظ بروميثوس إن أخاه إيميثوس يسرف في إهداء الكثير من المنح للحيوانات التي يخلقها من جمال وقوة ومميزات.. وفكر.. ماذا يهب للإنسان؟ وأخيراً اهتدى إلى أن يهديه «النار» ويعلمه كيف يستعين بها على اقتحام عالم الفنون.. وعندما علم زيوس بذلك - وقد كانت النار وقفاً على الآلهة - أمر بتكبير بروميثوس بالأغلال وتعذيبه عن طريق نسر ينهش كبده كل صباح حتى رآه «هرقل» وحرره غير عابئ بسخط زيوس وغضبه.

◀ «بندورا».. المرأة

اغتاظ زيوس مرة أخرى، وسخط هذه المرة على الإنسان، وظل يفكر في وسيلة ينتقم بها منه ويعكر صفوه، فأمر بخلق المرأة. جمع زيوس الآلهة ليتفنتوا في صنع «المرأة».. فقام «هيفستوس» إله النار والفن وابن زيوس فسوّاهم من نفس الحمأ الذي خلق منه الإنسان، فجاءت آية من آيات الحسن والفتنة. وأقبلت الآلهة تنفث فيها أسرارها، فوهبتها فينوس من جمالها، وهيرا من ثورتها، ومينرفا من حكمتها، ولاتونا من استحيائها، وديانا من شافتها، وكوبيد من حبه، وأبوللو من شعره وموسيقاه.. أما هرمز الخيبت فأعطاهما المكر والخبث والدهاء.

ثم نفخ فيها زيوس من روحه فأعطاهما الحياة.. وسميت «بندورا». كما أهداها كبير الآلهة صندوقاً بديماً وهو مغلق.. وبعد فترة تملكها حب الاستطلاع، ففتحت الصندوق فانطلقت منه خفافيش سوداء كانت هي

عذاب البشر من الجهل، والفقر، والفاق، والمعرض، ... والتي كادت أن تقضي على البشر... لولا ذلك الفراش الصغير الأبيض الذي انطلق على إثرها... وهو الأمل.

◀ آلهات الفن «المرأة في الأسطورة»

إمتلأت الأساطير بنماذج مبهرة للمرأة، والتي كانت حقلا خصبا لإبداعات الفنانين عبر تاريخ البشرية منذ نشأة الأسطورة وحتى الآن وفي كل الحضارات. وهذه نماذج لصورة المرأة في الأسطورة والفن معاً.

تعددت الآلهات في الأسطورة اليونانية وتميز كلٌ منها بصفة أو هبة... وكانت هناك مجموعة كبيرة من الحوريات الجميلات هن آلهات الفن والحب والجمال والتي ترعى الفنانين والفنون وأعطتهم من أسرارها، حتى أن القصص الأسطورية تشهد كثيرا من القصص التي ترتبط فيها إحدى الحوريات أو الآلهة بحب إنسان مبدع فنهج حبها ونفسها الإلهية. لذا فقد أطلق على الفنانين اسم «أنصاف الآلهة» لما لهم من قدرة على الخلق والإبداع.

ومن هذه الآلهة المتمثلة في صورة المرأة..

هيرا «Hera» ومعناها الهواء الأزرق أو الضوء السماوي وهي شقيقة زيوس، ويسمى الرومان Juno. كان لها جمال ساحر فسميت مليكة الألوئم وربة السماء، وأطلق الرومان إسمها على شهر يونيو، ويقمون عيدها في شهر مارس الذي كانوا يستبشرون بعقد زيجاتهم فيه. وهي ربة تميزت بالغيرة الشديدة وشغوفة بالجمال والفن...

◀ عرائس الفنون

كان أبوللو ابن زيوس، ويطلق عليه ربّ الحياة والضوء والشمس، وأيضا رب الطب والموسيقى والشعر والفنون الجميلة.

ولشدة إعجاب زيوس بابنه وضع في خدمته وسلطانه بناته التسع وهن عرائس الفنون... كليلو عروس التاريخ - يوتره عروس الشعر الغنائي وكانوا يصورونها وهي تحمل نايًا وصفائر من الزهور - تاليا عروس الشعر الريفي - ملبومينة ربة المآسي وكانت تلبس قناعا عابس الأسارير وتقبض على عصا هرقل - تريسيكور عروس الغناء والرقص وكانت تصوّر وهي تحمل قيثارة - أراتو عروس أشعار الغزل - يوليمينا عروس البيان وتحمل صولجانا رمزاً للفصاحة - أورانبا عروس الفلك والعلوم - كاليوبيا عروس الأشعار البطولية والملاحم، وكانت تحمل لوحة وقلمًا وترتدي إكليلا من الغار.

وكان لأبوللو في جزيرة ردوس تمثال ضخم، وكانت السفن تمر من بين ساقيه وهي تدخل الميناء أو تخرج منه، وكان هذا التمثال واحدا من عجائب الدنيا السبع. واعتبر أبوللو بصفة عامة أحد الآلهة الهامة التي استلهمها النحاتون الرومان والفنانون الأوروبيون في أعمالهم.

فينوس... ومعناها الفجر أو السحر وهي ربة الجمال والحب، وقد أطلق عليها أيضا اسم «أفروديت»، ومعناها المولودة من الزبد. وثمة رواية عن مولد فينوس تقول إنها ولدت من «صدقة» كبيرة طفت على وجه البحر دفعها رب النسيم إلى الشاطئ، فتلقتها عرائس البحر فأهدت لها ربات الفصول أروع الزهر وأشهى الثمر، كما وهبتها ربات المحبة من أسرارهن... المحبة والحسن والجلال والمرح والتعيم. وبدأت رحلتها إلى جبال الألوئم في صحبة كله الهوى والمودة والغزل والزواج، وأعد لها عرش من ذهب. ولما استوت عليه كانت قد استولت على قلوب الآلهة وعلى قلوب البشر، وتقدموا جميعا لخطبتها، إلا أنها أحبت «مارس» إله الحرب الذي أنجب منها «كيوبيد» إله الحب.

وقد رسم الفنان العظيم بوتيتشيلي حوالي عام 1485 م إحدى روايته الفنية التي تصور «مولد فينوس» وهي تخرج من الصدفة السابعة على سطح

البحر وينفخ فيها إله النسيم من روحه. واللوحه محفوظة بمتحف الأوفيتسي بفلورنسا - وكما نعرف جميعا تمثال فينومس «مقطوعة الأذرع» والمعروف باسم «فينوس ميلو» أحد روائع الفن الإغريقي في العصر الهلنستي، وقد عُثِرَ على التمثال بجزيرة ميلوس أو ميلو عام 1820م، والذراعان مفقودتان، ربما كانتا تحملان في الأصل درعاً مرفوعاً لأعلى ناحية اليسار تتأمل الآلهة صورتها المتعكسة عليها.

ليدا.. وهي عادة حسناء من البشر، خلبت لب زيوس فكان يزورها في صورة ذكر البجع. وهذه الأسطورة كانت ضمن موضوعات الفنانين الخالدة، مصورين كانوا أم مثاليين، والتي في أغلب الأحيان استفزهم فيها مشهد اللقاء الجنسي ما بين فائنة وطائر بجمع.. غير الطبيعي، فكان تصويره جموحاً خيالياً، حاك كل منهم صياغته حسبما يشعر. ومن أهم هؤلاء الفنانين مايكل أنجلو وليوناردو دافنشي وسلفادور دالي.

أوروبا.. تقول الأسطورة إن أوروبا عروس البحر الجميلة قد ولدت أو خرجت إلى الوجود من بطن ثور هائج ضخم، إشارة إلى البحار التي تحيط بها من كل جانب. ويوجد تمثال ضخم بمدينة الإسكندرية للتمثال الراحل فتحي محمود (1918 - 1987) باسم عروس البحر يصور لحظة ميلاد أوروبا وخروجها من بطن الثور.

وهناك نماذج أخرى مبهره لأساطير الشعوب المختلفة والتي اعتبرها الفنانون مادة خام طيبة للزحف عليها لخلق أساطير جديدة من التشكيل المعري. وهذه بعض النماذج المهمة والشهيرة.

العرائس.. هناك عدد من «الموتيفات» التي ظهرت بشكل المرأة في الأعمال التشكيلية والشعبية، واشتهرت منها عروس البحر التي تصور نفسها أنثى جميلة ونصفها السفلي على شكل سمكة، وهي في الحقيقة من نسج الخيال. فعروس البحر في الحقيقة هي حيوان بحري دميم يتميز بسلوكه الطريف، إذ تظهر في الليالي القمرية على سطح الماء وترقص

نبح
٢٠٢

بزعانفها التي تشبه، إلى حد ما، أيادي الإنسان في حركات إيقاعية، وهي تشبه الإنسان في هيئته العامة. وقد رأها البعض من بعيد في الليالي القمرية فتخيلوها فتاة ترقص لإغراء وغواية أهل الأرض، وهي من الجن أو كائنات أخرى وتناقلتها الصور بهذا الشكل كتنصف أنثى ونصف سمكة ونسجت الحكايات حولها.

وهناك في الفن الشعبي عروسة المولد، وعروسة الحسد لحماية البيت من الحسد، وعروسة الزار، وعروسة القمح وهي تصنع لبشرى ظهور أول سنابلها.. وغيرها من النماذج المتعلقة بمعاني الخصوبة والميلاد والأمومة والفرح والمتعلقة بالمرأة. ومن أهم هذه العرائس تاريخياً عروس النيل الفرعونية، وقد كان من المعتقد أنهم يلقون بفنائه إلى النيل كتضحية بشرية لإرضائه، وهي في ثوب العرس إلا أنه لا يوجد في الأدب والتاريخ الفرعوني ما يشير إلى هذه الأسطورة ولا أي تضحيات بشرية كان يقدمها الفرعنة للآلهة، إنما هناك ثلاث لوحات قديمة لكل من رمسيس الثاني ومتفتح ورمسيس الثالث تشير إلى الحفل الديني الذي يقام لوفاء النيل.. حيث تذبح البذائع والقرايين من عجول وأوز وطيور ثم يلقى بـ «قرطاس» من البردي في النيل كان الكهنة يكتبون عليه عبارات سحرية لإرضاء النيل وطلب البركة والفيضان. إلا أن أسطورة عروس النيل العذراء التي تُضْحِي بنفسها طلباً لخير الناس ظلت تتناقل وتُصَوِّر على هذا الشكل.

وبالضرورة كان هناك اتجاه مقابل، فلكل أسطورة وإله هناك الند أو
المفاير.. فكان «أبوللو» وهو إله النور والطب عند الإغريق والذي يشفي
النفوس من تلك القوى المظلمة، قد أصبح بعد ذلك إله الفنون بعد أن
تحول الفن الإغريقي نفسه إلى كيح تلك النزوات الجامحة الشهوانية
وأصبح طريقا مقابلا في الفن في اتجاه الصفاء والاشراق والاتزان
والحكمة.

ومن هذا يتضح لنا أن ديونيزوس وأبوللو يمثلان قوتين متعارضتين في
النفس والفن كعنصرين من عناصر الوجدان الإنساني نراهما تارة مجتمعين
وتارة يتغلبن أحدهما على الآخر في شتى صور الفن منذ القدم وحتى العصر
الحديث. إنهما أشبه بالصراع «الهائل» داخل الإنسان.



لوحة تجسد ديونوسيس على ظهر أسد



الفن والأسطورة (صراع ديونيزوس وأبوللو)

انتشرت خلال القرنين السابع والسادس قبل الميلاد في بلاد الإغريق..
عبادة إلاله «ديونيزوس» إله الإخصاب. وكان معظم عبدة هذا الإله من
موطنه الأصلي من النساء اللواتي يعرفن «بالعناد» وقد اتصفت عبادته
بالفجور والعريضة، فقد كن يجتمعن ليلا على قمم الجبال النائية، وهنالك
يحتسبن الخمر ويأخذن في الرقص الجنوني والعريضة على دقات الطبول،
في ضوء المشاعل، حول أنصاب ترمز للفحولة، ثم يلتهمن لحم الثيران
والعجول التي كن يعتقدن أن هذا الإله يتمصهن... في احتفال مملوء
بالنشوة الجسدية والروحية، التي تصل للغيبوبة بغية تحطيم الحواجز بين
الإله والإنسان، وحتى تدور الحياة وتتجدد في الأرحام والأرض.

وتحكي الأسطورة أن ديونيزوس يموت بعد أن يُقَطَّع أربا مع دفن البذور
في جوف الأرض - وقد كان هذا الموت العنيف أول صورة من صور
التراجيديا عند الإغريق - ثم بعد دفنه يتقل إلى عالم الظلمات الغيبي أو
ظلمات قلب الإنسان. وإنه ليظل هكذا كامناً حتى تتفتح طاقات السماء
بماء الحياة والمطر فتخصب الأرض، عندئذ يكون عيد الإله ديونيزوس
حيث يغني القوم ويرقصون ويشربون ويعربدون طائفين في القرى على
عربات تحمل أنصبا ترمز للفحولة، ويطلق عليها في اللغة الإغريقية اسم
«كوموس»، ومنها اشتقت كلمة «كوميديا» التي أصبحت تطلق فيما بعد على
الأعمال الدرامية التي تقوم على الهزل.

وأسطورة ديونيزوس ترمز للشهوانية التي سيطرت على الفن في فترات
ما...

أسطورة المرأة

رأيت فيما يرى النائم مخلوقة عارية منتصبية فوق رابية مزدانة بالأزهار والرياحين وما إن دنوث منها حتى تبين لي أن مجيها وضاء كالشمس، وعينيها خلابتان كالنجوم، وشفتيها جذابتان كالورد القرمزي، وجسدها فتان كجسد هاتور!

ولما أمعنت فيها النظر رأيت أشعة رقيقة مثل ضياء القمر بجسدها الأملس، وسمعت نغمات شجية تنبثق من الفضاء بقربها!

فاقتربت منها متفرساً فيها وفي ما حولها، فرأيت في يمينها جعبة مهام عجيبة، وفي يسارها نقاعة جميلة، وعلى رأسها تمثال ذهبي وثعبان ملتوي منقوش برموز سحرية!

ورأيت لها جناحين كالبللور يخفيا تارة فيبدو لها بدلا منهما ذيل كالافعى، وقرنان كقرني التيس، ويظهران مرة أخرى فيتلاشى الذيل والقرنان!

ونظرت فإذا بجوارها طاووس عجيب، وقلب بشري في كأس من المر، وباقة من الزنبق الداري، وبقشارة من ذهب، ووردة نضرة تعطر أرجاء الفضاء، ومائدة عليها ذهب ولبان ومر!

فوقفت أتأمل في ما أرى صامتاً، ثم تقدمت وسألتها من تكون! فنظرت إليّ بدعشة وقالت: يا للعجب! ألا تعرف أمك حواء؟ أنا أم البشرية!

قلت: لقد أضلّنتني عن معرفتك تلك الغرائب التي حولك!

قالت: لا أرى حولي شيئاً غريباً!

قلت: فما هذه الأشعة السماوية التي تكتشفك؟

قالت: في البدء لما صنعتني مهندس الكون، وخطرت تحت خمائل الطيب وكروم الجنة، هبط الملائكة والآلهة ليروني، وسرعان ما استغربوا منظرني وفرحوا بي وقدموا لي ثمين الهدايا.

فمنحتني الآلهة «ديانا» هذه الأشعة العجيبة التي تسرلني بالروعة والبهاء حتى أغمر بها القلوب فتصبح شملة في لازورد ضيائها، وتعرف مستسلمة إلى قوة سحرها، فيجيا مواتها وتتمتع وهنها.

قلت: وما تعني هذه النغمات الملائكية التي تنبثق حولك ولا يعلم مصدرها؟

قالت: أما هذه فهبة الرب «أبوللون» لأملأ بها فراغ النفوس بحب الوجود والاقتراب من مغزى الحياة!

تسمعها الآذان عند اقترابي فتضطرب في جو ناعس ترن في آفاقه أناشيد الأمل!

إن في تلك النغمات ما يرمز للمرأة التي هي أغنية عذبة تائهة بين ضجيج الوجود.

قلت: فما هذه الجعبة المملأ بالسهام؟

قالت: هذه هدية «كيبيد» إله الحب ذي الجناحين الصغيرين قدمها إليّ لأرشقها في القلوب! ذلك هو سيقي المسلول في وجه العقبات، به عُددت في مصاف الجباية على الرغم من ضعفي وعجزتي.

ذلك هو موضع ظلمي. ولكن وراء هذا الحسف لذتي وملهاتي. تلك هي سهامى فإذا تكسرت فإن لي من سهام اللحظ ما يغنيني عنها.

قلت: وما تعني هذه النقاعة التي ييسارك؟

قالت: إن هذه إلا ذكرى الممصية.

هذا أثر من الفردوس المفقود، وتذكار شجرة معرفة الخير والشر

هذه رمز الخروج من نعيم الجهالة إلى شقاء المعرفة.

هذه نقاحة الإغراء!!

أحملها لتذكرني بالزلة الأولى، ولأرى في حسناتها خيالات الجنة وبها أحياء في مملكة الوهم والخيال.

هي التي تحب إليّ كشف غوامض الحياة، وأسرار الكون، فأتقنم في سبيلها المخاوف والأخطار.

بها أغري الرجل فيرضخ لمشييتي ويأتمر بأمرى،

بها أغرائني الشيطان فعصيت الله، وبها أغريت آدم فوقع في المحذور. وهكذا سترتها المرأة لتكون في يدها سلاحاً للإغراء مدى الحياة.

قلت: فما هذا التمثال الجميل؟ وما مغزى هذا الشعب المنقوش بالطلاسم؟

قلت: هذان من هدايا «أفروديت» ربة الجمال والحب.

أما التمثال فهو رمزها المقدس الذي يزينني جمالا في العيون وفتنة للناظرين.

إن المرأة الجميلة الحكيمة هي تمثال «أفروديت» الحي، ورسولها المبشر أهل الأرض بدينها القويم.

أما الثعبان فهو الرمز المسحور بالطلاسم الذي أخضع بقوته الأفتدة الصلبة وأذيب بسحر القسوة والعناد.

حقاً.. إن المرأة في قلبها ولينها وخداها وحكمتها مثل الثعبان الغريب الأطوار...

قلت: فما هذان الجناحان، وما هذا الذيل، وهذان القرنان؟

قلت: بهذين الجناحين يمكن للمرأة أن تشبه بالملائكة فتنتقل في العالم معلنة مجد الروح وعجيب صنع يديه.

وبذلك الذيل والقرنين يمكنها أن تشاطر الأبالسة تمردهم، وتقاسم الشياطين سيئاتهم فتسير في الأرض منادية بالشر والعصيان.

وإن المرأة لملاك في ثوب شيطان، وإنها لشيطان سرق حُلل الملائكة. قلت: وما هذا الطاووس المتغطرس؟

قلت: لقد أهدته إليّ الإلاهة «هيرا» ورمزت به إلى الإلهة والفخار اللذين ترى فيهما المرأة شرها.

فأه! كم تعبد المرأة كاذب المظاهر وزائل الأباطيل!

كم للغرور من سلطان على قلبها الضعيف!

إنها تنظر إلى الحياة نظرة غريبة في بابها قلما يفهمها أحد سواها.

قلت: فما هذا القلب البشري المتنوع في كأس المرء؟

قلت: هذا قلب الرجل الذي قدمه لي آدم عربون حبه وولائه.

لقد سنته في المرل يعيش أبداً نابضاً بهواي حافظاً لعهدي وذكرائي.

إن المرأة لتحب أن تمتع ناظرها برؤية القلوب المعذبة في نار هواها!

قلت: وما باقة الزنبق هذه الملقاة عند قدميك؟

قلت: هذه تقدمه «زئوس» كبير الآلهة المغمرم بنساء البشر.

ولكن ما كانت المرأة تهوى حليلاً يستعبد لها أو خليلاً يراها أحقر منه شأنًا واصغر من أن تتخذ لنفسها لقب الحاكم بأمرها.

قلت: فما هذه القيثارة الذهبية؟

قلت: هذه تقدمه عرائس الفنون

فالمرأة قيثارة الحياة ونغمة الأمل ولحن العزاء.

هي قيثارة الوجدان الرقيقة الأوتار المائلة الفضاء بالألحان والضحكات والبكاء، يسمعها الشعراء فيملأون الأرض بالقصائد والدواوين.

قلت: وما هذه الوردة النضرة؟

قلت: هذه هبة «فون» إله المروج قدمها إليّ قائلاً:

زيوس

أيها الآله العظيم زيوس
مرحى يا أعظم الشباب يا ابن كرونوس
يا سيد القوى والنور
جئت على رأس أرواح
سير إلى - دكتك - للعالم وأفرح بالرقص والغناء
ترقص ونغني لك بالمزاهر والثنايات معاً
ونغني ونحن واقفون عند مذبحك الحصين
جين الين هارسون



زيوس

أنت وردة الحياة النضرة ذات الاربيع المتضوع في أنحاء الارض
خداك مشربان بحمرة أوراقها، وأنفاسك معطرة بحلو شذاها.
أنت وردة الانسانية ذات الشوك.
لك رونقها وبهاؤها، لك لطفها ونضارتها. ولكن شوكك يُدمي البنان!
قلت: وما هذه المائدة ذات الذهب واللبان والمر؟
قالت: هذه تقدمه معبودي «أدونيس» أرسلها إليّ يقول:
أنت مليكة الحياة المسربة بالذهب. أنت كنت لا ينفذ معدنه.
عند قدسيك ينثر الذهب ويفرش طريقك بالثر الوهاج.
أنت كاهن هيكل الحب ومعبد الجمال.
لك يقدم لبان المباخر المقدس لأنك الوسيط بين الحب والناس.
أنت رسول عشتروت المشر يدينها وتعاليمها الذهبية.
أنت نبي الجمال الصارخ في البرية قائلاً: أعدوا طريق الفن.
عندئذ يصلبك وحوش الانس على خشبة الاستعباد ويقدمون لك قصبة
ملؤها المر فتشربين وتعذبين!
في حياتك ستدرفين الدموع وتتوجعين، وعند أقول نجمك ستدبين
وحذك إلى ظلمه النسيان.
في ربيع أيامك ستتوجين بالغار، وفي شتاء حياتك تلقين تحت الأقدام
لك يقدم الذهب واللبان والمر،
لأنك قصيدة الآلهة الشعرية ذات المعاني والرموز،
لأنك أم البشر، دوحة الأرض المثمرة.
وإذا بسحابة قد هبطت من السماء واختلطت كل ما كان أمامي وصعدت
به إلى الأعالي فتلاشى كل شيء!
وفتحت عيني... وأفقت من تأملاتي واستيقظت فاذا أنا... أنا (مؤلف
هذا الكتاب).

زيوس

تجلّى زيوس على عرش الاوليمبوس، حيث الجلالة والقدسية والسكينة، وحيث يفوح أريج أشجار الصنوبر الكثيفة فيهبط في غلالة شفاقة تكسو القمم والوديان.. إنه سيد مجلس الآلهة الكبار يطلعهونه على صراعات الشعب، ويخلصون له النصيح في ظل مشيئته، وهو المعز المذل صاحب القدرات والخوارق في تصريف أمور الكون.

جلس ربّ الأديان، أقوى الآلهة وحاكم الأرض والسماء، بلمحيتة الوقور، وفي إحدى يديه مزراق الصاعقة ويده الأخرى صولجان الملك الكبير. إنه موزع الاقدار بغير حساب، وهو حامي حمى ناموسه، وهو أخصب الآلهة إنجاباً وقدرة على تصيد اللذة، محتدمة عواطفه، وجياش شبقه. يأتي زيوس في مقدمة أرباب أوليمبوس. وكان زيوس وأخوه قد اقترعوا على الكون، فكان البحر من نصيب بوسيدون، والعالم السفلي من نصيب هاديس، وأما زيوس فأصبح الحاكم الأعلى، رب الآلهة والناس. وكان، كما يتبين من اسمه، الذي يعني السماء أو السماء الصحو، رب السماء بوصفها موطناً لكل الظواهر الجوية والطقس بوجه عام: المطر والبرق والرعد والعاصفة. ولما كان أثر هذه الظواهر يبدو جلياً على قمم الجبال؛ فقد تربع زيوس على عرشها. وفي الحق أن أوليمبوس كلمة قديمة سابقة على مجيء اليونان إلى بلادهم، معناها الجبل. وجدير بالذكر أن رب الصاعقة أيضاً كان هو الإله الأعلى عند الشعوب البدائية. وقد وصف زيوس بأنه جامع السحب، ومحرك الصاعقة المخيفة. وكان درعه شيتاً ترهب العين أن تراه، وطاقره هو النسر، وشجرته البلوط. واشتهرت بلدة دودنا في إقليم إيروس بأنها مكان نبوّهته حيث كان الإله يكشف عن إرادته

نجم
٢٠

بحفيف أوراق البلوط الذي يتولى الكهنة تفسير معناه. وتعزى نشأة هذه النبوءة، إلى يمامة جاءت إلى هذا المكان طائفة من طيبة في جنوب مصر. وكانت قوة زيوس تفوق قوة الآلهة الآخرين مجتمعين. ومع هذا فإنه لم يكن إلهاً قادراً على كل شيء ولا يحيط علمه بكل شيء. فكان من الممكن معارضة وخداعه. وفي الإلياذة يعمر به بوسيدون وتمكر به هيرا. وفي بعض الأحيان توصف تلك القوة الخفية، وهي القدر بأنها أقوى منه، فنجد هيرا تسأله مرة بشيء من الاستخفاف إن كان في نيته أن ينقذ من الموت رجلاً كتب له القدر أن يموت.

وتصوره كثير من الأساطير إلهاً يقع في حب نساء كثيرات، بعضهم من البشر وبعضهن الآخر من الإلهات. فيلجأ إلى شتى الحيل لإخفاء خيائته عن هيرا، زوجته الغيور. وفي رأي بعض الباحثين أن هذا المسلك المشين الذي لا يليق بأرفع الآلهة مقاماً، إنما يرجع إلى أن زيوس نشأ عن اتلاف عدة آلهة. وعندما كانت عبادته تنتشر في مدينة كان يوجد فيها من قبل إله أو حاكم موله، امتزج الاثنان تدريجياً في إله واحد. وعندئذ كانت زوجة الإله المحلي أو الحاكم المؤله تؤول إلى زيوس. ومن ثم نشأت هذه العلاقات النسائية الكثيرة التي لم ترق في عين إغريق العصور التالية. ومع هذا فإن زيوس يوصف في أقدم النصوص بالإله الأجل والأعظم والأكبر الذي يسكن في السماء. ولم يكن زيوس يأمر عبادته بتقديم القرابين فحسب، بل يأتیان العمل الصالح أيضاً «فهو لا يعين من يكذبون أو يحتنون باليمين». لقد كانت هناك فكرتان متناقضتان عنه، إحداهما طيبة والأخرى سيئة شأنه في ذلك شأن بقية الآلهة والإلهات. وقد ظلت كلتا الفكرتين جنباً إلى جنب فترة طويلة من الزمن.

ولقد أشرنا أن زيوس كان رب الآلهة والناس. لكن ذلك لا يعني أنه خالقهم، بل يعني فقط أنه كان أباهم الروحي أو راعيهم، لأن مركزه كان أشبه بمركز رب الأسرة وحامي حاميتها عند الرومان. وهذه الفكرة

الموردوة عن الشعوب الهندية - الأوربية تتضمن معنى أخلاقيا وهو المحافظة على القوانين والعرف المتوارث، كحماية اللاجئين ورعاية الغرباء، وهي صفات ارتبطت دائما بزيوس، فعرف باسم حامي المتوسلين وراعي الضيوف الأجانب، ويفسر ذلك كيف أصبح هذا الإله رب فناء المنزل الذي كان يحاط عادة بسور لوقاية سكانه من عدوان المغيرين وهجوم الحيوانات المفترسة، وأصبح رب الأسرة وحامي ممتلكاتها. ولما كانت المدينة - الدولة تركز أساسا على الأسرة، فقد صار زيوس - كما يتضح من أشعار هوميروس - راعيا للملك وحقوقه. وقد تصور أهل الحضارة الموكينية ربهم الأعلى والأرباب الآخرين على شاكلة ملك موكيناي والأمراء الأقل قوة في المدن الأخرى.

وكما كان هؤلاء الأمراء يدينون لملك موكيناي بقدر من الطاعة، ويشردون عليه في بعض الأحيان، كذلك كان زيوس محاطا بأرباب مشاكسين، يجلبونه تارة، ويسخرون منه تارة أخرى، فلم يكن زيوس يحكم بمقتضى الحق والعدالة، بقدر ما كان يحكم عنوة واقتدارا. وكان هوميروس هو الذي طبع صورة هذه الإله في أذهان الإغريق. ومع أن الملكية زالت في العصر التاريخي، إلا أن عرش زيوس ظل وطيد الأركان فأصبح هو الإله الأعلى للمدينة جنبا إلى جنب آثينا ربها العليا. لأنها كانت في الأصل ربة القصر الموكيني وحامية ملكه. وكان زيوس بوصفه حاميا للحرية السياسية يدعى بالمحرر والمخلص وأنشئت له الأعياد بهذه الصفة، لكن اليونان لم ينسوا أبدا أنه حامي القانون والتقاليد والأخلاق. ويتجهل إليه الشاعر التعليمي هسيودوس بوصفه نصير العدالة ويقرنه بديكي، ربة الجزاء العادل أو الحق. ويبلغ زيوس أسمى منزلة عند الشاعر المسرحي إيسخولوس الذي يعظم من شأنه ويشيد بعدله وتقواه وقوته الساحقة، غير أن أهمية زيوس لا تبرز أثناء العصر التاريخي في حياة الناس الدينية بقدر ما تبرز في الفن والأدب.

نجد

وأما قصة مولده فهي غريبة... إذ تقول الأساطير إن رهيا، أم زيوس، أخفته بعد ولادته في كهف بجبل إيجايون أو دكسي أو إيدا بجزيرة كريت حتى لا يتلعه أبوه كرونوس مثلما ابتلع بقية إخوته. وهناك قامت بإرضاعه الحوريات أو الحيوانات أو الطيور أو النحل. وفي مقدمتها العنز أمالثيا، وهي أشهر مرضعاته. ورقصت حوله كائنات نصف إلهية، أشبه ما تكون بالأرواح، تعرف باسم كوريبانتيس أو كوريبس أي الصبية، وإن عرفت أيضا باسم أصابع إيدا لأنها نبتت من أرض جبل إيدا التي ارتكزت عليها رهيا بأصابعها عندما جاءها المخاض. هذه الكائنات أو الأرواح أخذت ترقص حول زيوس بعد مولده وتضرب دروعها حتى تغطي قرعة السلاح على صراخ الطفل حتى لا يسمعه كرونوس. وتضيف الأسطورة الكريتية أن زيوس مات ودفن بالجزيرة، وليس ثمة شك في أنها فكرة ميتوية الأصل ترمز إلى روح النبات، نماته ومواته في كل عام. وقد أطاح زيوس بعد أن اشتد عوده بعرش أبيه كرونوس وقاتل بمعاونة أرباب أولمبوس التيتانيس، وهم الآلهة جبابرة بدائيون، وقهرهم وقيدهم بالأغلال، ثم قذف بهم إلى تارتاروس، وهي مكان مظلم محاط بسور من حديد ويبعد عن سطح الأرض بعدها عن السماء.

على أن أشهر الأساطير عن زيوس هي التي تدور حول صراعه الطويل ضد خصومه قبل أن يستوي على عرش الكون. ويعود بنا هذا الصراع إلى نشأة الكون نفسه. ويروي لنا هسيودوس أنه لم يكن هناك في الأصل سوى الفراغ، وهي كلمة تعني فراغ الفم عند التثاؤب، وتعني الآن الفوضى والاضطراب. ومن بعده نشأت الأرض، الربة ذات الصدر العريض، وموطن جميع الآلهة سواء من يسكنون منهم في الأعلى فوق جبل أولمبيوس أو في أغوار الأرض. وكان هناك الحب، أجمل الآلهة الخالدين، الذي يسري في أوصال الآلهة والناس ويتحكم في قلوبهم. ومن الفراغ نشأ ظلام الأعماق وقد أنجب الليل من الظلام، نور السماء،

وضوء النهار. وأما جايا أو الأرض فكان أورانوس، إله السماء وهو أول من أنجبته كفرا لها ليكون قريبها فيحنو عليها ويغطيها تماما ويصبح منزلا أبديا للآلهة المباركين. وقد تمخضت جايا كذلك عن الجبال التي تهوى الحوريات والعرائس السكنى في تلالها كما ولدت البحر المزيد. وجميع هؤلاء قد ولدتهم الربة بدون «إيروس»، أي دون أن يمسه أحد. ولقد أنجبت جايا من أورانوس نفسه الجابرة من ذكور وإناث. وهم آلهة قدامى بدائيون يُسمون بالوحشية ولا يرخصون لقانون.

ومن بينهم كان إله النهر الإله أوقيانوس الذي تنبع منه كل الأنهار والينابيع والعيون بل والبحر نفسه، ويجرى باستمرار في حلقة دائرته حول الأرض ويقوم كالحاجز الفاصل بين العالم وما وراء العالم. ومن بينهم أيضا كانت تيس، ربة البحر. وزوجه أوقيانوس، التي أنجبت منه ثلاثة آلاف ولد، وهم الأنهار، وعشرات من البنات، وهن عرائس النهر والبحر أو بنات أوقيانوس. وكان من بين حفيداتها تيس سيدة البحر الكبرى. التي لا يستبعد أن اسمها هو اسم جدتها نفسه محرفا. كما ولدت جايا من أورانوس تلك المخلوقات العجيبة المعروفة باسم الكيكاييس التي كانت تتوسط جهة كل منهم عين مستديرة.

وكان أورانوس، رب السماء يأتي زوجته جايا - ربة الأرض - في كل ليلة ليسترخي بجوارها. غير أنه كان يكره منذ البداية أبناءها منه. ولذلك كان يبادر بإغفائهم بعد ولادتهم مباشرة في جوف الأرض حتى لا يروا نور الدنيا. وكما كان أورانوس يتهيج بهذا العمل المرذول، بينما كانت جايا تن أنثيا موجعا من حملها الثقيل الذي كان أد يزهق روحها. ولذلك دبرت حيلة لكي تتخلص من عذابها المتصل، وأحضرت حديثا وصنعت منه منجلا حاد الأسنان، ودعت أبنائها الستة وفي مقدمتهم أوقيانوس، ومن بينهم كرونوس الذي كان أصغرهم سنا، كما استدعت بناتها الست، ومن بينهم رها و تيمس وتيس، وسردت عليهم الأم ما تعانين من عذاب بسبب

ن.ج.
١٢

سلوك أبيهم المشين وجرائمه البشعة، وناشدتهم أن يهبوا لمساعدتها في الانتقام من أبيهم وتخليصها من شروره. وما إن سمعوا القصة حتى تملكهم الخوف وخيم عليهم الصمت ولم يجسر أحد على أن يفتح فاه. وأخيرا انبرى كرونوس المخادع مظهرا استعداده للكي لايبه والترص به في أي كمين تنصبه. وأخفته أمه في كمين أعدته وأعطته المنجل الذي صنعه وأنثت إليه بتفاصيل المؤامرة. وجاءها أورانوس في الليل مشتقا إلى مضاجعتها وأرغى الليل سدوله عليها وغطاها فالتحفت كعادتها في كل مساء. وعندئذ انقض كرونوس من مخبئه بالمنجل وخصا أباه قاذفا بعضو تناسله إلى مسافات بعيدة، وقد تسرب الدم الذي نزل من أورانوس إلى رحم جايا فأنبثت ربات الغضب والانتقام، والعماقة. وأما عضو إخصاب إله السماء، فقد سقط في البحر حيث اختلط به زبد الموج الذي انبثقت منه أفروديتي. ومنذ أن ارتكب كرونوس جريمته الدامية لم يقرب إله السماء ربة الأرض ولم يأت لمضاجعتها، واندرثت السلالة الأولى وأعقبها حكم كرونوس الذي تربع على عرش الكون.

وقد تزوج كرونوس أخته رها وأنجب منها ستة من آلهة أولمبيوس: ثلاث ربات كيبرات هن هسيتا وديميتر وهيرا، وثلاثة أرباب كبار هم هاديس وبوسيدون وزئوس. وكما كان كرونوس أصغر أبناء أورانوس، كان زئوس أصغر أبناء كرونوس، وإن روى هوميروس رواية مخالفة لهسيودوس، مؤكدا أن زئوس كان أكبر إخوته. وقد شابه كرونوس أباه في تخوفه من أبنائه، فكان يبتلعهم بمجرد ولادتهم. ولملح لم يشأ أن يرث أحدهم ملكوته أو يخلفه في مركزه. وقد زاد من خوفه أن أبويه حذراء من أن أحد أبنائه الأقوياء سوف يطبخ برعشه. ولهذا أخذ حذره، فكان يلتهم كل مولود تنجبه له زوجته. وقد حز ذلك في صدر رها وجاوز ألمها حد الاحتمال، فلما اقترب ميعاد وضعها ابتهلته إلى أبويها، الأرض والسماء، وناشدتهما أن يعيناها على أن تلد الطفل الجديد خفية، وعلى أن

تأثر أيضا لابنائها الذين أخفاهم كرونوس في جوفه. واستجابت جايا وأورانوس إلى دعاء ابنتهما وكشفا لها عما خبأ القدر لزوجها وما كتبه لابنها. وأرسل الوالدان رهيا إلى جزيرة كريت حيث تولت أمها جايا حضانة الرضيع. وعندما أحضرت رهيا الطفل إلى الجزيرة في بهيم الليل أخفته في كهف بجبل إيجايون (أو دكتي أو إيدا)، وهو جبل تكسوه غابات كثيفة. ولقد ذكرنا من قبل كيف تمت حضانة زيوس الطفل وكيف تمت تربيته. ويتبغي أن نضيف أن رهيا خدعت زوجها وقدمت له حجرا ملفوفا في قماط فابتلعه ظنا منه أنه الطفل نفسه، ولم يدر بخلده أن ابنه كان يتربص الوقت حتى يشب عن الطوق ويشد ساعده لطيح به ويجرده من سلطته، ويحكم مكانه. فلما بلغ زيوس أشده واكتملت رجولته قهر بالقوة والخديعة أباه كرونوس، بل أرغمه أيضا على أن يلفظ من جوفه بقية إخوته. ولم يحرر زيوس أشقاه فقط، بل حرر أيضا أعمامه، الذين كانوا ما يزالون يرسفون في أصفاد أورانوس. وكان في مقدمتهم الكيكلوبيس الذين اعترفوا بجميل زيوس عليهم فمتحوه الرعد والبرق، وهما شعار قوته ورمز جبروته.

وبذلك خلف زيوس أباه كرونوس على عرش العالم وأصبح سيده ومليكه. لكن ينبغي أن نذكر أن حكم كرونوس اقترن في الأذهان «بالعصر الذهبي»، فكان فترة زاهية من فترات تاريخ العالم بلغ من رخائها أن السمل كان يتدفق أثناءها من أشجار البلوط. وفي الحق أن زيوس عندما قيد كرونوس بالأغلال وحمله إلى الطرف الأقصى من الأرض، حمل معه «العصر الذهبي» الذي ما يزال قائما عند «جزر النعيم» حيث تهب نسائم نهر أوقيانوس على برج قصر كرونوس وزوجته رهيا.

على أن متاعب زيوس لم تنته بتخلصه من كرونوس، فقد كاد مرة أن يلقى مصير أبيه. ويحدثنا هوميروس كيف تأمرت هيرا وبوسيدون وأثينا على تقييده بالأغلال. غير أن أثينس، ربة البحر الكبرى، استدعت وحشا يدعوه الآلهة باسم برياريوس ذي الأذرع الماء، ويدعوه البشر باسم

٢١

ايجايون، أكبر الظن لأنه شارك هذه الربة سلطانها على البحر الإيجي فترة من الزمن، استدعته من أعماق البحر ونصبتة حارسا على ابن كرونوس.

وعندئذ خاف الآلهة الثلاثة فأقلعوا عن التآمر على زيوس وكفوا عن محاولة تكييله بالسلاسل. والحق أن برياريوس ومن على شاكلته من الوحوش، استطاع زيوس بفضلهم أن يوطد نفوذه ويفرض سيطرته على سلالة أورانوس. لكن لم يلبث أن واجه زيوس وأبناء كرونوس ورهيا خطرا شديدا من جانب التيتانيس، وهم - كما أسلفنا الآلهة القدامى البدائيون، أو الجبابرة. فقد اشتبك هؤلاء معهم في حرب مريرة زهاء عشر سنوات. وشن الجبابرة الحرب من قمة جبل أوثيرس، بينما خاض زيوس وإخوته غمارها من قمة جبل أوليمبوس. وقد ظل الصراع الرهيب محتملا دون نهاية حاسمة. وأخيرا كشفت جايا للآلهة الجدد سر الانتصار.

وعمل الآلهة بنصيحتها فاستدعوا برياريوس وزميليه، ذوي الأذرع الماء، من الطرف الأقصى للأرض وأغاروا اليم، وبثوا فيهم العزم والقوة بأن أشربوهم «نكتارا» وأطعموهم «أميروسيا» وهما شراب الآلهة الخالدين وطعامهم. وناشدهم زيوس أن ينضموا تحت لوائه في الحرب المستعرة ضد الجبابرة. ولم يلبث أن استؤنف القتال، فاصطف الآلهة والإلاهات في مواجهة الجبابرة، ذكورا وإناثا. ولما كان الآلهة الجدد قد كسبوا إلى جانبهم ثلاثة حلفاء لكل منهم مائة ذراع، فكان عتادهم زاد ثلاث مائة حجرة. وبهذا الزابل من الحجارة انهالوا على الجبابرة وغلبوهم على أمرهم. وقبذ التيتانيس بعد هزيمتهم بالسلاسل وقُذف بهم في تتراروس، الذي سبق أن وصفناه بأنه مكان سحق الغور في باطن الأرض يبعد عن سطحها بُعد هذا السطح عن السماء. وعلى هذا المكان كان يهوي سندان ضخم يقطع الجوزاء في تسع ليال ويبلغ الأرض في الليلة العاشرة. ثم يغوص في باطن الأرض تسع ليال أخرى ليبلغ تتراروس في الليلة العاشرة.

وكان تتراروس معقلا محاطا بسور من حديد، تكتنفه حجب كثيفة من

الليل البهيم. وفوقه كانت تثبت جذور الأرض والبحر، وفي داخله كان يقيم الجبابرة وسط ظلام دامس، لا يراودهم أبداً بصيص من الأمل في الفرار منه، ذلك لأن بوسيدون قد صنع أبواب المعتقل من حديد غليظ، وأقام زيوس برباريوس وزميلييه حراساً عليه.

ولم يكد زيوس يفرغ من صراعه ضد التيتانيس حتى واجهه خطر أشد وأُنكى. فقد أنجبت جايا ابناً يدعى تيفون، وكان تيفون هذا تيتا ضخماً فاق على صغر سنه جميع أبنائها الآخرين في الضخامة والقوة. وكان ردفاه كردفي الإنسان، ولكنه كان فارعا تطاول قامته أعلى الجبال، وتنطح رأسه التجوم في كثير من الأحيان. فإذا بسط ذراعيه امتدت إحداهما إلى المغرب والأخرى إلى المشرق. وقد نبتت من كنفه مائة رأس من رؤوس الأفاعي. وأما أسفل رقبته فكان أشبه بثعبانين يصطرعان، وقد يشتربان إلى ما فوق رأسه ويحومان ثم يفحان فحيحاً مزعجاً يدوي في الأذنان. ولقد قيل إن الآلهة كانت تفهم ما يصدر من أصوات من رؤوس هذه الأفاعي المائة. غير أن تيفون كان في وسعه أيضاً أن ينيح كالكلب أو يترأز إذا ترجع الجبال صده. وقد اكتسى كل جسمه بالأجنحة. وكثيراً ما كان شعر رأسه الأشعث ولحيته يموجان في الهواء، بينما تفلح عيناه بالشر والشر. وقد أخذ تيفون يقذف السماء بحجارة من لهب وهو يهذر ويغش، بينما كان فمه ينفث نارا بدلاً من اللعاب. وقد ساد القلق من أن تكون لتيفون الغلبة على الآلهة والناس. غير أن زيوس ضربه بصاعقه من بعيد ثم ضربه بمنجله الحديدي من قريب، وطارده حتى جبل كاسيون. فلما رأى التيتين أنه قد أصيب بجرح بليغ، دنا منه ليصارعه بدا بيد. غير أن زيوس انحسر بين ثنيات التيتين واستعصى عليه الحراك وكأنه وقع في شرك.

وعندئذ انتزع التيتين المنجل من يده وقطع بها عصب يده وقدميه، ثم حمله على كتفه وسار عبر البحر إلى كيليكيا بأسيا الصغرى حيث تركه في كهف (البكيس الجلددي). وهناك أخفى كذلك عصبه تحت جلد دبة وأقام

ج.هـ
٤٦

التيتة دلقيني حارسة عليه. ولكن هرميس، رسول الآلهة، والإله بان استطاعا أن يسرقا عصب زيوس ويرداه إليه. واسترد زيوس قوته وظهر من السماء في عربته التي تجرها الجياد، وتعقب التيتين حتى جبل نيسا. وهناك خانته ربوات القدر. فقد أعطيته فاكهة لباً كلها قاتلات له إنها سترد إليه قوته، غير أن الفاكهة كانت تحمل اسم «ليوم واحد فقط». ولذلك لم يجد تيفون ستانسا من الفرار إلى سلسلة جبال هيموس بإقليم طرافيا، حيث طفق يقذف حوله بالجبال ويلطخها بدمه، ومن هنا جاء اسم هذه السلسلة الجبلية. وأخيراً بلغ صقلية حيث ألقى عليه زيوس جبل إتنا كله. وما يزال هذا الجبل يقذف بالحمم التي انصبت على رأس التيتين.

وأما آخر معركة خاضها زيوس وآلهة أولمبيوس فكانت ضد العمالقة. وكان العمالقة، كما أشرنا، قد نشأوا من الدم الذي نزل من أورانوس وتسرب إلى رحم جايا بعد أن خصاه ابنه كرونوس. ويظهر العمالقة في الرسوم القديمة في صورة متوحشين لابسين جلود الحيوانات يطيحون بالصخور وجذوع الشجر، أو في صورة مخلوقات ضخمة هائلة تصفها الأسفل كافاع توائم. ومن المعتقد أنهم ظهروا على سطح الأرض في مكان معين، وهو فليجرا أي السهول الملتحية، أو في باليني بجنوب مقدونيا، وبينهما وقفت جايا إلى جانب آلهة أولمبيوس في حربيهم ضد التيتانيس الجبابرة. فقد وقعت في هذه المرة ضدهم إلى جانب أبنائها الهيجانيس العمالقة. وقد رُوي أيضاً أن وحوش البحر ذوي الأذرع المائة، كبرياريوس وزميلييه، قد وقفوا أيضاً إلى جانب العمالقة يشدون من أزهم. وشاع أن الآلهة لن يتغلبوا على العمالقة إلا بمساعدة الإنس أو بالأحرى بمساعدة إلهين ينحدران من صلب نساء آدميات.

ولم ينصر زيوس إخوته وأخواته فحسب، بل نصره أيضاً أبناؤه، ومن بينهم اثنان أنجبتهما له زوجتان من البشر. وهذان البطلان الإلهيان، ديونيسوس وهيراكليس، هما اللذان رجعا كفة الآلهة على العمالقة في

القتال. ولقد كان في وسع العمالقة أن يسلموا من الهزيمة لو أنهم عثروا على عشب سحري معين.

وقد حاولت جايا أن تجده لهم. غير أن زيوس منع الفجر من الطلوع ومنع الشمس والقمر من الظهور حتى وجد العشب السحري بنفسه. وقد حفلت هذه المعركة، التي شغف بها الشعراء والرسامون، بالحيل والخطط الكثيرة. وكان بين العمالقة واحد لا سبيل إلى قهره طالما كان مقيماً في موطنه. هذا العملاق حملته هيراكليس، بعد أن جرحه بسهمه، عبر حدود باليني، إلى مكان بعيد حيث هلك. وهاجم عملاق كلا من هيرا وهيراكليس في وقت واحد، فأشعل زيوس في صدره نار الشهوة فانقض على الربة يمزق ثيابها، وعندئذ أنزل زيوس عليه صاعقته وصوب إليه هيراكليس سهمه. وعملاق آخر فقاً أبوللون عينه اليسرى بسهمه، وفقاً هيراكليس اليمنى بنفس السلاح، وأما بلاس فقد انتزع جلد عملاق يحمل نفس اسمه، واستخدمه كدرع يقي به الضربات. وأما الربة آثينة ففعلت بعملاق ما فعله أبوها من قبل بالتنين تيفون.

وبذلك تم انتصار زيوس وآلهة أوليمبوس، لكن حدث بعد سقوط الجبابرة والعمالقة أن احتدم النزاع بين الآلهة والبشر الذين تبنى بروميثيوس قضيتهم ضد زيوس رب الأرباب.



زواج زيوس، من هيرا.

هيرا

ومعناه باليونانية - السيدة وقد جعل الإغريق منها أختاً لزيوس وزوجة شرعية، فحلت بذلك مكان ديوني، أقدم مكان لعبادة زيوس على ما يرجح. ويبدو أن أرجوس كانت أقدم بلد عبدت فيه هيرا حتى أنها لقبت بالأرجية. كما عبدت أيضاً في ساموس منذ زمن ميكس، وإن زعم أهل أركاديا أنها نشأت في بلادهم.

وقد اشتهرت هيرا بعداوتها لطرودة والطروديين، من بينهم أبنياس، بطل ملحمة فرجيل، وبمناصرتها ياسون، بطل ملاحي السفينة «أرجو» التي أبحرت إلى كولخيس لاسترداد القروة الذهبية. ولكن كراهيتها للطروديين ترجع إلى القصة المشهورة باسم «قضاء باريس» التي قيل إنها السبب الأصلي للحرب الطروادية. لأن باريس بن پرياموس ملك طروادة، حكم «بالقناعة الذهبية» لأفروديتي دون آثينة وهيرا، مشيراً على بلده غضب كبير الآلهة.

وتظهر هيرا في أغلب الأساطير في صورة الرقية على حركات زيوس وسكناته. ذلك أن زيوس كبير الآلهة لم يكن على جلال قدره زوجا مخلصا، فكان يتحابل بشئ الطرق للاتصال بغيرها من الآلهات وغير الآلهات. ولذلك انحصر جهد هيرا في تعقبه لكشف خدعه والإيقاع به والانتقام من عشيقاته مهما انتحلن من أعذار لتبرير مسلكهن. ولت الأمر وقف عند هذا الحد. فقد كان زيوس مزواجا، الأمر الذي أثار الغيرة الشديدة في قلب زوجته، فأنفقت معظم وقتها في الكيد لزوجاته الأخريات وأبنائهن منه. بل إن هيرا كانت تغار حتى من الأبناء الذين أنجبهم زيوس دون الاتصال بغيرها من الآلهات. حدث ذلك مثلاً عندما أنجب زيوس

أثينة من رأسه على نحو مارونيا. فقد حقدت عليه هيرا لأنه أنجب أثينة دون الاتصال بها، وهي زوجته الشرعية. واستبد بها الغضب فسعت هي الأخرى إلى انتجاب الأبناء دون معاونته، وإن لم تحاول أبداً تدنيس فراش الزوجية، فقد كانت ربة الزواج المقدس، وبخاصة الزواج من امرأة واحدة. فلما بلغ هيرا نبأ ميلاد أثينة العجيب، صاحت في مجمع الآلهة غاضبة: «أفصتوا إليّ»، أيها الآلهة وأيتها الآلهات جميعاً. وانظروا كيف يجلب لي زيوس العار والمهانة، وهو أول من يفعل هذا العمل المشين بعد أن صرت زوجته. لقد أنجب وحده أثينة التي هي قرّة عين الآلهة المخالدين، بينما ابني هيفايستوس الذي أنجبته، ولد مشوهاً ضئيلاً فأصبح وصمة في جبين أولمبيوس. ولا أخفي عليكم أنني أقيت به في البحر. ولكن تيس، ابنة تريوس، تلففته وعنت به هي وأخواتها، ولينها أدت لنا خدمة أخرى! أي زيوس، أيها الوحش المخادع، كيف أجترأت على أن تلد أثينة؟ أولم يكن في وسعي أن أنجب ابناً ليكون درة بين الآلهة. وسأفعل ذلك دون أن أدنس فراشك أو فراشي ولكني لن أتصل بك. لسوف أهجرك».

وانتبهت هيرا مكاناً قصياً عن سائر الآلهة، ثم ابتهمت ضاربة الأرض براحة يدها قائلة: «أي جايا وأوارنوس (الأرض والسماء) استمعوا إليّ من عليانكما. وأنتم أيها التيتانيس الجبابرة، استمعوا إليّ، يا من تسكنون تحت الأرض في تاتاروس، أنتم يا أجداد الآلهة والناس، أعيروني آذانكم جميعاً، وهبوني ابناً لا يكون أضعف من زيوس نفسه. وكما كان زيوس أشد بأساً من أبيه كرونوس، اجعلوا ابني أشد بأساً منه». وضربت الأرض بيدها القوية، فسرت رعدة في أوصال جايا، مصدر الحياة، وانشرح قلب هيرا لأنها أدركت أن جايا استجابت لها وحقت آمينتها. ومنذ ذلك الحين لم تقضاجع هيرا زيوس عاماً بأكمله، ولم تجلس إلى جانبه حيث اعتادت أن تجلس وتشاوره الأمر. وأقامت هيرا في المعابد تستمتع بما يقدم لها من

قرايين. وبعد أن مر عام جاءها المخاض فولدت مخلوقاً لا يشبه الآلهة أو الناس، وكان هذا المخلوق هو تيفان، التين الرهيب الذي كان وبالا على البشر. وحملته هيرا إلى دلفي حيث عهدت به إلى التينية بيتون، تلك الأفعى الهائلة التي صرعاها أبوللون بسهمه الذي لا يطيش.

ولعل قصص التشاحن المستمر بين الزوجين الإلهيين هي صدى ذكريات خافتة عن الوقت الذي لم يكن التوفيق قد تم بين عبادتهما. وعلى أي حال فقد اشتهرت هيرا دائماً بأنها حافظت على رباط الزواج المقدس كما عرفت أيضاً، كارتيميس وهكتاي وابتها إيليثيا، بمساعدة النساء عند الوضع، وبحضارة الأطفال وتربيتهم، لقد كانت هيرا ربة للنساء وربة للزواج وبخاصة في شؤون حياتهن الجنسية. فلقد لقيت في بلدة مثل استيمفالوس في إقليم أركاديا بالفتاة والزواج والأرمل، فإن هذا لا يعني - كما أسلفنا - سوى أن النساء جميعاً، على اختلاف أوضاعهن، كن يبتهلن إليها ويسألنها العون في ساعة الشدة.

وثمة قصة أخرى عن هيرا. فقد أحست هيرا بالخزي من ابنها هيفايستوس الذي ولد قبل الأوان فجاء مشوهاً قبيحاً، ولذلك نبذته منكرة أنها أمه. وأثار ذلك حقدّه الدفين عليها. وقد وكلت إلى هيفايستوس بوصفه أمهر الصناع، صناعة عروش الأرباب. ولم يلبث أن أرسل عرشاً جديلاً إلى هيرا، واغتبطت هيرا بالهدية وجلست على العرش ولكنها سرعان ما رجدت نفسها مقيدة بسلاسل خفية. ولم يلبث العرش نفسه أن ارتفع بها وهي مصفدة عليه بالأغلال في أعلى القضاة. ولم يستطع أحد أن يفك أسرارها، فساد الذعر بين الآلهة. وقد أدركوا جميعاً أن الحيلة من صنع هيفايستوس فبعثوا إليه برسالة يرجونه فيها ضرورة الحضور لإطلاق سراح أمه. ولكنه أجابهم في عناد بأنه ليس له أم. واتفق مجلس الآلهة وخيم الصمت على الجميع، ولم يدروا كيف يحملون هيفايستوس على الحضور إلى أولمبيوس. وانبرى أريس، رب الحرب، ليضطلع بالمهمة.

هرمس (اللس الصنير)

هرمس هو ابن الاله زيوس رب الأرباب، وقد أنجبه من حورية جميلة تدعى مايا. وكان إلهاً رقيق الحركة، سريع الخطى، تعينه على الطيران أجنحة في نعليه، وفوق قبعته العريضة وحول عصاه السحرية. ولذلك اشتهر هرمس بأنه رسول الآلهة ورسول زيوس بالذات الذي كان يوكل إليه بالمهمة فينجزها على أسرع وجه، إن لم يكن في لمح البصر. وكان هرمس أكثر الآلهة فطنة ودهاء ومكرأ. وليس ثمة تَجَرُّ إن وصفناه بالرياء والخداع والخبث. وإذا شئت الحق، فقد وصف بأنه «اللس الأول» الذي مارس السرقة قبل أن يناهز اليوم الأول من عمره. فقد ولد مع الفجر، ولكنه استطاع أن يسرق بقر أبوللون قبل أن يرخي الليل سدوله. ولما كان اسمه فيما يرجع، مشتقا من كلمة بمعنى كوم الحجارة الذي تتقمصه روح سحرية أو الحجر الملقاة على جانب الطريق بقصد السحر، فإن تماثله الدينية كانت تحت من قديم الزمن على شكل عضو إخصاب منحوت من الحجر أو على شكل عمود من الحجر مستطيل الشكل يعلوه رأس إنسان يتوسطه عضو الإخصاب.

وفي الحق أن الأخير كان رمزاً لهذا الإله الذي كان معنياً بالإخصاب، مما يفسر اقترانه أحيانا بربات لهن دخل بهذا الأمر، مثل أفروديتي، وكان على هرمس بوصفه رسولا للآلهة أن يبلغ رسالته في وضوح أو أن يدافع أحيانا عن وجهة نظر من أرسلوه. ومن ثم نشأ ارتباطه بالخطابة. ولما كان هو الذي ابتدع القيثارة فلم يكن من العسير أن يصبح بمرور الزمن راعيا للآداب. ولا يتضح لنا السبب الذي من أجله اعتبر هرمس في العصر

غير أنه ارتد على أعقابهِ خامسا، بعد معركة عنيفة بالمزاريق والحرايب، أمام اللهب الذي قذفه به رب النار والبراكين، وعاد يَحْفَي حنين منهزما محسورا. ولكن ديونيسوس، إله النبيذ، وابن زيوس وسميلي هو الذي استطاع أن يحضر هيفايستوس إلى منزل الآلهة، فقد احتال عليه بأن قدم له نبيذا أثمله وأفقده وعيه. وعندئذ أركبه ديونيسوس بغلا ورافقه إلى أولمبيوم كأنه يسوقه في موكب من مواكب النصر. ولا مراء في أن الآلهة قد ضجوا بالضحك عندما شاهدوا الصانع الماهر وهو يترنح مخمورا. ولكنه لم يكن ثملا إلى الحد الذي جعله يطلق سراح أمه دون مقابل. فقد أصر أن يحظى بأفروديتي زوجة له، أو برة أخرى. غير أن هيفايستوس الأعرج لم ينل أبداً الحظوة لدى الإلهات. وعلى أي حال فقد أخلى سبيل هيرا بعد تحطيم الأغلال.



الكلاسيكي (الذهبي) راعيا للشباب وتدريبهم الرياضية، أو لِمَ كان هو نفسه يصور في شكل شاب؟ وليس ثمة من تفسير لذلك سوى أن نفترض أن الإخصاب يقتزن بالحظ وأن الحظ السعيد أمر لازم للمبتارين في الألعاب، وأن الأخيرة هي ميدان الشباب الذين كانت تدريبهم الرياضية عنصراً جوهرياً من عناصر التربية في كل الدولات اليونانية. وثمة وظيفة أخرى كان يمارسها هرميس بوصفه رسولاً. فقد كان مرشد الأرواح في طريقها إلى مقرها الأخير في عالم الموتى. وهنا تبرز أهمية عصاه السحرية التي هي أداة لا غناء عنها للساحر الذي يخاطب الأموات، وإن كان بعض الباحثين يفرقون بين هذه العصا الذهبية ذات الأوراق الثلاث التي تمنح الثراء، وبين عصاه كرسول للآلهة والتي يلتف حولها ثعبانان. وكان هرميس فوق ذلك إله التجارة والأسواق والحدود راعياً لعابري السبيل ومرتادي الطرق ومن بينهم للصمص.

ولقد اكتسب هرميس لقب أمير اللصوص عن جدارة فلم يكذب يخرج من بطن أمه حتى بدأ يحمل مهددة المقدس. فقام من فورهِ وأخذ يروح ويغدو أمام مدخل الكهف الذي ولد فيه باحثاً عن قطع من البقر كان يملكه أخوه أبوللون. وقد التقى عند خروجه من الكهف بسلاحفة تجر قدسيها في بظه شديد، فرحب بها قائلاً: «كم أنا سعيد برويتك أيتها الراقصة الجميلة! لقد أتيت في الوقت المناسب. لكن هل لك أن تخبريني من أين لك هذه الدمية اللطيفة، تلك الصدقة البراقة التي تقي ظهرك وأنت من سكان الجبال؟ لسوف أخذك إلى بيتي لأنتفع بك». وحمل هرميس السلاحفة إلى داخل الكهف وقطعها يديه وصنع من صدفيها قيثارة. وقد فعل ذلك بأن ربط الصدفة إلى بوصتين وشدها كلها بأوتار جلدية من أحشاء الغنم، وشرع يعزف عليها عزفاً جميلاً بلغ مسامع الآلهة. وقد تغنى بزيوس وأمه مايا منشداً قصة غرامهما مشيداً بمولده.

غير أن هرميس سرح بفكره إلى شيء آخر. فقد هفت نفسه إلى اللحم،

ولذلك ألقى بالقيثارة في المهد وغادر الكهف وأخذ يجول خفية باحثاً عن فريسة مثلاً يفعل للصمص تحت جنح الظلام. وكان هليوس يبهط من السماء بعربته ذات الجياد فأذنت الشمس بالمغيب عندما وصل هرميس إلى بيريا على مقربة من الجبل الظليل حيث كانت ترعى أيضاً قطعاناً لأرباب وسط الأعشاب النضرة أو تقع في حظائر الفسيحة.

وسرق هرميس خمسين بقرة من القطيع وساقها معكوسة الوضع، بحيث كانت حوافرها الأمامية إلى الخلف وحوافرها الخلفية إلى الإمام. ودفع هرميس بغنيمته إلى أرض رملية. وقد ابتكر لنفسه تلعين كبيرين ليس في وسع غيره أن يتكرر مثلهما، قد صنهما من أغصان الشجر، وربطهما في أسفل قدميه. وغادر المكان على عجل لأنه كان لا يزال أمامه طريق طويل. وشاء سوء حظه أن يراه رجل عجوز كان يفلح بستان كرومه في بوياتيا بالقرب من أونخستوس بعد أن قطع النصف من رحلته. وقال هرميس: «أيها العجوز، لسوف يأتيك محصول وفير من العنب، لكن عليك أن تلزم الصمت، وكانك لم تر ما رأيت ولم تسمع ما سمعت! وإني لأنذرك بسوء العاقبة إن نبتت بنت شفة!«.

وحث هرميس الماشية على السير فوق الجبال والوديان والمرتج والزاخرة، واتقضى الليل، حليف اللصوص. ولاحت تباشير الفجر. وجذَّ الإله في السير طوال النهار. وعندما ظهرت سيليني، ابنة بلاس، ربة القمر، في كبد السماء، كان هرميس قد بلغ ضفاف نهر الفيوس، أكبر أنهار البلوبونيز، ودفع هرميس بماشية أبوللون المسروقة إلى فناء الكهف حيث أخذت تأكل من الأعشاب الهشة الناعمة. وجمع الإله خشباً من أشجار الغار وأضرم ناراً هائلة في حفرة فبدت كأنها أتون يتصاعد منه لهب مستعر. وأحضر بقرتين وطرهما أرضاً، ثم كسر عظمهما وقطع اللحم والشحم وشواههما جميعاً على أسياخ خشبية، وأما الجلد فوضعه على صخرة ليحلف في الشمس. ثم قطع اللحم إلى اثني عشرة قطعة لآلهة أوليمبيوس الاثني

عشر، محتفظاً بقطعة لنفسه. وإذا كانت نفس أحد الآلهة قد هفت إلى لحم القرايين وسأل لعبه عندما شم رائحتها الشبيهة، فقد قاوم شهوته ولم يضع أي قطعة من اللحم في فمه لأن الآلهة التي تقدم لهم القرايين لا يأكلون في الواقع من لحم الاضاحي. وكدس هرميس اللحم في فناء الكهف كنصب تذكاري لأول سرقة من سرقاته.

ولما فرغ الإله من عمله ألقى بنعليه في النهر وأطفا النار وذر الرماد الاسود في الهواء. ومضت ليلة ثم مضت أخرى وهرميس ما يزال متغيماً عن بيته. وأخيراً عاد مع الصباح المبكر إلى جبل كيليني ولم يقابله أحد في رحلته الطويلة، لا إله ولا بشر ولم ينج في وجهه كلب. وتسلسل هرميس إلى الكهف من ثقب باب كما تسلسل منها نسمة من نسائم الخريف. ودلف في خفة دون أن يشعر به أحد، واستلقى على مهده وجذب قماطة حول كتفيه. وبدأ يلهو كالطفل الرضيع بالملاءة التي تحيط بردفه. وتناول واضعاً قيثارته تحت ذراعه اليسرى. غير أن أمه، الربة مايا، رأت كل شيء، وقالت لابنها الإله: «من أين جئت، أيها الولد الماكر، وأين كنت تمضي الليل، أيها اللعين؟ لشد ما أخشى من أن يجرئك أبوللون بن ليتو عبر هذا الباب بعد أن يقيد جسمك بالأغلال. أتريد أن تنفق حياتك، كما يفعل اللصوص، قابعاً في الشقوق؟ فتعدد إلى حيث كنت! وكان أباك لم ينجبك إلا لتثير المتاعب في وجه الآلهة والناس». وأجاب هرميس: «لماذا، يا أماء، توجهين إليّ هذا الكلام القارس كأنك تخاطبين طفلاً لا يعرف عن الشر إلا القليل، وترتعد فرائصه عندما تؤنبه أمه؟ أما أنا فقد اخترت هذه الحرفة الماهرة التي ستكفل لي ولك أوفر الرزق. أتريدن أن تجلس بين الآلهة دون هدايا ودون صلوات، كما هو شأنك؟ إنني أعترم أن أحظى بنفس التوقير ونفس التقديس الذي يحظى به أبوللون. فإذا لم يُعطني أبي، فلن تعوزني الجرة لكي أصبح أميراً للصوص. ولئن طاردني ابن ليتو لأنزلن به ضرراً أفدح من سابقه. فلسوف أذهب إلى ييثو وأسرق منزله الذي

نهر
في

يزخر بالمقاعد المثقلة القوائم والأحواض والذهب والحديد ومختلف الثياب. ولسوف ترين، إن شئت، ما سوف أفعله».

وعندما انبلج الصباح من أوقيانوس، كان أبوللون قد بلغ أونخيستوس ودخل غابة بوسيدون المقدسة. وهناك التقى بالرجل العجوز الذي كان يفلح بستان الكروم على جانب الطريق. ويادره أبوللون بالسؤال عن بقراته ذوات القرون المغضنة، لأن اللص لم يترك له سوى الثور والكلاب، سارقاً جميع البقر. وسأل أبوللون الرجل العجوز إن كان قد رأى أحداً يسوق ماشيته. فأجاب العجوز: «يا صاحبي، أنه لمن العسير أن يتذكر المرم كل ما تراه عيناه. فكثير من الناس يمررون بهذا الطريق، وبعضهم طيب وبعضهم الآخر خبيث. فكيف يستطيع المرم أن يحكم عليهم جميعاً. وفضلاً عن ذلك فإنني كنت هنا في بستان طيلة النهار حتى مغيب الشمس. غير أنه يبدو لي أنني رأيت غلاماً صغيراً - وإن لم أكن متيقناً - رأيته يمر ومعه قطع من البقر وكان ممسكاً في يده بعضاً. وكان يسير خلف القطيع مثلثاً وراءه في حذر». فلما سمع أبوللون هذا الكلام أسرع الخطى، وما لبث أن رأى طائرأً يأسطاً جناحيه فأدرك على الفور أن السارق هو أحد أبناء زيوس. وفي وثبة واحدة بلغ بيلوس مدثرا في رداء من الضباب الأسود. ورأى أبوللون بعينه أثر الأقدام، فقال لنفسه: «إنه لأمر غريب، فهذه أقدام ماشية، ولكنه يسير في الاتجاه المضاد الذي ينتهي عند مرج الزنبق. غير أنه ليس أثراً لأقدام رجل أو امرأة أو ذئب أو دبة أو أسود. ومن المستحيل أن تترك قدماً الكنتاروروس نفسه مثل هذا الأثر الضخم. إنه لأمر غريب يزيد من حيرتي».

وهرع أبوللون إلى جبل كيليني على مقربة من المغيا الصخري الذي ولدت فيه الحورية الخالدة مايا ابناً هرميس من الإله زيوس. واقتحم الكهف وهو يتلفت يمنة ويسرة. فلما رأى هرميس الشرر يتطاير من عين أبوللون أخفى نفسه في قماطة مثلما تختفي جذوة من النار تحت الرماد،

وانكمش واضعاً رأسه بين ساقيه كمن يلتبس الدفء بعد الاستحمام أو من يداعب الكرى عينيه. لكن هرميس كان يقظان متنبها وقشارته تحت إبطه. وأجال أبوللون بصره في جميع أركان الكهف، وفتح بمفتاحه المعدني ثلاث حجرات خفية كلها مليئة بالانكار والأمبروسيا، وتفيض بالذهب والفضة والياب القرمزية والأرجوانية الزاهية، كذلك الثياب التي تزخر بها منازل الآلهة المباركين، وبعد أن نقب أبوللون في كل أركان الكهف، انضت إلى هرميس قائلاً: «أيها الطفل هنالك، أنت يا من تسترخي في المهدي! قل لي بربك أين البقرات؟ ولخير لك أن تبادر بالرد، وإلا فإننا لن نفرق في سلام، وألقي بك في ظلام تزاروس الحالك الذي لا خلاص منه». عندئذ أجاب هرميس في خبث: «أي كلمات نابية هذه التي تنفقه بها يا ابن ليتو؟ أي بقرات هذه التي تبحث عنها؟ إنني لم أَر شيئاً منها ولم أسمع عنها أبداً. وليس لدي أي معلومات أدلي بها إليك فأفوز بمكافأة المخبرين أو الوشاة، أو أبدو كرجل قوی يستطيع أن يسرق البقر؟ إن هذا ليس عملي، بل هو أبعد ما يكون عن عملي. إن عملي هو النوم والرضاعة من ثدي أمي والاستلقاء بين لفائفي أو في حمام دافئ. ألا فلتحذر إذن أن يعلم أحد سبب غضبك عليّ وتعتيئك إليّ! لسوف يذهل الناس عندما يقال لهم إن طفلاً حديث الولادة ترك مهده وخرج ليبحث عن البقر! لقد ولدت يا أبوللون، بالأمس فقط، وما تزال قدامي ناعمتين بينما الأرض خشنة. لكن إذا شئت، فإنني أقسم لك برأس أبي أنني غير مذنب، ولم أر أي شخص آخر يسرق بقراتك. فهذه أول مرة أسمع فيها عن هذه البقرات».

وابتسم أبوللون وقال: «أي طفلي المدلل، أنت ماكر مخادع تتكلم كما يتكلم لص عريق! كم سيعاني منك الرعاة في الجبال عندما تهفو نفسك إلى اللحم فتنتفض على قطعانهم. لكن إذا أردت أن لا يكون نومك هو الأخير، فلتهب من فراشك يا رفيق الليل الحالك! وسوف تستهتر أبداً بين الآلهة بأنك أمير اللصوص».

وأمسك به أبوللون يهيم بحمله بين ذراعيه، ولكن الطفل احتال عليه حتى أدخل سبيله، ثم وثب وثبة قوية وأخذ يعدو أمامه ملوحاً بيديه وتادباً حظه ولاعناً كل البقر، ولم يكف عن الصياح مؤكداً براءته ومحذراً أبوللون من غضب زيوس.

وانتقل الأخوان إلى أولمبيوس ليعرض كل منهما شكواه على أيهما رب الأرباب. وقد عامل زيوس هرميس معاملة الغرب، فسأل أبوللون أين وجد ذلك الطفل اللطيف الذي يشبه الرسل، وسأله إن كان من اللائق أن يطرح مثل هذا النزاع على مجلس الآلهة. وعندئذ روى أبوللون لأبيه أعمال اللص الصغير وكيف سرق منه بقراته وضلله بلبس النعلين الضخمين في قديمه، وكيف ضبطه آخر الأمر في أحلك ركن من الكهف المظلم حيث لا يستطيع السر نفسه أن يراه. واستطرد يروي لكبير الآلهة سلسلة أكاذيب أخيه.

عندئذ مد هرميس أصبعه نحو زيوس وقال: «أي زيوس الأب، لسوف أقول لك الحق لأنني صادق ولا أستطيع أن أكذب. لقد أتى أبوللون إلى بيتنا في فجر هذا الصباح يبحث عن بقراته ولم يحضر معه شهوداً شاهدوا ما حدث حتى يستطيعوا الإدلاء بأقوالهم أمام الآلهة. وقد حاول أن يرغمني بالقوة على الاعتراف، وهدد باللقائي في تزاروس لأنه فتى قوي في أوج شبابه، في حين أنني وليد الأمس فقط، كما يعلم هو نفسه. ولا مراة في أن أبي سوف يصدق كلامي، فانا أعلم سوء العاقبة إن لم أقل الصدق. وإنني لأخجل من الكذب في حضرة هليوس، إله الشمس، وسائر الآلهة. ولقد أقسمت مرة من قبل برأس زيوس، ولكن في هذه المرة أقسم بين يدي زيوس عند مدخل قصر الآلهة الخالدين، وجدير بزيوس أن ينصر الصغار المستضعفين».

أغرق زيوس بالضحك وناشد الآخرين التصافي والوثام، وأمر هرميس أن يدل أخاه على المكان الذي أخفى فيه البقر. وعندما تكلم زيوس أولاً

إليه برأسه تلك الإيماء التي لا يستطيع أن يعصاها هرميس نفسه أو غيره من الآلهة. وأسرع الأخوان الخطى إلى ييلوس حيث أخرج هرميس البقر من الحظيرة التي أخفاها في كهف بجوار نهر القيقس بأركاديا.

شاهد أبوللون من بعيد جلود بقراته مطروحة على الصخرة الضخمة. وتعجب من قوه أخيه الطفل الذي استطاع أن يطرح اثنتين منها أرضاً وينحرهما بيديه. وقد أنجز هرميس عملاً عجيباً آخر: فعندما حاول أبوللون أن يوقته والبقر بالمسليج، جعل هرميس جذور المسليج تنغرس ثانية في الأرض ثم تنمو فوق البقرات من جديد بحيث تعذر عليها الحراك. ولكنه هذا من ثأرة أخيه بلحن القيثارة الشجي، فأنشراح صدر أبوللون وضحك ضحكة عالية. فقد نفذ النغم العجيب إلى فؤاده ومس شغاف قلبه واستبد به الشوق إلى سماعه بكل جوارحه. ووقف هرميس يعزف بقيثارته ويغنى بصوت رخيم مترنماً بالآلهة الخالدين وفي مقدمتهم ميثوسيني، ربة الذكرى أو الذاكرة، ولم يعد في وسع أبوللون مقاومة رغبته في اقتناء القيثارة. ولم ينكر أن هذه الآلهة الموسيقية تعدل بقراته الخمسين، وهما أخاه على ابتكارها. وقد أعجبه فيها أن نغمها الذي يعث البهجة في النفس، ويشير الحب في القلب ويُغري العيون بالنوم. وقال لأخيه هرميس إنه كان إلى اليوم رفيقاً لربات الفنون، ولكنه سيحز من الآن الشهرة من الآلهة. وأضاف بإنه مستعد لأن يعده بأي شيء في مقابل القيثارة. واستجاب له أخوه فأعطاه إيثاها.

وتلقى هرميس من أبوللون أول هدية وهي عصاه، ثم مركزه كراع للماشية له مكانته. وبديهي أن يُقيم لأخيه أنه لن يسرق منه القيثارة أو القوس. عندئذ أعطاه أبوللون هدية أخرى وهي تلك العصا التي تمنح حاملها الثروة، وهي غير عصا هرميس المشهورة التي كان يحملها بوصفه رسولا يلتف حولها ثعبانان، وكان الشيء الوحيد الذي لم يستطع أبوللون أن يتنازل عنه لأخيه الصغير، هو المقدرة على التنبؤ أو العرافة لأن أبوللون

نهر
٢٤

هو الذي كان وحده يعلم الغيب ويعرف مشيئة زيوس. ولكنه تنازل له عن سيطرته على الوحش، ويؤاه منصب «مرشد الأرواح» على الطريق المؤدي إلى قصر هاديس.

وقد سبق أن ذكرنا كيف كانت تماثيل هرميس الدينية تصنع في شكل عضو إخصاب منحوت من الحجر أو في صورة عمود حجري مستطيل له رأس إنسان وفي منتصفه عضو تذكير. هذا الشكل من تماثيله نشأ أول ما نشأ في إقليم تساليا حيث تقع بحيرة بوييس التي سلفت الإشارة إليها عند الكلام عن مولد اسكليبيوس ابن أبوللون. وقد أصبحت شواطئ هذه البحيرة مسرحاً لقصة حب كان هرميس أحد طرفيها. ويختلف الرواة فيمن كان الطرف الآخر. فمن قائل إنها كانت برسيفوني، ربة عالم الموتى أو بيمرو أي الربة القوية، أو أرتيميس نفسها، ربة الصيد العذراء.

غير أن الرواية الراجحة تقول إن هذه الربة التي اتصل بها هرميس كانت أفروديتي نفسها، ربة الحب والجمال وكان هرميس وأفروديتي، وفقاً لهذه القصة، أخوين أنجبهما أورانوس، رب سماء الليل، من هيمرا ربة ضوء النهار. ولا بد من أنهما كانا توأمين لأن عيد ميلادهما واحد، وهو اليوم الرابع من الشهر القمري. وقد أنجب هرميس وأفروديتي ابناً يدعى إيروس، أو لعله ابن يدعى باسم آخر. وعلى أي حال فإن أفروديتي عهدت بابنتها هذا إلى حوريات جبل «إيدا» بجزيرة كريت حيث نما وترعرع في أحد الكهوف، وكان الابن الجميل يحمل الكثير من سمات أبويه وملامحهما. فلما بلغ الخامسة عشرة من عمره غادر موطنه الجبلي وطاف في جميع أنحاء آسيا الصغرى حيث أعجب بالأنهار والينابيع والعيون التي صادفها في طريقه. وأخيراً بلغ إقليم أركاديا حيث نزل على مقربة من ينبوع الحورية سلماكيس. ولم تكن سلماكيس إحدى رفيقات أرتيميس، لأنها لم تهو الصيد أبداً، بل كانت تقضي الوقت في تصفيف شعرها والنظر في الماء إعجاباً بصورة وجهها المنعكسة على صفحته. وعندما رأت الغلام الجميل - الذي لا

بوسيدون (اله البحر)

وأما بوسيدون فهو كما يبدو يوناني النشأة، وكان في أول الأمر، ربا للزلازل والماء لأن الإغريق وفدوا أصلاً من منطقة مائية، ولكنه أصبح فيما بعد إلهاً للبحر. ويدهي أنه كان على جانب كبير من الأهمية في نظر شعب كالإغريق يعيشون على البحر وترتبط حياتهم به كل الارتباط. وفي الحق أن بوسيدون كان يلي زيوس مباشرة في جلال القدر والرفعة. وقد اختلف الباحثون في تفسير اسمه. إذ يرى فريق منهم أن المقطعين الأولين منه يتضمنان معنى الشراب أو الماء. ولعل لقب «مزلزل الأرض» - وهو من أهم القاب هذا الإله - يرمز إلى فكرة بدائية قديمة نشأت لتعليل ظاهرة الزلازل الطبيعية، وهي تجاوب والنظرية القائلة بأن للماء دخلاً بالهزات الأرضية.

تقول الأساطير إن بوسيدون كان أحد أبناء كرونوس الثلاثة، أي كان شقيقاً لزيوس وهاديس. ويقرن مولد هذا الإله بحيوانين هما الكبش والحصان. وقد ظهرت الآلهة في بلاد اليونان، وفي غيرها من أقطار البحر المتوسط، في صورة الكبش قبل أن تظهر في صورة الحصان بحقة طويلة. ويرى أن رهيا أخفت بوسيدون بعد ولادته بين قطع من الخراف عند ينبوع يسمى أرني، أي ينبوع الخراف، وأنها خدعت أباه كرونوس الذي أراد أن يلتهم الطفل الرضيع - كما فعل بسائر إخوته - بإعطائه جواداً صغيراً - مهراً بدلاً منه مثلما خدعت من قبل بإعطائه حجراً التهمة بدلاً من الطفل زيوس. وفي رواية أخرى أن حورية النينوع التي عهدت إليها رهيا بالطفل بوسيدون لتقوم بحضاته كانت تحمل اسماً مختلفاً في ذلك الحين، ولم تكتسب اسم

يستبعد أنه كان إيروس - تدهلت في حبه، ولكنها لم تستطع إغواءه. لكن الفتى الوسيم، وإن كان قد قابلها بالصد والإعراض وقاوم إغراءها، فإنه لم يستطع مقاومة إغراء الماء. ولم يلبث أن قذف بنفسه في النينوع. عندئذ أقبلت عليه سلماكيس واحتضنته وحقت الإلاهة رغبتها فيه، واتحدت الحورية اتحاداً تاماً مع هرميس وأفروديتي، وأصبحت ذلك الابن الذي عرف باسم هرمافروديتوس، أي أصبحت غلاماً أنثى، وإن لم يفقد كل رجولته مثلما فقدتها آتيس. ومن المؤكد أن هذه الرواية ليست قديمة، لكن ينبغي أن نتذكر أن أفروديتي نفسها عبت في أماتوس بجزيرة قبرص باسم أفروديتوس. وهكذا نجد أيضاً في تلك الجزيرة هذا الاتحاد بين الذكر والأنثى في كائن واحد، وهو ما حققته الحورية سلماكيس، وما نعبر عنه اليوم بكلمة الجنس الثالث.



تمثال هيرميس

أرني إلا بعد ما طالها كرونوس برد ابنه إليه فأكرت وجوده. فكان الاسم لا صلة له بالخراف، بل مشتق من فعل مشابه النطق، بمعنى الإنكار. غير أن هذه الرواية فضلا عن أنها متأخرة لا يمكن أن تكون حقيقية.

وثمة أسطورة أخرى يتزوج فيها بوسيدون وهو في صورة الكبش. فقد هام بثيوفاني، وهي ابنة ملك لمقدونيا تنحدر من صلب الشمس والأرض. وكانت فتاة رائعة الحسن فاته الجمال نهافت الشبان عليها وتنافسوا في طلب يدما. ولكن بوسيدون اختطفها إلى جزيرة تعرف باسم «جزيرة الكبش». وعلى أي حال فإن القصة تمضي قائلة إن بوسيدون مسخ عروسه نعمة ومسخ نفسه كبشاً، وكذلك فعل بسائر سكان الجزيرة. فلما تعقب الخطاب أثرهما استعصت عليهم معرفتها.

وأنم بوسيدون زواجه من ثيوفاني وأنجب منها كبشاً، وهو نفس الكبش الذي حمل فريكسوس إلى كولخيس، وأدى إلى قيام ملاحى السفينة «أرجو» برحلتهم المشهورة لاسترداد فروته الذهبية. وفي رواية أخرى أن رهيا نقلت طفلها الرضيع بوسيدون إلى مكان أمين عند قوم من الصناع المهره يدعون بالتلخينيس وهم سكان جزيرة رودس في العالم الآخر (السفلي). وكانوا سحرة أشراراً يحرصون على أسرار صناعتهم كل الحرص، وقد صنعوا أول تماثيل للألهة، وصحبوا رهيا إلى كريت حيث ساهموا في تربية زيوس الطفل. غير أنهم اشتهروا كرميين لبوسيدون. وقد عاوتهم في ذلك الموضع كافيرا، ابنة أوقيانوس. وكان التلخينيس هم الذين صنعوا لبوسيدون حربةً مثلثة الشعاب، التي كان يهز بها ما يشاء ويحطم ما يشاء.

وقد ورد في هذه القصة ذكر لأخت لهم تدعى هاليا أي ساكنة البحر. فلما اكتملت رجولة بوسيدون وقع في حب هاليا وأنجب منها ستة أبناء، وابنة تدعى رودس، وهي التي سميت باسمها الجزيرة المعروفة. وقد حدث ذلك عندما انبثق العمالقة في الجزء الشرقي من الجزيرة وفرغ زيوس

من القضاء على التيتانيس. وكانت أفروديتي قد نبتت هي الأخرى من زيد الموج على مقربة من كيثرا، واتخذت طريقها إلى قبرص. غير أن أبناء بوسيدون بما جيلوا عليه من قحة وتجبر، منعوها من النزول بالجزيرة. ولذلك اقتصت الربة منهم فأصابهم بجنون زين لهم أن يضاجعوا أمهم. ولم يقترفوا هذا المنكر فقط بل عاثوا في الجزيرة فساداً وأرهقوا سكانها بأفعالهم المشينة. فلما نعى ذلك إلى علم بوسيدون انتقم من أبنائه لما ألحقوه بأهمهم من وصمة وما ارتكبه من إثم، فواراهم في باطن الأرض إلى الأبد حيث عرفوا منذ ذلك الحين «بأرواح الشرق». وأما هاليا فقد ألفت ينسها في البحر وعرفت بعدئذ باسم ليوكوثيا أي «الربة البيضاء»، وعيها سكان الجزر بوصفها ربة خالدة. وجدير بالذكر أن ابنتها رودس هي نفسها رودى، التي قيل إنها ابنة أفروديتي أو أمفيتريتي.

ولبوسيدون مغامرة مع ديميتر. لقد كان الاسم دا - اسماً قديماً للربة جا أو جايا. ومن المحتمل أن ديميتر أو داميتر ا اكتسب هذا الاسم بوصفها ربة الأرض، وبهذه الصفة تزوجت بوسيدون. لقد جمع بين الإلهين ارتباطهما بالمزارع أو بالأحرى ارتباطهما بالعوامل التي تنظم شكلاً معيناً من أشكال الحياة الزراعية، فاقتربت ديميتر بالقمح، بينما اقترن بوسيدون بالحصان منذ دخلت تربية الخيول بلاد اليونان. وعندما ارتبطت ديميتر مع زيوس برباط الزوجية، كانت في حقيقة الأمر صورة أخرى أو صنواً لرهيا، الربة وكأنها الأم، فكانها عندما أنجبت بريسفوني أنجبتهما من ابنتها نفسه، وكأنها تمخضت عن ذات نفسها من جديد وهو سر ديني لم يصل منه إلى مسامع الناس، ولكنها عندما ارتبطت ببوسيدون إذ تزوجت بوصفها «الأرض» التي تنبت الزرع والحيوان، فكان في وسعها أن تتحل شكل سنبله من القمح أو فرس من الفراس. ولقد رُوي أن بوسيدون عندما شرع بطارد ديميتر ويطارحها الغرام، كانت الربة مشغولة عنه بالبحث عن ابنتها بريسفوني التي اختطفها بلوتون. لم يسع ديميتر إلا أن

تتقمص صورة فرس وتختلط بالخيول التي ترعى في مزرعة أحد الملوك. غير أن حياتها لم تنطل على بوسيدون الذي كشف خدعتها وعاشرها بعد أن تمثل لها في شكل حصان. وقد أثار ذلك حق ديميترا فتحولت إلى ربة من ربات الغضب. وظلت تحمل هذا الاسم حتى انتفاً غضبها بالاغتسال في نهر لادون، فعرفت باسم ديميترا. أي «المغتسلة». وقد أنجبت من بوسيدون ابنة لا ينغي أن يباح باسمها خارج قاعة الاسرار الدينية. كما أنجبت في الوقت نفسه أريون ذا العرف الأسود، وهو عرف ورثه عن أبيه كما ورد في أقدم الروايات. وقد تزوج بوسيدون أيضاً ميدوسا الجورجون المتوحشة وأصبح عرفه الأسود حيتل جداول سوداء. وعند قطع برسيوس رأس ميدوسا، وهو رأس له وجه ربة من ربات الغضب، نبت من عبقها الجواد الشهير بجاسوس، وهو جواد سحري ذو جناحين كان يحمل صاعقة زيوس ويرتبط بمدينة كورنثة كل الارتباط.

وقد تمثلت ديميترا - كما رأينا في صورة ابنة لا ينغي لأحد أن يوح باسمها. وهنا نقف على طرف من قصص الديانات السرية، التي راجت في بلاد اليونان. كذلك تمثل بوسيدون في صورة جواد. ومن أشهر القصص المعروفة قصة الحصان الأول الذي خلقه بوسيدون عندما تنازع وأثنية على ملكية أثينا؛ فقد انبثق هذا الحصان من أرض أثينا الصخرية على إثر ضربة من ضربات حربته مثلثة الشعب. وفي رواية أخرى أن الإله غلبه النعاس على صخرة في بلدة كولونوس بأثينا، فسال ماء لقاحه على الصخرة، فأنبثت الحصان الأول الذي عرف باسم الملتوي أو وليد الصخرة.

كما اقترن بوسيدون بأمفترتي، وهي زوجته الشرعية التي أصبح يزواجه منها سيد البحر. على أنه لم يكن لأي إله حُكم البحر من قبله أي صلة بالبياد، فلا برياروس ذو الأذرع المائة، ولا نيريوس أو بروتوس أو فوركيس، «إله البحر القديم» ظهر في أي صورة أو تحت أي اسم مرتبط بشكل الحصان. وقبل أن يكون هناك كائن كفرس البحر، اعتاد إله في

نهر

شكل الثور أن يجر خلقه عربة عبر الأمواج، وقد اتخذ بوسيدون نفسه شكل الثور، وكانت الثيران تنحر قربانا له بعد أن أصبح ربا للبحر. ذلك أن الثور أيضاً ظهر على شواطئ البحر المتوسط قبل ظهور الحصان بحقة طويلة. ولم تظهر أفراس البحر المشابهة للخيول ووحوشه الأخرى التي كان جسمها الحيواني الأسفل يجمع بين شكل الحصان وشكل السمكة، وكذلك بنات أوقيانوس وبنات نيرموس ممن يحملون أسماءهم تتم عن طبيعتهم المشابهة لطبيعة الأفراس، مثل هيبو، جميع أولئك لم يظهروا في البحر إلا بعد أن تربع بوسيدون على عرشه، وقد تحقق له ذلك عن طريق زواجه من أمفترتي. وكانت أمفترتي تعد سيدة البحر، وتملك زمام أمواجه وتسيطر على وحوشه. ولقد رُوي أن بوسيدون أبصر بالربة وهي ترقص مع عرائس البحر، من بنات نيريوس، في جزيرة ناكسوس، فاعتصبها عنوة. ولم تلبث أمفترتي أن فرت منه إلى الطرف الأقصى إلى غرب البحر، إما إلى أطلس أو إلى قصر أوقيانوس. وقد اقتفى بوسيدون أثرها طويلاً، وأخيراً دلت الحيتان على مكان اختفائها. وفي الحقيقة أن حوتاً هو الذي قادها إلى فراشه. وقد كوفى الحوت إذ وضع بين الكواكب فأصبح برج الحوت.

ولقد أصبح بوسيدون بعد زواجه أمفترتي سيد البحر. وبذلك حل مكان نيريوس وهو إله قديم للبحر، اشتهر بصدقه ونزاهته ووقاره وقدرته على التنويع ومهارته في تغيير شكله، شأنه في ذلك شأن بروتوس. وقد ظهرت هذه المهارة أثناء صراعه مع هراكليس الذي استطاع في النهاية تقييده بالأغلال لكي يذله على مكان التفاحات الذهبية. وقد أنجب نيريوس هذا من دوريس خمسين عروسا من عرائس البحر كن يعيشن معه في أعماق اليم، ومن بينهن كانت ثيس التي تزوجت بليوس، بعد أن صارعت، وأنجبت منه أخيلوس، بطل الإلياذة. ومع أن بوسيدون شاد نفسه قصراً فآخر في أغوار اليم، إلا أنه غالباً ما كان يقيم مع إخوانه من الآلهة، على قمة جبل أولمبيوس. وبإذنه كانت تهب العواصف، وبإذنه كانت تسكن.

فإذا ساق عجلته الذهبية على وجه الماء، هذا هدير الموج وانكسرت شوكة الرياح الصرصر، وأصبح سطح الماء كالصفحة الملساء. وكان الزوجان بوسيدون وأمفيتريتي يشبهان زيوس وهيرا من وجوه كثيرة. فكما كان زيوس يدعى أحياناً «زوج هيرا» كذلك كان بوسيدون ينادى بـ «زوج أمفيتريتي ذات المغزل الذهبية» وقد نظم موكب عرسها على غرار موكب ديونيسوس وأريادني. وفي هذا الموكب لم تظهر الخيول والثيران والكلاب فحسب، بل ظهرت أيضاً الرعول والضباب والأسود والنمور كوحوش بحرية تمتطي صهوتها عرائس البحر من بنات نيريوس. ولقد قيل إن بوسيدون اشترك مع أبوللون في بناء أسوار طروادة للملك لاوميديون، وإن ورد في الاللياذة أنه بناها وحده، بينما رعى أبوللون لهذا الملك ماشيته، وعندما غشه لاوميديون وأبى إعطاءه أجره، انتقم منه بأن أرسل وحشا من وحوش البحر عاث في أرضه فساداً.

وقد كان لبوسيدون الذي لم يتزوج أمفيتريتي وحدها كثيراً من عرائس البحر وحوريات النيايح والجنيات والبطلات، أبناء كثيرون قاموا بأدوار في الأساطير. ولم يكن من بينهم أبطال فحسب، بل كان بينهم مخلوقات متوحشة قهرها الأبطال، كبوليفيموس الكيكلوبس الذي فقا أوديسوس عينه الوحيدة مثيراً بذلك غضب بوسيدون عليه وانتقامه منه حتى أنه وضع العرائيل في وجهه أثناء عودته بحراً إلى وطنه إيثاكا حيث كانت تنتظره المتاعب. وحسباً أن تتكلم هنا عن أبناء بوسيدون من أمفيتريتي أو عن اثنين من أكثرهم شهرة: تريتون ورودس ربة الجزر.

أما الأول فيسميه هسيودوس بذى القوة العريضة، ويصفه بأنه إله عظيم يقطن في قصر ذهبي بقاع البحر مع أبويه. ويمضي الشاعر يقول إنه كان إلهاً رهيباً، وإن انهزم على يد هراكليس في حضرة «رب البحر القديم» الذي يبدو أن تريتون لم يبرح مثله في تغيير شكله، وكان مخلوقاً نصفه إنسان ونصفه الآخر سمكة أو حوت. وفي الإمكان مقارنته بأحد الساتيروى أو

نحو

الساتيروى وهم أرواح الغاب التي تصورها اليونان على أنها مخلوقات بشرية ضئيلة الجسم، مشوهة الشكل، بعضها في هيئة الجدي، جامع الشهوة شديد الإيذاء، وبعضها الآخر له أذنان مدببتان وحافر وذيل حصان وأنف أفطس وطبع متروم. وتشاهد هذه المخلوقات أحياناً وهي ترقص مع الحوريات أو في صحبة ديونيسوس، إله النبيذ أو بان إله الرعاة أو غيرهما من كبار الآلهة. وكان تريتون كأى سيلينوس أو سانيروس جامع الشهوة، مغتصباً للنساء، بل مغتصباً للغلمان، في وسعه أن يثير الذعر في قلوب الناس ويضلهم ببوقه المصنوع من الصدف أو المحار. وسرعان ما تعدد تريتون وأصبح يوجد مثله كثيرون ذكور وإناث. وكان الذكور يشاهدون عادة في صحبة عرائس البحر من بنات نيريوس وهن يسبحن في مواكب الزفاف وسط الأمواج، احتفالاً بزواج بوسيدون وأمفيتريتي، الذي أشرنا إليه، أو ميلاد أفروديتي أو بتلك الطقوس الدينية التي قيل إن عرائس البحر أبحن بأسرارها للإنسان.

لقد اشتهر بوسيدون في الديانة اليونانية كإله للبحر، وعُبد دائماً مرتبطاً بالبحر والملاحة. كما عُبد أحياناً كإله للماء العذب، وأحياناً أخرى كرب للزلازل. وقد شيد له أهل رودس معبداً في جزيرة ثيرا البركانية حيث عُبد باسم إسفالون أي مثبت الأرض وواقها من الهزات. ومن الطبيعي جداً أن يصبح بوسيدون بوصفه إلهاً للماء ربا للنبات وأن يُعبد أحياناً على هذا النحو في أنحاء كثيرة من بلاد اليونان.



عملة إغريقية قديمة عليها صورة بوسيدون

هيرا والتفاحة الذهبية

كانت لاله البحر «بوسيدون» حورية تدعى «ثيتيس»، وقعت عليها عين «زيوس» كبير الآلهة، فاعجبته.. لكنه علم من «الاقدار» أن الحورية سوف تلد ابنا يصير أعظم من أبيه. فأبى أن يكون هو ذلك الأب!.. ومن ثم قرر أن لا يضيفها إلى قائمة عشيقاته العذبات، بل يزوجه إلى ملك بلد مجاور.. ولكي يضيفي على الزواج رونقا وبهاء، رأى أن يحضر بنفسه حفلة العرس، مصحوبا بزوجه «هيرا» إلهة الزواج، وغيرهما من آلهة جبل الأوليمب.

وكان إله البحر - والد العروس - قد تعمد أن يتناسى دعوة إلهة الفراق الكريهة إلى عرس ابنته، لكن اللعينة ذهبت إلى ذلك الحفل متطفلة، وهناك ألقت وسط المدعوين الصاخبين «تفاحة» كتبت عليها هذا الإهداء الماكر: إلى «أجمل» الحاضرات!.. فتنازعت عليها ثلاث منهن «هيرا»، إلهة الزواج، وابنتها «أثينا» إلهة الفكر، ثم «أفروديت» إلهة الحب.. كل تزعم أنها أحق بها من سواها!.. وانحاز لكل ربة من الثلاث فريق من أنصارها والمعجبين بها، حتى كاد العرس يتحول إلى ميدان قتال.. لولا أن استقر رأي الحاضرين على أن يحتكما في النزاع إلى راع وسيم الطلعة يدعى «باريس»، يرعى قطع ماشيته على سفح جبل «ايدا» القريب.

ورغم أن الراعي الشاب «باريس» كان يكسب عيشه من هذه الحرفة المتواضعة، فإنه كان سليل ملكين من أعظم ملوك ذلك الزمان هما: «بريام» ملك طروادة، و«هيكوس» ملكتها!.. وكان عراف قد تنبأ له في طفولته بأنه سوف يجلب الخراب والكوارث على وطنه، فأثر والداه أن يضحيا به في سبيل طروادة، فتركاه على سفح تل ليومت.. لكن الاقدار

نهر
٢١

هيات له راعيا فقيرا عثر عليه فأنقذه، وتبناه!.. وشب «باريس» فأنث الطلعة رائع الجمال، إلى حد أوقع جميع الحوريات والراعيات في هواه.. أما هو فوقع في هوى حورية تدعى «أوتون»، وعاش الاثنان في سفوح جبل ايدا حياة مترعة بالسعادة.

وذات يوم.. جاءت الربات الثلاث المتنازعات على تفاحة الجمال الذهبية: أفروديت، وهيرا، وأثينا.. فالتقن بالتفاحة الذهبية بين يديه، وسألته أن يحكم بينهن بالعدل، فيمنحها لمن يراها أحقهن بها! ثم شرعت كل واحدة تحاول أن ترشوه - بغير استحياء - كي ينحاز إلى صفها.. فوعده «هيرا» بالسلطان والثراء.. ومنته «أثينا» بالشهرة والمجد الحربي. أما «أفروديت» فقد عرضت عليه أن تزوجه من أجمل نساء الأرض.

ورأقت له الأمانة الأخيرة أكثر من سابقتها، فمنح تفاحة «الجمال» الذهبية لإلهة الحب!

ولم تمض أيام حتى هجر «باريس» زوجته.. وماشيته.. وأبحر في ركاب أفروديت.. إلى شواطئ اليونان.

في تلك الايام كان لملك «أسبرطة» زوجة تدعى «ليدا» راقت في عيني كبير الآلهة «زيوس»، فأنجبت منه طفلا وطفلة من الآلهة، بعد أن أنجبت من زوجها طفلا وطفلة من البشر.. فلما كبر الأربعة زوجت الابنة «البشرية» من أجاسمون ملك «مسينا»، فجلبت عليه الكوارث كما سترى. أما الطفلة الإلهية وكانت تدعى «هيلين» فقد خطبها شقيقه «مينيلاوس» فظفر بها وصار ورثا لعرش أسبرطة في آن واحد.

وكان ملك اسبرطة الشيخ قد أدرك بفقته، أن هيلين - التي كانت تعتبر أجمل نساء الأرض قاطبة! - لا بد أن يتعرض بسبب جمالها لكثير من الأخطار والأحقاد..

فاقترح على جميع خاطبي ود هيلين - قبل أن يزوجه من أحدهم - أن

يقسم كل منهم قسما لا حث فيه على أن يرضخ لحكمه فلا يحاول التعرض لها فيما لو صارت من نصيب سواه، بل وإن يخفّ لمساعدة الزوج الذي يظفر بها على استردادها، فيما لو خطفها عاشق حسود..

وسترى أن ذلك القسم كان السبب في نشوب حرب طروادة.

وتم زواج هيلين من «مينيلاوس»، الذي صار الآن ملكا لاسبرطة، وعاش الزوجان أعواما سعيدين.. وذات يوم نزل ضيفا عليهما في قصرهما أمير شاب من أمراء طرواده، ولم يكن الأمير سوى الراعي الوسيم «باريس» الذي منح أفروديت ثقافة «الجمال» الذهبية فعدته بأن تمنحه بدورها أجمل نساء الأرض.. وتفيذا لوعدها نصحته بأن يعود إلى قصر أبيه ملك طروادة فيعرفه بنفسه ويحصل منه على السفن اللازمة كي يقوم برحلة بحرية إلى بلاد اليونان حيث تقيم هيلين «أجمل نساء الأرض». فقد كان من سوء المصادفة أن الفتاة التي وعدته بها أفروديت كانت زوجة لسواه!.. لكن عقبه «تافهة» كهذه ما كانت لتعوق الإلهة عن الوفاء بوعدها فطلعت على نفسها!.. وهكذا بتأثير وتحريض ربة الحب والجمال، انتهر الشاب «باريس» فرصة غياب مضيفة مينلاوس عن القصر.. فاختطف زوجته «هيلين» وفر بها إلى طروادة.

وكانت خيانة وضعية من جانب الضيف، فإن مضيفة كان قد استقبله بكل مظاهر الترحيب اللائق بالأمير الشاب، وأكرم وفادته كأعظم ما يكون الأكرام! فلما عاد من غيبته ووقف على نيا فرار زوجته مع ضيفهما، بادر فأرسل رسلة على عجل إلى جميع طالبي يد «هيلين» السابقين، مذكرا إياهم بقسمهم القديم على نجدة في مثل هذا الظرف بالذات!

وهرع الجميع من فورهم إليه.. ودعى رؤساء العشائر لإبداء رأيهم في الموقف الصعب الذي قد يتطور إليه النزاع.. فوقع اختيار المجتمعين على «أجا ممنون» - زوج شقيقة هيلين، وشقيق زوجها - كي يكون قائدا لهم في حربهم المقبلة.. ويفضل دهاء أحد الحاضرين - وهو أوديسيوس - ملك

نجم
٢١

أحد الأقاليم المجاورة - ضم إلى صفوفهم البطل الصنديد «أخيل» ابن الحورية «ثيتيس»، التي حضرنا زفافها في بداية القصة.. وهو الذي كانت الأقدار قد تنبأت له بأنه سوف يصير أعظم من أبيه!

وتقول الأساطير إن «الأقدار» حين حضرت زفاف أبيه، تنبأت لهما بأن ابنهما الذي سيرزقان به سوف يحارب مملكة طروادة، فيساقط أبنائهما تحت ضربات سلاحه الفاتك البتار، كما تساقط سنابل الحنطة تحت ضربات منجل الحصاد!.. وأن حصون المدينة سوف تتداعى أخيرا أمام هجماته، فيدخلها دخول الفاتحين، لكنه سيفقد حياته آخر الأمر عند أسوارها.

ورسخت هذه النبوءة المشجعة في ذهن الحورية العروس «ثيتيس»، فلما رزقت بابنها «أخيل» جعلت همها الأوحى أن تحمي بكل وسيلة من عدوان الأقدار، وتكفل له الخلود على قيد الحياة.. فلما شب عن الطوق.. وكبر حملته إلى نهر «ستيكس» المقدس، الذي يكسب ماؤه كل جسم بيلله مناعة أبدية ضد الموت!.. وهناك أمسكت بالرصي من عقب - كعب - قدمه وألقت به تحت الماء.. فاكسب جسمه تلك المناعة ضد جميع قوى الفناء ولم يبق للموت منفذ إليه إلا عن طريق عقب قدمه الذي لم يبلله ماء النهر!

وحين كبر الفتى تولى أحد العمالقة تدريبه على القتال، وصار يغذيه بنخاع أقوى الأسود المفترسة! لكن ذلك كله لم يضعف من مخاوف الأم، التي ما فتئ يقض مضجعها القلق على ابنها الحبيب من مخاطر حرب طروادة، العتيدة أن تنشب يوما فتضي على حياته!.. ويتأثر هذا القلق ألبسته أمه ثياب النساء وألحقته بسلك «وصيفات» البلاط الملكي!.. لكن تنكره هذا لم يخف على عين الملك الماكر «أوديسيوس»، فتنكر بدوره في زي بائع متجول وذهب يعرض على وصيفات القصر بضاعته من الأساور والأقراط.. بعد أن دس بينها سيفا وخنجرًا.. فلم يكذب بصر الشاب المتشكر «أخيل» يقع على الأسلحة حتى بدرت منه حركة نمت عن خبرته بفنون

القتال! وهكذا انكشف أمره، فأخذه أوديسيوس معه ليشترك في مقاتلة أهل طروادة بغية استرداد ملكة أسبرطة - «هيلين» - من أسرهم، والاقتصاص لها من أسريها..!

وهكذا التأم شمل جيش الاغريق، بقيادة «أجاممنون»، وأخذ أهبة للابحار على شاطئ آسيا الصغرى - حيث تقع طروادة - لمهاجمتها وكسر شوكتها.. ولكن في اللحظة الأخيرة هبت رياح مضادة عاقت تحرك السفن التي تحمل الجيش المهاجم.. واستمر هبوب تلك الرياح أياما طويلة، بحيث لجأ القوم آخر الأمر إلى استشارة عراف في صدد ما ينبغي فعله لارضاء الآلهة التي تصب عليهم جام غضبها على هذا النحو!.. فأنشئ العراف بأن لا سبيل إلى إرضاء الآلهة غير التضحية بأينة أجاممنون الكبرى على مذبح الفداء لوطنها! ولم يكن بد من الرضوخ لحكم الأقدار، فأرسل الأب التمس إلى زوجته يطلب حضورها ويصحبها ابنتهما الكبرى، دون أن يصارحها بالسبب!

وحضرت الاثنتان.. وكانت الابنة مخطوبة للبطل الشاب «أخيل»، فلما علم يقتوى العراف حاول عبثا إنقاذ خطيبته من مصيرها المفجع.. لكن القوم هاجوا عليه، وفي مقدمتهم أخلص أنصاره، واتهموه بخيانه وطنه!.. وكادت تشب في صفوفهم فتنة عمياء.. لولا أن حسمت الفتاة الموقف، هاتفة بأמה: «أماه، لقد أمعنت الفكر في الامر.. أصغي لي!.. إنني سأختار الموت، وسأختاره راضية، فلقد محوت الخوف من قلبي محوا.. إن الآلهة تطلب حياتي، فهل أملك لطلبها رقصا؟.. إذن فلتكن حياتي فداء لوطني.. ولتنتقلوا لغزو طروادة!..

ثم تمضي العذراء إلى حتفها!

ويتغير اتجاه الريح، فتنطلق «الألف سفينة» التي تحمل جيش الاغريق نحو غايتها، تمخر عباب بحر قاتم، أكسبت الظلمة ماءه لون النيز..! وبذلك تبدأ حرب طروادة المشهورة.

لقاء العمالقة

تَنَنِّي أيتها الربة بغضب «أخيل» بن يليلوس ذلك الغضب المدمر الذي نكب الآخرين بالآلام لا تُحصى، ويمت إلى هاديس بكثير من أرواح المحاربين الباسلة، وجعلها غنيمة للكلاب وشتى أنواع الطير، وبذا تحققت مشيئة زوس. وَلَتَبَدِّلِي الغناء بقصة العراك الذي اشتبك فيه ابن أتريرس ملك البشر، مع أخيل الطيب.

مَنْ أَذِنَ من الآلهة دَفَعَ هذين الفريقين إلى العراك؟ ابن ليو زوس، بسبب غضبه على الملك نشر في الجيش وباء وبيللا، وكان القوم يهلكون، لأن ابن أتريرس جلب العار على كاهنه «خروسيس» الذي جاء إلى سفن الآخرين السريعة ليحرر ابنته، وكان يحمل معه فدية تفوق الحصر، ويمسك في يديه قوس أبولو الذي يصيب عن بُعد، فوق عصا ذهبية، وتضرع إلى جميع الآخرين، وبخاصة إلى ابني أتريرس قائدي الجيش، قائلا: «أي ولدي أتريرس، ربا أيها الأخيون الآخرون، المدرعون جيدا، لعل الآلهة الساكنة في بيوت فوق أوليمبوس تمنحكم أن تغزوا مدينة الملك «بريام» وتعودوا سالمين إلى بيوتكم، إن اطلقتم سراح ابنتي العزيزة، وقبلتم الفدية، احتراماً ومهابة لابن زوس، أبولو، الذي يضرب من بعيد».

عندئذ صاح جميع الآخرين الباقيين بالموافقة، آمرين باحترام الكاهن وقبول الفدية الثمينة، غير أن الامر لم يسر قلب أجاممنون ابن أتريرس فطرده شر طردة، وأصدر إليه أمراً صارماً قائلا: «دعني لا أجدك، أيها المعجوز، تتلصق الآن بجانب السفن الخاوية، أو تعود بعد ذلك. وإلا فلن تحميك عصاك ولا قوس الرب. أما ابتك فلن أطلق سراحها قبل أن توافيها الشيوخوخة في بيتنا، في أرجوس بلاد الاغريق، بعيدا عن وطنها،

وهي تمارس عملها أمام «النول» وتشاطرني مخدعي.. كلا، إليك عني، لا تغضبني، حتى تستطيع الذهاب أماناً»

وإذ قال هذا، استولى الذعر على الرجل المعجوز، فأطاع قوله، وانصرف صامتاً يسير على شاطئ البحر الصاخب. وما إن ابتعد، حتى راح يصلي ويتهلل ضارعا إلى الأمير أبولو، الذي أنجته ليتو ذات الشعر الجميل، قائلا: «استمع إليّ، يا صاحب القوس الفضية، يا مَنْ تقف فوق «خروسى» و«كيلا»⁽¹⁾ المقدستين، وتحكم «تينيدوس» بسطوة. أيها الإله أبولو، إذا كنت قد أنحيت فوق محرابي لإرضائك، أو إذا كنت قد أحرقت لك قطعاً دسمة من أفخاذ الثيران أو الماعز، فحقّق لي هذا الرجاء. دع الدائنين يدفعون ثمن دموعي بسهامك».

هكذا قال في صلاته، وسمعه الإله «أبولو» فهبط بخطى واسعة من فوق قمم أوليمبوس بقلب حائق يحمل فوق كتفيه قوسه وجعبته المغطاة. وكانت السهام تصلصل فوق كتفي الرب الغاضب، وهو يتحرك، متسللاً في مجيئه كالليل. ثم جلس بعيداً عن السفن وأطلق سهاماً.. وكان دويُّ القوس الفضية عظيماً. هاجم أولاً البغال والكلاب السريعة، ولكنه بعد ذلك أطلق سهامه الحادة على الرجال أنفسهم، وأعمل فيهم الضرب، فاذا بأكرام حطب تشتعل فيها النيران كثيفة.

ظلت قذائف الرب تنطلق في كل مكان وسط الجيش، ولكن أخيل وجه نداه إلى القوم، في اليوم العاشر، أن يجتمعوا في السوق العامة، كما أوحى إلى قلبه بذلك الربة «هيرا» البيضاء الزراعين، حيث إنها أشفقت على «الدائنين»، لأنها أبصرتهم يموتون. ومن ثم، فلما اجتمعوا والتفوا سوياً، قام من بينهم أخيل السريع القلمين، وقال: «يا ابن اتريوس الآن أعتقد أننا سنستهقر، ونعود بخيبة الأمل - إذا استطعنا أن نفر من الموت! -

(1) مدينتان يقع بهما معبد أبولو.

مادامت الحرب والطاعون قد تحالفاً معاً ضد الآخرين. كلا، تعال، دعنا نسأل عرافاً أو كاهناً ما، نعم، أو بعض مفسّري الأحلام، لأن الحلم كذلك قد يكون رسالة من عند زوس، فقد يستطيع أن يخبرنا عن السبب الذي أثار حقن زوس، فقد يستطيع أن يخبرنا عن السبب الذي أثار حقن الإله أبولو: هل ذلك بسبب نذر بعثنا عليه، أو من أجل ذبيحة مائة ثور مجتمعة؟ وهل يرغب - كي يبعد الطاعون عنا - في أن يحظى بمذاق الحملان والماعر الطاهرة؟».

وما إن قال هذا حتى جلس، وقام في وسطهم «كالخاس» أبين «ثيستور» الذي يفوق أربع العرافين، ويعرف كل الأشياء الموجودة، والتي ستكون، والتي كانت من قبل.. وهو الذي قاد سفن الآخرين إلى طروادة بقوة العرافة التي منحه إياها الإله «أبولو». ونية حسنه خاطب حشدهم، وقال في وسطهم: «أي أخيل، يا حبيب زوس، إنك تأمرني بأن أعلن سبب غضب أبولو، الذي يضرب من بعيد. وعلى ذلك سأتكلم، ولكن هل لك أن تفكر، وتقسم بأنك مستعد بقلبك أن تحميني بالكلام وبقوة اليد، لأنني أعتقد أنني سوف أغضب رجلاً يحكم بيأس على جميع سكان أرجوس، ويطيعه «الآخرين». لأن الملك يصيح أشد بطشاً عندما يغضب من رجل أشد ضعفاً. ولو حدث أنه رجع عن غضبه يوماً واحداً، فإنه سيكظم غيظه في قلبه حتى ينفذ كل شيء. إذن فكر، إذا كنت ستحميني».

فأجابه أخيل، السريع القلمين، قائلا: «تشجع، وأفصح بما تعرفه من نبوءة مهما كانت، لأنه، وعمر أبولو، حبيب زوس، الذي تصلي إليه يا «كالخاس»، وتعلن النبوءات على جيش الدائنين، حتى ولو كنت تعني أجاممئون، الذي يعلن الآن أنه يفوق أفضل الآخرين».

عندئذ تشجع العراف البريء وتكلم قائلا: «إذن، فليس الأمر من جراء نذر يوبخنا عليه، ولا ذبيحة مائة ثور، ولكن بسبب الكاهن الذي أهانه أجاممئون، والذي لم يطلق سراح ابنته ولم يقبل الفدية. لذلك السبب،

فان الرب الذي يضرب من بعيد، قد صب عليكم ويلات، وسيظل يصها، ولن يوقف الطاعون المقيت عن الدانين الا إذا رددنا الفتاة البراقة العينين الى ايها، دون ثمن، ولا فدية، وقدما ذبيحة مقدسة من مائه ثور الى خروسي. . عندئذ يمكننا أن نهدئ من غضبه ونرضيه.

وجلس العراف بعد أن قال هذا، فنهض في وسطهم المحارب ابن أتريوس، أجامنون الواسع السلطان، يتميز غظا، ويقض قلبه الاسود حقا، وتقد عيناه كالنار المتأججة، ويادر موجها كلامه الى «كالخاس»، وكانت ملامحه تنذر بالخطر، فقال: «يا عراف السوء، لم يحدث قط أن أخبرتي بشيء حسن، فالتبؤ بالشئ دائما حبيب الى قلبك، ولم يسبق أبدا أن نطقت بكلمة طيبة، ولا قمت بتنفيذها. والآن وسط حشد الدانين تنطلق بشيء اتك، وتعلن مؤكدا أنه لهذا السبب يصب الرب الذي يضرب من بعيد ويلات عليهم، ولهذا قلن أقبل الفدية العظيمة من أجل الفتاة، ابنة خروسيس، وأنا أشد إصرارا على الاحتفاظ بها في بيتي، لأنني، كما تعلم، أفضلها على «كلوتمسترا» زوجتي الشرعية، حيث إنها لا تقل عنها في شيء، لا في الشكل ولا في القوام، ولا في العقل، ولا بأية حال في الاعمال اليدوية. ولكني، بالرغم من ذلك، سأعيدها، إذا كان الخير في ذلك، فإني أؤثر سلامة القوم على هلاكهم. ولكن هل لك أن تعد لي فورا غنيمة أخرى بدلا منها، حتى لا أكون الوحيد بين أهل أرجوس بدون غنيمة، حيث إنه لا يليق، وأنتم جميعا ترون هذا، أن تؤخذ غنيمتي متي؟».

ورداً على ذلك، قال أخيل العظيم السريع القدمين: «يا ابن أتريوس الامجد، يا من تفوق جميع الناس جمعا، كيف يعطيك الأخيون الطيبو الروح غنيمة؟ ليست هذه ثروة موجودة في الخزانة العامة، ولكن كل ما أخذناه بالسلب من المدن قد قسم الى أنصبة، ولا يليق استردادها ثانية من القوم إطلاقا. فهل لك أن تعيد الفتاة بأمر الرب، وسوف نعوضك عنها،

نجم

نحن الآخين، ثلاثة أضعاف وأربعة، إذا منحنا زوس أن نظفر بأسلاب مدينة طروادة المتينة الاسوار؟

عندئذ تكلم أجامنون للرد عليه، فقال: «ليس بهذه الطريقة، رغم شجاعتك، يا أخيل يا شبيه الإله، تسعى الى خداعي بغطتلك، لأنك لن تضطرنني ولن تحثني. أألك تريد أن تحتفظ بغنيمتك، وتود أن أظل محتاجا، تأمرني بردها؟ كلا، إلا إذا أعطاني الأخيون ذوو النفوس الطيبة غنيمة يقنع بها ضميري، ويعدنا عقلي معادلة! أما إذا لم يعطوني إياها، فسأحضر بنفسي وأخذ غنيمتك أو غنيمة «أياس» أو غنيمة «أوديسيوس»، وأحملها بعيدا. وسوف يحل الغضب على من أذهب اليه. وعلى أية حال، فلننكر في هذه الاشياء فيما بعد، ودعونا الآن نسير سفينة سوداء في البحر اللامع، ونجمع فيها العدد اللازم من المجذفين، ونضع على ظهرها ذبيحة من مائة ثور، ونشيع فيها ابنة خروسيس الجميلة الخدين نفسها. وليتولى القيادة رجل ذو مشورة، مثل «أياس» أو «أوديميوس»، «أوديسيوس» العظيم، أو أنت، يا ابن بيليوس، يا أشد الرجال قوة، حتى يمكنك أن تقدم الذبيحة وتسترصي ذلك الذي يرمي بالسهام من بعيد».

عندئذ حدجه أخيل بنظرة غاضبة من تحت حاجبيه وخاطبه قائلا: «يا لي منك أيها المتشدد بعدم الحياء، يا ذا العقل الداهية، كيف يمكن لأي رجل من الآخين أن يطعم أمرك بصدر رحب، سواء في القيام بالرحلة أو في مقاتلة الأعداء بحمية؟ أنا مثلا لم آت الى هنا بدافع اليغض للطرودادين فلأنهم لم يخطئوا معي قط. لم يسبق لهم بأية حال من الاحوال أن سلبوني أبقاري أو جياي، كما لم يسبق لهم في فنيا البلد العميقة التربة، مهد الرجال، أن بددوا المحصول، إذ تفصل بيننا حوائل كثيرة - جبال شامخة وبحر صاخب. أما أنت، يا من لا تستحي، فقد تبعناك الى هنا لكي تكون مسرورا، وتسعى إلى كسب النصر لمينلاوس ولنفسك، يا وجه الكلب، والثار من الطرودادين، لكنك لا تعمل لهذا حسابا، ولا تفكر فيه إطلاقا

ومع ذلك فإنك تهدد بأن تأخذ بنفسك الغنيمة التي تعبت أنا من أجلها كثيرا والتي أعطانيها أبناء الآخين! إني لم أحصل قط على غنيمتي كغنيمتك، عندما كان الآخيون يذهبون حصنا طرواديا مزدهرا بالسكان. كلا، وإن يدي قد حملتا عبء الحرب الطاحنة حتى إذا ما جاء وقت تقسيم الغنائم، كانت غنيمتك أعظم بكثير، بينما أعود أنا إلى سفني بشيء يسير، ولكنه يصبح ثلثا لي بحق، عندما أمل القتال. والآن سأرجع إلى قيا، إذ أرى من الخير أن أعود بسفني العزيزة إلى الوطن. فأننا لم أقصد المجيء إلى هنا لينالني العار، بأن أشيع جشعك بالبضائع والأموال!

عندئذ أجاب ملك البشر، أجاممنون:

«إذن، فاهرب، إن كان قلبك يأمرك، فلست أنا الذي يناشدك البقاء إكراما لحاظي. فإن معي آخرين سيصرفونني، وفوق كل شيء «زوس»، سيد المشورة. إنك في نظري أبغض الملوك جميعا، يا من نشأ على متوال زوس، لأنك دائما ميل إلى المشاحنات والحروب والقتال. ومهما بلغت قوتك وشجاعتك، فلاني أعتقد أن الآلهة هي التي منحتك هذه الصفات، فاذهب إلى وطنك مع سفنك ورجالك، وسيطر على جماعتك من المقاتلين، فلست أهتم بك، ولني أكثر ثغرك، ولكن هذا وعيدي لك: مادام الآلهة «أبولو» يأخذ مني ابنة خرويسيس، فلاني سأعيدها في سفينة من سفني ومع رجال من رجالي، بيد أنني سأحضر بنفسني إلى كوخك وأخذ «بريسيس» الفاتنة اللوجنتين، غنيمتك، حتى تعرف تماما أنني أشد منك بأسا، ويحجم غيرك فلا يعلن أنه ند لي وشبه نفسه في مواجهتي!»

هكذا تكلم أجاممنون، فاستولى الحزن على ابن يليلوس - أخيل - وفي قرارة صدره الأشعث انقسم فؤاده إلى رأيين: أيسئل حسامه البتار من غمده، ويقتحم الجمع ويقتل بنفسه ابن أترئوس، أم يملك زمام غضبه ويكبح جماح نفسه؟ وبينما هو يفكر في ذلك بعقله وقلبه، ويستل سيفه العظيم من غمده، هبطت الربة «أثينا» من السماء، موفدة من لدن الربة

نور
٢٤

«هيرا» البيضاء الذارعين، التي كانت في قلبها تحب كلا من أخيل وأجاممنون على السواء وترعاهما بعنايتها. فأتخذت موقفها وراء ابن يليلوس وأمسكته من شعره الذهبي، وتجلت له وحده، فلم يرها أحد من الآخرين. فامتلا أخيل بالزهو، وما إن استدار حتى عرف أثينا على الفور، وكانت عنينا تتألقان بشكل مخيف. عندئذ تحدث إليها بكلمات خافتة فقال: «لَمْ أتيت الآن ثانية، يا ابنه زوس، يا حاملة الدرع؟ ألكي تري وقاحة أجاممنون، ابن أترئوس؟ دعيني أخبرك ما أعتقد أنه سيحدث فعلا: فسبب كبريائه المتعاطفة، سيفقد حياته الآن!»

عندئذ أجابت الربة أثينا ذات العينين البراقبتين: «جئت من السماء كي أهدئ من غضبك، لو أصغيت إليّ، وقد أرسلتني الربة «هيرا» البيضاء الذراعين، لأن حيكما في قلبها سواء، وهي تهتم بأمركما. هيا، تعال، وكُفّ عن نزاعك، ولا تدع يدك تستل السيف. فلك أن تعنفه بالألفاظ، وتواجهه بالواقع، لأنني هكذا سأتكلم، وهذا الشيء سيتم حقا: ستأتيك الهدايا الرائعة، فيما بعد، ثلاثة وأربعة أضعاف، من جراء هذا النزاع. فاصبط زمام نفسك إذن واستمع إلينا».

بعد ذلك تكلم أخيل، السريع القدمين، ردا على كلامها: «على المرء، أيها الربة، أن يتأمل في كلامك مرتين مهما كان في قلبه من غضب، فهذا أفضل. وكل مَنْ يطيع الآلهة يحظى منهم بأذن صاغية عن طيب خاطر».

تكلم ورفع يده الثقيلة من على المقبض الفضي وأعاد الحسام العظيم ثانية إلى غمده، ولم يعص كلمة أثينا التي كانت قد صعدت في الحال إلى أوليمبوس، إلى قصر «زوس» الذي يحمل الدرع، لتتضم إلى الآلهة الآخرين.

ولكن «أخيل» عاد يخاطب أجاممنون بلهجة شديدة، ولم يكف بأية حال عن غضبه فقال: «أها المثل بالخمير، يا من له وجه الكلب وقلب الغزال، لم يسبق أن وانتك الشجاعة قط لتسلح نفسك للقتال مع قومك، أو الذهاب

إلى كمين مع رؤساء الآخيين. كنت تخشى ذلك خشية الموت. وإن أردت الحق، فمن الأفضل أن تمر بجميع أرجاء معسكر الآخيين الفسيح، وتستولي على غنيمة من يتكلم ضدك. أيها الملك الملتهم حقوق قومه، أرى أنه لا يطيعك غير رجال من سقط المتاع، وإلا لما استخدمت سفاهتك الآن، للمرة الأخيرة. بيد أنني سأعلن اليك كلمتي، وسوف أقسم عليها قسماً لا حث فيه: بحق هذا الصولجان الذي لن يورق أو يذبل براعهم بعد ذلك، لأنه انفصل عن جذعه في الغابة منذ مدة، كما أنه لن يعاود خضرته بأية حال، لأن النصل البرونزي قد جرده من أوراقه ولحائه، والآن يحمله أبناء الآخيين في أيديهم أولئك الذين يصدرون الأحكام ويسهرون على الحقوق والتقاليد بأمر زوس. . بحق ذلك كله سيشتاق أبناء الآخيين، واحداً واحداً، ذات يوم، إلى أخيل، وعندئذ لن تستطيع بأية حال من الأحوال أن تساعدهم، وسوف تحزن أعظم الحزن، عندما يختر الكثيرون موتى أمام هكتور قاتل البشر، سوف تقضم قلبك في داخلك، حزناً على عدم تقديرك لأقدر محارب بين الآخيين على الإطلاق!

هكذا تكلم «أخيل»، وألقى بالصولجان المرصع بالمسامير الذهبية إلى الأرض، ثم استوى جالساً، بينما راح أجاممنون يصب عليه جام غضبه، ثم قام من وسط الجميع نسطور العذب الحديث، الخطيب الواضح النبرات بين رجال بولوس الذي يتدفق الكلام من لسانه أحلى من الشهد، الذي شهد جيلين من البشر يندثران، وقد ولد منذ زمن بعيد وتوعر في «بولوس» المقدسة، وكان ملك الجيل الثالث. فخاطب جمعهم بنية سليمة وقال في وسطهم: «ويحكم! الحق، أن الحزن العظيم قد حل بأرض أخيا. ما من شك في أن الملك بريام سوف يغتبط، وكذلك سوف تمتلئ قلوب أبناء بريام وبقية الطرواديين بالفرح لو سمعوا كل هذه القصة عن النزاع القائم بينكما، يا رئيسي جميع الدانيين وأرجحهم رأياً، وأعظمهم في القتال. لا يصح هذا، اصغيا إليّ، فكلاكما أصغر مني. لقد اشرتكت قبل الآن مع محاربين كانوا أفضل منكما، ولم يحدث قط أن احقروني. ولم أر حتى لا

أمثال هؤلاء المحاربين، ولن أرى، أمثال «بايريثوس» و«درواس» راعي الجيش، و«كايينيوس» و«اكسادايوس» وشبيه الآلهة «بولوفيموس» و«ثيسبيوس»، ابن «ابيجيوس» نظير الخالدين. كان هؤلاء أعتى جميع الرجال الذين نشؤوا على وجه البسيطة، كانوا الأعتى وقاتلوا مع الأعتى، حتى مع متوحشي القنطور الذين جعلوا عرائثهم وسط الجبال، وأبادوهم بطريقة رائعة. كنت زميلاً لهؤلاء الرجال، يوم أن جثت من بولوس، من بلاد نائية قصية، لأنهم استدعوني من تلقاء أنفسهم. فقمعت بدوري في القتال كمحارب مستقل، وما كان في مقدور أحد من جميع البشر الموجودين على الأرض حالياً أن يقاتل معهم. ومع ذلك، كانوا يستمعون إلى مشورتي ويعيرون كلامي أذاً صاغية. وكذلك أتما يجب أن تصغيا، ومن الخير أن تصغيا: يجب عليك يا ابن أثريوس، رغم قوتك، ألا تسعى لتأخذ منه الفتاة، ولكن اتركها له غنيمة، كما أعطاه إياها أبناء الآخيين. وإياك، يا ابن بيليوس، أن تبيت العزم على النزاع مع ملك، قوة ضد قوة، لأن المجد الذي يهبه زوس لملك ذي صولجان ليس مجداً عادياً. فالبرغم من شجاعتك، ومن أن أماً من الريات قد ولدتك، فإنه هو الأقوى، حيث إنه يملك على عدد أكبر. وأنت يا ابن أثريوس، اكبح جماح غضبك، لا يصح هذا، إنني أتوسل اليك أن تصرف عنك غضبك على أخيل، الذي هو لجميع الآخيين ملاذ قوى من الحرب الشريرة.

عندئذ نهض للرد عليه أجاممنون فقال: «نعم، حقاً، أيها السيد العجوز، إن كل ما قلته يتفق مع الصواب. ولكن هذا الرجل يعقد النية على أن يكون فوق جميع الآخرين، إنه يعزم أن يتولى قيادة الجميع ويصبح ملكاً على الجميع ويصدر أوامره للجميع، في حين أن هناك واحداً، على ما اعتقد، لن يطيعه. فإذا كانت الآلهة هي التي جعلته محارباً إلى الأبد، فهل تدفعه إلى التفوه بالسباب؟»

عند ذلك قاطعة أخيل العظيم قائلاً: «نعم، لأنني سوف أحمل لقب الجبان، غير النافع، لو كنت أرضخ لك في كل أمر تأمرني به. أصدر

المرب من أهل هيلين الجميلة

اصطف الجنود كل فرقة مع قائدها، تقدم الطرواديون بصخبهم يصيحون كالطيور، كما تعلق صيحات الكراكي - حتى تبلغ عنان السماء - وهي تفر أمام زوابع الشتاء والأمطار الغزيرة، ثم تطير صارخة صوب مجاري الأوقيانوس، حاملة الفتك والموت لرجال «البحيس»، وعند مطلع الفجر الباكر تقوم بمعركة رهيبة.

أما الآخيون - من الجهة الأخرى - فقد أقبلوا في صمت، يتفنون البسالة، وقد عقدوا العزم في قلوبهم على التعاون ومساعدة كل رجل لزميله. الريح الجنوبية الضباب فوق قمم الجبل، ذلك الضباب الذي لا يحبه الراعي، ويعدده النص خيرا من الليل، إذ لا يستطيع المرء أن يرى فيه إلا بالقدر الذي يمسك به حجرا، هكذا كانت كثافة سحب الغبار التي أثارها أقدامهم وهم يسرون، وقد انطلقوا يعبرون السهل بأقصى سرعة. وعندما اقتربوا، وتقدم كل جيش في مواجهة الآخر، نهض من بين الطرواديين بطل يشبه الإله، هو «باريس»، يحمل فوق كتفيه جلد نمر أرقت، وقوسه الممقوفة وحسامه، ولوح برمحين لهما سنان من البرونز، وتحدى خيرة الآخيين أن يقاتلوه وجها لوجه في عراك دموي.

بيد أنه عندما رآه «مينيلاوس»، العزيز لدى «أريس»، وهو يتقدم أمام الجميع بخطوات واسعة، انتابه فرحة الضرغام الذي عثر على جثة ضخمة، أو ظفر بقطامي ذي قرون، أو عتزة وحشية، وكان الجوع قد قضم أحشائه، فانقض يلتهمها في نهم، مهما انبرت له الكلاب السريعة والشباب الجامح. هكذا كان سرور «مينيلاوس» حين وقعت عيناه على «الكساندر» شبيه الإله، إذ اعتقد أن تناح له فرصة الانتقام من غريمه. وفي الحال، وثب من عربته إلى الأرض وهو في حلة الحرية.

أوامرك هذه لغيري، ولكن لا توجه إلى أي أمر، لأنني أعتقد أنني لن أطيعك بعد الآن. وسأخبرك بشيء آخر، عليك أن تحفظ به في قلبك: لن أتمارك بقوة الأيدي من أجل الفتاة، ملك أو مع أي شخص آخر، فإني لا أراك إلا أخذًا ما سبق أن أعطيت. ولكنك لن تأخذ شيئا آخر مما أملك في سفيتي السريعة السوداء، ولن تحمله بعيدا بالرغم مني. حقا، تعال وجرب، حتى يعرف هؤلاء أيضا أن دمك القاتم سوف يسيل في الحال حول رمحي!».

ولما انتهى الخصمان من تشاحنهما بالألفاظ النيقة، نهضا وفضا الحشد المجتمع بجوار سفن الآخيين. فذهب ابن بيلوس - أخيل - في طريقه إلى خيامه وإلى سفنه الجميلة يصحبه ابن «مينوتيسوس» كما يصحبه رجاله، أما ابن أتريوس - أجامنون - فأنزل إلى البحر سفينة سريعة واختار لها عشرين مجذفا، وساق إلى ظهرها ذبيحة الإله من مائه ثور، وأحضر ابنة خرويس الفاتنة الخدين ووضعها في السفينة، وصعد على ظهرها «أوديسيوس» الكثير الحيل ليتولى قيادتها.

وهكذا اعتلى هؤلاء ظهر السفينة وابتحروا عبر المسالك المائية، ولكن ابن أريوس أمر القوم بتطهير أنفسهم. فطهروا أنفسهم، وألقوا بالرجس في البحر، وقدموا لآبولو ذبائح مقبولة من مئآت الثيران والماعز، بجوار شاطئ البحر المضطرب، فارتفعت نكهتها صاعدة خلال الدخان.



أخيل يحارب.

وما إن أبصر به «باريس» المجيد، عندما برز وسط الابطال، حتى أصيب في قلبه، وعاد أدراجة وسط حشد زملائه، اجتنابا للموت! وكما يجفل المرء متراجعا مذعورا حين يرى ثعبانا بين أخاديد جبل، وترتعد فرائضه وأعضاؤه فيعود من حيث أتى، ويستق لونه خديه، هكذا تراجع الكساندر المجيد، خوفا من ابن أتريوس، وعاد أدراجة إلى جموع الطرواديين الأمجاد.

ولكن «هكتور» شاهده، فزجره بعبارات الخزي قائلا: «أيها الشرير باريس، يا أجنين من تقع عليه العيون، أيها السادر في مطاردة النساء، أيها المخادع، ليتك لم تولد قط، ومثّ دون زواج. نعم، كنت أتمنى ذلك، فهذا خير بكثير من أن تكون هكذا مجلبة للعار، ينظر اليك الرجال بازدراء! حقيقة، أعتقد أن الآخيين ذوي الشعر المسترسل سوف يقهقهون عاليا، وهم يظنون أن بطلنا أمير، اخترناه بسبب جمال خلقته، بينما لا توجد ذرة من القوة أو الشجاعة في قلبه! أمثل هذه القوة سافرت عبر البحر في سفنك الماخرة، يوم أن جمعت النفاة من زملائك، حتى إذا ما بلغت قوما غرباء، عدت حاملا عادة فانتة من بلاد نائية، هي ابنة محاربين يجيدون استخدام الرمح، لتكون لأبيك وللمدينتك ولكل الشعب مجلبة للدمار المحزن. ومصرة لاعدائك، ومشتقة لرأسك أنت نفسك؟ حقا، إنك لن تواجه «مينيلاوس»، العزيز لدى «أريس»، على الأقل كي تعلم أي نوع من المحاربين ذاك الذي اقتنيت زوجته الحسنة؟ إن قيثارتك لن تنتفعك، ولا حتى هدايا أفروديت، ولا جدائل شعرك، ولا جمالك، عندما تقترش الثرى صريعا. حقيقة، إن الطرواديين لجبناء أيّ جن، وإلا لألبسوك منذ زمن بعيد ثوبا من الأحجار بسبب ما جنيت من آثام!

فرد عليه الكساندر المجيد قائلا: «أي هكتور، ما أراك إلا تؤنّبني بما أستحق، ولم تقل شيئا أكثر مما أستحق. إن قلبك لا تلبس قناته أبدا، كالفأس التي غرست في جذع شجرة بيد رجل ماهر في تشكيل الأخشاب

لصنع السفن، تزداد قوة ضربيته باضطراب. وهكذا أيضاً حال القلب الذي في صدرك القوي. فلا تقذف في وجهي بالهدايا الجميلة التي منحها أفروديت الذهبية. حذار، فإن هدايا الآلهة الرائعة ليست مما يلقي جانبا. وخاصة ما تهيه من تلقاء نفسها، حتى ولو لم يكن في مقدور أحد أن يحصل عليها مختارا. أما الآن، فإن كنت تصر على أن أحارب وأقاتل، فدع الطرواديين الآخرين يجلسون هم وجميع الآخيين، واجعلني في الوسط مع مينيلاوس، العزيز لدى «أريس»، لتتعارك من أجل «هيلين» وكل ممتلكاتها. وأينا يغلب، ويبرهن على تفوقه، فإنه يستولي على المرأة والثروة جميعا، ويحملها إلى منزله. أما أنتم، فلتقسموا على الصداقة وفروض الاخلاص بذبيحة، وهكذا تستطيعون الإقامة في بلاد طروادة العميقة الثرية. ودعهم هم يعودون إلى أرجوس، مرعى الخيول، وإلى أخيا أرض الحسان القاتنات».

وإذ قال هذا، سر هكتور سرورا بالغا حين سمع قوله فتقدم إلى الوسط، وأمسك رمحه من منتصفه، وأرجع به فرق الطرواديين إلى الوراء، فجلس الجميع. غير أن الآخيين ذوي الشعر المسترسل حاولوا عندئذ أن يصروا إليه سهامهم، ويضربوه، ويقذفوه بالأحجار. ولكن أجامنتون، ملك البشر، صاح عاليا: «كفروا يا أهل أرجوس، ولا تقذفوا السهام يا شباب الآخيين، لانه يبدو أن لدى هكتور، ذي الخوذة البراقة، شيئا ما يريد أن يقول».

وإذ قال ذلك، أمسكوا عن القتال، ولزموا الصمت في الحال. ثم تكلم هكتور بين الجيشين، فقال: «اسمعوا مني أيها الطرواديين والآخيون المدرعون جيدا، ما قاله باريس الذي من أجله قام النزاع على قدم وساق. لقد أمر غيره من الطرواديين وجميع الآخيين، بأن يخلعوا عنهم عدتهم الحربية ويضعوها فوق الأرض القسيحة، وسيقف هو نفسه في الوسط، مع مينيلاوس، العزيز لدى أريس، ليشتبكا في عراك من أجل «هيلين» وما

تملك. وأيهما يتنصر ويثبت تفوقه، سيأخذ المرأة والثروة جميعا، ويحملهما إلى منزله. أما نحن الآخرين، فهيا نقسم على الصداقة وفروض الإخلاص بذيبة».

وخيم السكوت عليهم أجمعين، ومن وسطهم نهض مينيلوس، الماهر في صيحة الحرب، وقال: «اصغوا الآن إليّ أنا أيضا، فقد تملك الحزن قلبي من دونكم جميعا. وإنى لارى أنه لم يعد مفر من أن يفتقر أهل أرجوس والطرواديين، بعدما رأيت من تكديهم للمحن الكثيرة بسب النزاع القائم بيني وبين باريس الذي بدأه. يجب أن يموت أحدا - لقد كتب القضاء له الموت - فعلا - ويعد ذلك مرعانا ما سيعم السلام بينكم. فلتحضروا كبشين: كبشا أبيض للشمس، ونعجة سوداء للأرض، وسوف نحضر واحدا لزوس.. وليحضر إلى هنا بريام القوي، حتى يبرم المهرود بنفسه، لا بواسطة أبنائه المتعجرفين المستهترين، فنحن لا نريد أن نرى معاهدة مقدسة لزوس تنقص بالخيانة. إن الشباب غالبا ما يكون متسرعاً، ولكن عندما يتولى شيخ أمثال هذه الأمور، فإنه يعمل حساباً للمستقبل والأماضي حتى يكون قراره في صالح الطرفين».

وإذ قال ذلك، شعر الآخيون والطرواديين بالغبطة، لاعتقادهم أنه قد كفاهم شر القتال المقيت، وعلى ذلك تركوا عرباتهم في صفوف، وهبطوا منها، ثم خلعوا عنهم ملابسهم الحربية فوضعوها على الأرض، كلا منها بجانب الأخرى لا تفصلها عنها سوى مسافة بسيطة. ثم أرسل هكتور رسولين إلى المدينة، يجذآن في السير لاحضار الحملان واستدعاء بريام، كما أرسل الملك أجاممنون «تالوبيوس» إلى السفن العميقة القاع، لاحضار حمل، فلم يتردد في إطاعة أجاممنون العظيم.

بيد أن «إيريس» ذهبت إلى «هيلين» البيضاء اللراعين، كرسول، متخذة هيئة شقيقة زوجها، تلك التي اتخذها الملك «هيليكاون» ابن أنتينور، زوجة له، وكانت تدعى «لاوديكي»، وتعتبر أجمل بنات بريام.. فوجدت هيلين

في البهو تنسج نسجا أرجوانيا كبيرا ذا عرضين، وقد وشته بصور معارك كثيرة للطرواديين، مستأنسي الجياد، والآخرين ذوي الحلل البرونزية، أولئك الذين قاسوا الأهوال من أجلها على أيدي «إيريس». عندئذ اقتربت منها إيريس، السريعة القدمين، وتحدثت إليها قائلة: «تعالى هنا، يا سيدتي العزيزة، لتري روائع أعمال الطرواديين مستأنسي الخيول، والآخرين ذوي الحلل البرونزية. فمتد زمن وجيز، كان يهدد بعضهم البعض بحرب طاحنة في السهل، كأنما يعتمران القتال حتى الموت. أما الآن، فقد كفوا عن القتال، وهم يجلسون في هدوء، متكئين على تروسهم، ورماحهم الطويلة مغروسة من أطرافها إلى جوارهم. ولكن باريس ومينيلوس الجبار، العزيز لدى أريس، يجب أن يتقاتلا، من أجلك، برماحهما الطويلة، ومن ينتصر منهما تكونين زوجة له!»

هكذا تكلمت الربة، فأحييت في قلب محدثتها الشوق المذنب نحو زوجها السابق، ووطنها، وأبويها.. وفي الحال حجبت هيلين نفسها بكتان أبيض براق، وخرجت من غرفتها، والدموع تنهمر من مآقيها. ولم تكن وحدها، بل كانت معها وصيفتان: «أثيرا»، ابنة «بيثيوم»، و«كلوميثي» ذات عيون المها. وسرعان ما بلغن مكان أبواب سكاي.

ومن كانوا يجلسون حول «بريام» و«بانثوس» و«ثومرتيس» و«لامبوس» و«كلوتيوس» و«هيكيتاون»، نسل أريس، و«أوكاليجون» و«أنتينور»، الحازمين، جلسوا عند أبواب سكاي، ككبار القوم. وبسبب شيخوختهم لم يشتركوا في القتال، بيد أنهم كانوا يتحدثون بفصاحة وطلاقة. ومثل «حشرات النطاط» الجالسة في الغابة فوق شجرة، ترسل صوتها المقبول، هكذا جلس قادة الطرواديين على الحائط. فلما أبصروا هيلين مقبلة بمحاذاة الحائط، راحوا يتهايمسون بكلمات مجنحة قائلين: «لا لوم على الطرواديين والآخرين المدرعين تماما، أن يعانوا الآلام مدة طويلة من أجل مثل هذه المرأة! من العجب أنها تبدو للناظرين وكأنها إحدى الريات

الخالدات! ومع ذلك، فالبرغم من كل ما هي عليه من فتنة، دعوها ترحل على ظهر السفن، ولا تترك ههنا لتكون عارا علينا وعلى أطفالنا من بعدنا!

هكذا قالوا، غير أن برام استدعى هيلين إليه، قائلا: «تعالى إلى هنا، يا طفلي العزيزة، واجلسي أمامي، لكي تري زوجك السابق وأقاربك وشعبك. فإني أرى أن لا لوم عليك بأية حال من الأحوال، ولكني أرى أن الملوهم هم الآلهة، الذين أضعلوا حرب الأخيين المضجعة ضدي. تعالي، لعلك تستطعين أن تخبريني من يكون هذا المقاتل الضخم، ذلك الأخي البطل الصنديد، الفارع الطول؟ حقيقة، هناك آخرون أطول منه بقدر الرأس، ولكن عيني لم تريا بعد رجلا في مثل هذا الجمال، ولا بمثل هذه المهابة. إنه أشبه ما يكون بملك». فأجابته هيلين، الفاتنة بين النساء، قائلة: «مبجل أنت في عيني، يا والد زوجي العزيز، ومهيب. ليت الموت الشرير كان نصيبي يوم تبعت ابنك إلى هنا، وتركت حجرة عرسي وأقاربي وابنتي العزيزة، ورفيقات صباي الجميلات. غير أنه قدر لهذا ألا يكون، ولذلك تجدني أذوي من البكاء». ومع ذلك، فسأخبرك عن تسألني: ذلك الرجل هو ابن أثريوس، أجاممنون الحاكم المطلق، وهو ملك نبيل، ورماح مقدم وكان في يوم ما شقيق زوجي، أنا التي طرحت عنها الحياة إذا كان كل هذا قد حدث حقا. إني لأرتاب في ذلك!

قالت ذلك، فتملك العجب الرجل المعجوز، وقال: «يا لك من سعيد يا ابن أثريوس، محظوظا من الآلهة والأقدار! أرى الكثير من شبان الأخيين قد خضعوا لك الآن. أقول هذا لأنني سافرت إلى بلاد فروجيا، الكثيرة الكروم، وأبصرت المقاتلين الفروجيين هناك في جموع غفيرة، أولئك الفرسان البواسل أتباع «أوثريوس» وشبيه الإله «موجدون»، الذين كانوا يمسكون بمحاذة شواطئ سنجاربيوس. ولما كنت أنا حليفهم، فقد حاربت في صفوفهم يوم هجمت المحاربات الامازنيات نظريات الرجال. ومع ذلك فإن «الفروجيين» أنفسهم لم يكونوا في كثرة الأخيين ذوي العيون البراقة!».

هــ
هــ

وبعد ذلك أبصر الرجل المعجوز «أوديسيوس» فسألها: «والآن، أخبريني كذلك عن هذا الرجل، يا طفلي العزيزة، من هو؟ إنه أقصر من أجاممنون بقدر رأس، ولكنه أعرض منه أكتافا وصدرا. إن عدته الحرية موضوعة على الأرض الواسعة، ولكنه يصول ويجول، ككبش القطيع، في صفوف المحاربين. إنه ليبدو لي أشبه بالكبش الكث الفراء، يجول خلال قطع ضخم من النعاج البيضاء!»

فردت عليه هيلين، المنحدرة من زوس، قائلة: «هذا أيضا ابن لايرتيس، «أوديسيوس» الكثير الحيل، الذي شب وترعرع في أرض إيثاكا رغم وعورتها، وهو يعرف كل شيء عن الدهاء والخبط الماكرة!»

فقام «أنتينور» العاقل، يسألها: «سيدتي، لقد تكلمت بالصدق، إذ حدث قima مضى أن جاء «أوديسيوس» العظيم إلى هنا، موقدا بشأنك، يرافقه مينيلوس، العزيز لدى «أريس»، وكنت أنا الذي استقبلتهما ورحبت بهما في بيتي، فاستطلعت أن أعرف شكل وحجم كل منهما وأسايليهما الماكرة. والآن عندما اختلطا بالطرواديين، وهم مجتمعون سويا، ما إن وقف الرجال حتى علا مينيلوس بمكنيته العريضين ومع ذلك، فلما جلس كلاهما كان أوديسيوس أكثر جلالا، بيد أنهما عندما شرعا يحيكان نسيج الكلام في حضرة الجميع راح مينيلوس يتكلم بطلاقة، بالفاظ قليلة، ولكنها تامة الوضوح، لأنه لم يكن بالرجل المحب للحديث المطول ولا المرواغة، ولو أنه كان في الحقيقة أصغر سنا. ولكن عندما نهض أوديسيوس، الكثير الحيل، كان يقف خافضا بصره إلى الأرض، لا يحرك عصاه إلى الخلف أو الامام، بل يمسك بها بشدة، كما لو كان رجلا لا إدراك له، فكنت تظنه رجلا من سقط المتاع، بل وأحمق. بيد أنه إذا مال انطلقت الكلمات من شفتيه، وخرج صوته العظيم من صدره، كانت الالفاظ تتساقط كالزوابع الثلجية فلا يستطيع أحد من البشر أن يباري أوديسيوس، وعندئذ لم تتعجب من رؤية طلعة أوديسيوس».

ثم رأى الملك العجوز أياص، فسأل قائلا: «ومن إذن، هذا المحارب الأخي، الشجاع الفارع الطول، الذي يعلو أهل أرجوس برأسه وكتفيه العريضتين؟»

فردت عليه هيلين ذات الثوب الطويل، الفاتنة بين النساء: «هذا أياص الضخم، حصن الآخيين. وهناك يقف أمامه أيديمينوس، في وسط أهل كريت، أشبه بلأله، ويجمع حوله قادة الكريتيين. وكثيرا ما كان يتوقف مينيلالوس، العزيز لدى أريس، إلى تكريمه في بيتنا كلما جاء من كريت. والآن، أرى باقي الآخيين المتألفي العيون، الذين أستطيع أن أميزهم بوضوح، وأذكر أسماءهم، ولكن هناك اثنين من قواد الجيش لا يمكنني أن أتبينهما: كاستور، مستأنس الخيول، والملاك العظيم، بولودكيس، وهما أخواي اللذان أنجيتهما نفس الام. فلما أنهما لم يتبعيا الجيش من لاكيدايمون الجميلة، وإما أنهما قدما إلى هنا في سفنهما ماخرة البحار، ولكنهما لم يجسرا على خوض غمار معركة المحاربين، خوفا من الالفاظ المخزية، وكلمات العار التي يرميها الشعب بهما. هكذا قالت، لكن الرجلين اللذين تعنيهما كانت الارض واهبة الحياة قد احتضنتهما - قبل ذلك - في لاكيدايمون، في وطنهما العزيز.

وفي ذلك الوقت، كان الرسل يحملون الذبائح خلال المدينة لاجل نذور الآلهة المقدسة، وهي حملان، ورق من جلد الماعز، مملوء خمرا من ثمرة الارض، تدخل السور على القلب، وكان الرسول «ايدايس» يحمل طاسا لامعا وكؤوسا ذهبية، فجاء إلى جوار الملك وأيقظه قائلا: «انهض، يا ابن لاوميدون، فإن رؤساء الطرواديين، مستأنسي الخيول، والآخيين المدثرين بالبرونز، يستدعونك لتتزل إلى السهل كي تقسم بليمان الثقة بالذبائح. لأن باريس ومينيلالوس، العزيز لدى أريس، سيتبارزان بالرماح الطويلة، من أجل تلك السيدة. ومن يتصر منهما، تتبعه المرأة وكنوزها! أما نحن، فنستقسم على الصداقة وأيمان الثقة بالذبائح، ونعيش

في طروادة العميقة الخصب، أما هما فسيرحلان إلى أرجوس، مرعى الخيول، وآخيا، أرض النساء الفاتنات».

وإذ قال هذا، ارتعد الرجل العجوز، وزعم ذلك فقد أمر رفقائه أن يضعوا النير فوق الجياد، فأطاعوا لتوهم. ثم صعد بريام، وسحب الأعنة إلى الخلف، كما صعد «أنتيور» إلى جانبه في العربة الفاخرة، وساق كلاهما الخيول عبر أبواب سكاى إلى السهل.

بيد أنهما ما إن وصلا إلى الطرواديين والآخيين، حتى نزلا من العربة إلى الأرض الفسيحة، وذهبا إلى وسط الطرواديين والآخيين. عندئذ قام أجاممنون، ملك البشر، وأوديسوس الكثير الحيل، وجمع الرسل الملكيون الذبائح للأيمان المقدسة للآلهة، ومزجوا الخمر في الطاس، وسكبوا الماء على أيدي الملوك، واستل ابن أتريوس السكين المعلقة باستمرار إلى جانب غمد حسامه العظيم، ونزع الشعر من رأسي الحملين، فوزعه الرسل على رؤساء الطرواديين والآخيين. ثم قام أجاممنون في وسطهم، ورفع يديه يصلي بصوت مرتفع، قائلا: «أبانا زوس، يا من تحكم من إبداء أيها الأجد، أيها الأعظم، وبأيتها الشمس التي ترى كل شيء وتسمع كل شيء، وأنت أيها الانهار، وبأيتها الارض، وانت يا من تنتقم في العالم السفلي من البشر الذين انتهوا من الحياة، وكل من أقسم حائثا، كونوا شاهدين، وراقبوا بليمان الثقة. فلو قتل الكساندر مينيلالوس، فدعوه يأخذ هيلين وكل أموالها، أما نحن فنسزل في سفننا الماخرة. وإذا قتل مينيلالوس الجيل الشعر، الكساندر، فدعوا الطرواديين يردون هيلين وسائر أموالها، ويدفعون تعويضا مناسباً لأهل أرجوس حتى تستطيع الاجيال القادمة أن تتذكروه. أما إذا لم يعترم «بريام» وأبناؤه دفع التعويض لي، عندما يخفق باريس فإني سأضفي في القتال حتى أحصل على التعويض، وأظل هنا إلى أن أضع حدا للحرب».

وبعد أن قال هذا، ذبح الحملين بسكينه البرونزية عديمة الرحمة، ثم

تركهما فوق الارض، يلهتان ويتنفسان بصعوبة، لأن السكين سلبتهما القوة. ثم صب القوم الخمر من الطاس في الكؤوس، وسكبوها على الارض، وصلوا للآلهة الخالدة. فأخذ كل من الآخيين والطرواديين يردد: «أي زوس، أيها الأُمجد، أيها الأعظم، وبأيتها الآلهة الأخرى الخالدة. أيُّ الجيشين يبدأ بالمدوان حائثا في الايمان، فلتسكب أمخاخ جنوده - هم وأطفالهم - فوق الارض انسكاب هذه الخمر، ولتصبح زوجاتهم جوارى وإماء للآخرين».

هكذا قالوا، ولكن الوقت لم يكن قد حان بعد لابن كرونوس كي يحقق لهم دعاءهم. ثم قام بريام وسط الجموع، بريام ابن زوس، وقال: «أصغوا إليَّ أيها الطرواديين والآخيون المدرعون جيذا، الحق، إنني سأعود ثانية إلى طروادة الكثيرة الزوايع، إذ لا يمكنني بأية حال أن أحتمل أن تشهد عيناى ابني العزيز يتقاتل مع مينيلاروس، العزيز لدى أريس. ولكن هذا، على ما أعتقد، يعرفه زوس والآلهة الآخرون الخالدون، ويعرفون أيهما كتب له الموت».

هكذا تكلم الرجل الشبيه بالإله، ثم وضع الحملين في عربته، وصعد هو نفسه وجذب أعتة الخيل، وركب اتينور القائد العظيم الحكيم العربية الفاخرة إلى جواره، وانصرف كلاهما عائدين إلى طروادة.

وحين وصلا، لم يلبث هكتور بن بريام، وأوديسيوس العظيم، أن قاسا المسافة أولاً، ثم تناولا قطعة معدنية كقرعة وأخذوا يهزئانها في خوذة من البرونز، ليعرفا أيُّ المتبارزين يبدأ بقلد رمحه البرونزي. وصلى الناس ورفعوا أيديهم إلى الآلهة، فارقت أصوات الآخيين والطرواديين ضارعين: «أبابا زوس، يا من تحكم من إيدا، أيها الأُمجد، أيها الأعظم، من كان من هذين سببا في جلب المتاعب لكلا الشعبين، فاحكم عليه بالموت والدخول إلى بيت هاديس، بينما دعنا نحن نرتع في الصداقة ومواثيق الاخلاص».

وجعل هكتور العظيم، ذو الخوذة البراقة، يهز الخوذة وهو ينظر خلفه لفترة من الوقت، وسرعان ما وثب «باريس» خارجا. عندئذ اصطف القوم جلوسا، كل واحد حيث يوجد حصانه الواسع الخطى، وحيث توجد درعه المطعمة. وارتدى باريس العظيم، زوج هيلين ذات الشعر الجميل، دروعه الفاخرة حول منكبيه، ثم غطى ساقيه بدرعيهما الجميلتين المطعمتين بقطع من الفضة عند الركبتين. وبعد ذلك ارتدى درع شقيقه «لو كاون» حول صدره، وثيابه جيذا، وألقى حسامه البرونزي المطعم بالفضة على كتفه، ثم درعه الكبيرة المتينة، ووضع فوق رأسه خوذة قوية الصنع ذات خصلة من ذيل حصان - فكانت الخصلة تظل من الامام بشكل مخيف - ثم تناول رمحا صلبا ملائما لقبضته. وينفس هذه الطريقة لبس «مينيلاروس» الجسور ملابس الحرب.

وبعد أن سلحا نفسيهما، على جانبي الحشد، سارا نحو الساحة الفاصلة بين الطرواديين والآخيين، والشر يتطاير من أعينهما، فاستولت الدهشة على الناظرين من الطرواديين مستأنسي الخيول، والآخيين المدرعين جيذا، ثم اتخذ كل منهما وقفته متقاربين في المسافة، يلوحان برمحيهما كل إلى الآخر في غضب. قذف الكساندر برمحه أولا، مصوبا ضربة إلى درع ابن أتريوس، تلك الدرع المستديرة المعتزة من كل جانب، فلم يخترقها الرمح الطويل، ولكن طرفه انثنى فوق الترس القوي. وإذ ذاك هجم ابن أتريوس، مينيلاروس، برمحه، وهو يصلي لأبيه زوس قائلا: «أي زوس، مليكتنا، هب لي أن أنقم منه جزاء ما اقترفت يداه في حقى، أنقم من باريس العظيم... وأن تخضعه تحت قبضة يدي، كي ترتجف الاجيال القادمة لمجرد التفكير في الاساءة إلى المضيف الذي أظهر للضيف صداقته».

وما إن تكلم، وأصلح من اتزان رمحه الطويل الظل، حتى قذف به مصوبا الضربة إلى ترس ابن بريام المعتز جيدا من كل جانب. فنفذ الرمح

من الترس اللامع، ثم خلال درع صدره المرصعة بالأحجار الثمينة، ومرق إلى عباءته المدرعة عند جانبه، ولكنه اتحنى مسرعا إلى جنب، فنجا من المصير الأسود! عندئذ شهِر ابن أتريوس سيفه المرصع بالفضة، ورفع نفسه إلى فوق، كي يضرب حافة خوذته، غير أن السيف تحطم فوقها إلى ثلاث قطع، لا، بل أربع، ثم سقط من يده. وإذ ذاك، صاح ابن أتريوس صيحة مريرة ناظرا إلى السماء المنبسطة إلى بعيد، قائلا: «أي زوس! ليس هناك إله آخر أشد منك إيذاء. حقا، لقد خيل إلي أنني انتقمتم لنفسي من باريس بسبب فجوره، ولكن ها هو سيفي يتحطم الآن في يدي، وقد طار من قبضتي دون جلوي دون أن أجهز عليه!»

وما إن قال هذا، حتى وثب عليه وأمسك به من خوذته ذات خصلة شعر الخيل الغليظة، وألقى به إلى الأرض وشرع يجره صوب الآخرين المدرعين جيدا، فاختنق باريس بواسطة سير الخوذة الفاخر التطريز، المربوط بإحكام أسفل ذقنه الناعمة، والملتف حول عنقه البض. وكاد مينيلوس يسجبه بعيدا، ويحظى بانتصار لا يوصف، لولا أن أفروديت ابنة زوس، أبصرت به في الحال. ولكي تنقذ باريس، قطعت السير المصنوع من جلد الثور إلى نصفين، فبقيت الخوذة خاوية في يد «مينيلوس» القوية، وعندئذ طوح بها إلى جموع الآخرين المدرعين جيدا، فالتفتها زملاؤه المخلصون.

أما هو نفسه فقفز إلى الوراء من جديد، تواقا إلى قتل عدوه بالرمح البرونزي. ولكن أفروديت اختطفته بسرعة بقدرته الربة، وأخفته في غمامة كثيفة من الضباب، ثم وضعت في غرفته المعطرة، ذات القبو.

وذابت أفروديت بنفسها لتستدعي هيلين. فالتفتها فوق الحائط المرتفع، ومن حولها نساء طروادة جماعات. فأمسكت الربة بثوبها العبق، وجذبت، وتكلمت إليها متخذة صورة امرأة عجوز ممن يغزلن الصوف كانت تهين لها الصوف الناعم أبان وجودها في لاكيدايون، وكانت تحبها حبا جما. وفي صورتها تكلمت أفروديت الغائبة، فقالت: «تعالى إلى هنا، إن باريس

يدعوك لتذهبي إلى بيتك. إنه هناك في غرفته مستلقيا فوق سريره المطعم، يتألق جمالا وبهاء. لم تكوني لتصدقي أنه سيعود بحال ما من قاتل عدوه، ولكنتك سوف تجدينه كما لو كان ذاهبا إلى المرقص، أو عاتدا لتوه بعد أن كف عن الرقص».

وإذ قالت هذا، حركت قلب هيلين في صدرها، فلما أبصرت جيد الربة، وصدرها الجميل، وعينيها اليراقين، استولى عليها الذعر، فخاطبتها بقولها: «أيتها الربة الغريبة الاطوار، لماذا عولت على خداعي بهذه الكيفية؟ إنك - بعد أن رأيت كيف هزم مينيلوس باريس العظيم، واعتزم أن يصحبني، أنا البغيضة، إلى بيت - لن ترددي في أن تقوديني إلى مكان بعيد بإحدى المدن المكتظة بالسكان، في فروجيا أو مايونيا الجميلة، لو وجدت لي هناك عاشقا عزيزا عليك من البشر! - لهذا جئت الآن بنية سيئة! فاذعبي إذن. اجلسي إلى جوار باريس، واتركي طريق الآلهة، ولا تجعلني قدميك تحملائك بعد الآن إلى أوليمبوس بل أحملني الهموم من أجل باريس، وأحرميه، إلى أن يتخذك زوجته، أو ربما جاريته. ولكني لن أذهب إلى هناك، فقد كان من العار أن أرتب فراش ذلك الرجل، ولسوف تنحي نساء طروادة جميعا علي باللائمة، فضلا عن أن آلام قلبي لا حد لها».

ثارت ثائرة أفروديت، فقالت: «لا تستفزني، أيتها المرأة الطائشة، لئلا يتملكني الغضب فأهجر، وأبغضك بقدر فرط حبي لك الآن، أو أدير الكراهية المحزنة بين الطرواديين والدانيين على السواء، وعندئذ تلاقين شر ميتة تسمه!».

وإذ قالت هذا، استبد الخوف بهيلين المنحدرة من زوس، فمضت صامئة وراء الربة، وقد التفت بعباءتها اللامعة المتألقة، فلم تبصرها النساء الطرواديات والربة تقودها إلى الطريق.

وعندما بلغنا قصر باريس الجميل، انهكمت الخادومات فورا في

مقتنهم للموت الأسودا. وعندئذ تكلم أجامنتون، ملك البشر، وسط حشدهم، قائلا: «اسمعوا ما أقول أيها الطرواديون، والدردانيون، ويا أيها الحلفاء: إنما النصر الآن من نصيب مينيلوس، دون شك. فهل لكم إذن أن تسلموا هيلين الارجوسية، وما معها من أموال، وتدفعوا التعويض المناسب، بالقدر الذي لن تنساه الاجيال المقبلة؟»!

هكذا تكلم ابن أثريوس، فصاح جميع الأخيين مؤتمنين على قوله.

وتم الصلح بين الطرفين

وعادت هيلين الجميلة.. أصل هذا اليلاء.. الذمية التي أترعت بالمقاتن، وفاضت عينها بحر الهوى. عادت هيلين التي كان جمالها يخطف الأبصار، وتتقدم فتخطف القلوب، تود لو تغمرها لمحة من جمالها النضر وشبابها الساحر.

عادت الساحرة الجميلة.. إلى بلادها وزوجها بعد غيبة عشر سنوات مليئة بالأحداث والأحزان.



هيلين الجميلة.

أعمالهن. أما هي، الغادة الحسناء، فصعدت إلى الحجر ذات السقف المرتفع، حيث أحضرت لها الربة أفروديت، المجة للضحك، مقعدا ووضعتة تجاه باريس. فجلست هيلين، ابنة زوس حامل الترس، ونظرت إليه شزرا بعينها، وأبنت زوجها قائلة: «لقد عدت من الحرب! ليتك هلكت هناك، وصرعك الرجل الشجاع، الذي كان سيدي السابق. إنك كنت تزهو فيما مضى بأنك أفضل من مينيلوس، العزيز لدى أريس، بقوة يديك وبرمحك. ولكن أترجو الآن على الذهاب، لتحدى من جديد مينيلوس، العزيز لدى أريس، كي يشتبك معك في قتال، رجلا لرجل...؟ لا، إني، من لقاء نفسي، أمرك بالإحجام، وألا تتعجل بمحاربة مينيلوس الجميل الشعر، ولا تتقاتل معه بحماقتك، خشية أن تلقى حتفك سريعا برمحه!»

عندئذ تحدث إليها باريس، قائلا: «سيدتي، رفقا بقلبي من التأنيب بكلماتك القاسية، فلقد هزمني مينيلوس، بمساعدة أثينا، ولكني سوف أقضي عليه في فرصة أخرى، لأن هناك آلهة تقف إلى جانبي. تعالي، هيا نأخذ حظنا من المتعة، فنضطجع معا وترتوي من لذات الحب. فلم يسبق لي أن اجتاحتني مثل هذه الرغبة.. كلا، ولا حتى عندما خطفتك أولاً من لاكيدايون الجميلة، في سفني مآخرة البحار.. وفي جزيرة كراتكاي نعمت بمقاسمتك فراش الحب.. والآن، تتملكني نفس الرغبة الجامحة والغرام الجارف!»

وإذ قال ذلك، سار أمامها إلى الفراش، فتبعته... وهكذا اضطجع كلاهما فوق الفراش المصنوع من الحبال، بينما كان ابن أثريوس يجوس خلال الجموع كوحش ضار، يود أن يقع بصره على باريس الجميل في أي مكان! ولكن ما من أحد من الطرواديين أو حلفائهم المشهورين استطاع أن يدل مينيلوس، العزيز لدى أريس، على مكان باريس - والحق أنهم لم يرغبوا في إخفائه لو استطاع أحدهم أن يراه، لأن الجميع كانوا يمتقنونه

هستيا

(نستا)

إنها شقيقة زيوس وبنت كرونوس، كانت مثل أرتيمس وأثينا، وبة عذراء. وحدث، بعد أن أطاح زيوس بعرش أبيه كرونوس، أن تنافس في طلب يدعا كل من يوسيدون وأبوللون، وهي قصة لم تنشأ إلا لأنها عُبدت مع هذين الإلهين في دلفي. غير أن هستيا رفضت كل عروض الزواج التي تقدم بها الآلهة والبشر، وأقسمت برأس زيوس أن تظل عذراء إلى الأبد. وقد حاول بريايوس مرة أن يختصبها. لكن يبنفي قبل أن أمضي في سرد القصة أن أبين من هو بريايوس.

لقد قيل عنه إنه كان ابن هرميس. وقيل عنه أيضا إنه كان أباه. وليس من المستبعد أن يكون «هما مفروديتوس»، أو أن يكون ابنا أنجبته أفروديتي من ديونيسوس أو أودنيس أو زيوس نفسه. وقد ولد مشوهاً مثل هفايستوس وفطبخ الخلقة مثل بان، فكان طويل اللسان متفخ البطن، جامع الشهوة إلى حد أن أمه تخلت عنه وبذلته وأنكرته إنكاراً تاماً. وفي الحق إنه كان أحد آلهة بلدة بريايوس، وهي ما نعرفها اليوم باسم بلدة الدردنيل. هذا الإله الغريب الشكل حاول مرة أن يختصب الربة هستيا في حفل زيفي دُعي إليه الآلهة. ويبدو أن الآلهة شربوا وأكثروا من الشراب، فلعبت الخمر بزووسهم وغلبلهم الثعاس وما لبثوا أن غطوا في نوم عميق. وانتهز بريايوس الفرصة فنسلل إلى مكان هستيا، ولكنها هبت من نومها مذعورة على نهيق حماره، وصرخت بأعلى صوتها، فأطلق بريايوس ساقبه للريح دون أن يحقق غيته. ألا فليحذر من يحاول انتهاك حرمة الضيوف من النساء اللاتي يكن تحت حماية الموقد المقدس. ويبدو أن الناس لم ينسوا هذه الحادثة فظلت الحمير تنحر قربانا لبريايوس في أماكن عبادته.

ولم تكن العذرية وحدها هي موضع افتخار هستيا، فقد كانت دون سائر آلهة أولمبيوس هي الوحيدة التي لم تشترك أبداً في حروب أو منازعات. ولهذا السبب استجاب زيوس إلى رغبتها في أن تكون الذبيحة الأولى من نصيبها في أي حفل عام للقرايين، وأن تحتل في أي منزل مكانه الأوسط، وبذلك أصبحت هستيا - كما يتبين من اسمها - ربة الموقد، رمز الحياة العائلية، وما يسودها من سلام وتضامن وهناء. لقد كان إضرام النار في العصور القديمة عملية شاقة تستغرق وقتاً طويلاً، لذلك أصبح إيقاؤها مشتعلة أمراً مرغوباً فيها. ويبدو أن موقد الزعيم أو الملك كان على جانب كبير من الأهمية بين الجماعات الأولى سواء في بلاد اليونان أو في إيطاليا إما لغائده العملية أو لأسباب تتصل بالديانة والسحر. لقد كانت النار ترادف الحياة تقريبا. ومن ثم أصبحت عبادة الموقد الجماعي أو الموقد المقدس عادة شاملة. غير أن ربه لم تتخذ، كغيرها من الآلهة، أشكالا أخرى بشرية أو حيوانية، ولهذا لم تنشأ حولها أساطير تقريبا، ولم يرد لها ذكر عند هوميروس. وإنما كانت هستيا تسط حمايتها على من يستجرون بالموقد المقدس سواء في منزل خاص أم في مكان عام. وحول هذا الموقد كان يطاف بالمولود الجديد في اليوم الخامس من ولادته، وهو يوم الاحتفال بتسميته حتى يُعترف به عضوا في الأسرة.

وفضلا عن ذلك فإن كل وجبة من وجبات الطعام كانت تبدأ وتنتهي بتقديم القرايين إليها وكان اسمها أول ما يذكر عند الصلاة وأول ما ينطق به غالبا عند القسم.

وكما كان في كل بيت موقد لهستيا كان لكل مدينة موقد عام موقوف على الربة في قاعة البريتانيوم، وهي بمثابة دار الرئاسة، حيث كان يستقبل الضيوف والأجانب. ولما كان لهستيا أيضاً موقد مقدس في معظم قاعات مجلس الشورى فإنها كثيراً ما نوديت باسم بوليا. وعند تأسيس أي مستعمرة يونانية كان المهاجرون يحملون معهم قطعاً من فحم موقد المدينة الأم لكي

يشعلوا به نار موقد المستعمرة الجديدة. ولقد رُوي أن كومة الفحم المتخلف تحولت في دلفي إلى صخرة مقدسة اشتهرت باسم «السرة» وهي التي توهم اليونان أنها مركز العالم. وتشاهد كثيرا في زخارف الأواني الخزفية.

ولقد عرف الرومان هستيا باسم فستا ربة النار المقدسة، وأقاموا لها معبدا خاصا في روما. وكان يقوم على خدمتها فيه ست عشرة فتاة عذراء يخترن من بين الأسر العريقة، ويقيم كذلك ثلاثين عاما. وكان الكاهن الأعظم هو الذي يتولى أمرهن يوقع عليهن الجزاء في حالة إهمالهن النار أو انحرافهن عن سواء السبيل. وحدث أن فرطت إحداهن في عفتها فكان جزاؤها أن دقت حية.



هستيا.

أريس (مارس)

كان أريس، ابن زيوس وهيرا، إله الحرب. ويحدثنا هوميروس بأن أبويه كانا يكرهانه، ويصوره إلهًا بغضب حتى في الالιάدة، مع أنها ملحمة تتغنى بالطنن والنزال. وقد يتهيج الأبطال أحيانا بخوضه المعركة، غير أنهم غالبا ما يبتهجون بنجاتهم من غضبه. فقد كان إلهًا قاسيا متحجر القلب لا يرحم. ويندد به هوميروس فيصفه بالقاتل، الملطخ بالدماء، وأنه لعنة على البشر. ومن الغريب أيضاً أن يصفه بالإله الجبان الذي يصرخ من الألم عندما يصاب بجراح. غير أن أريس كان له دائما حفة من الأتباع في ميدان القتال تعمل على بث الشجاعة في نفوس المحاربين. وتظهر أريس ربة الشقاق، أختا له في الالιάدة، وتمشي ربة الحرب إتيو إلى جانبه في معظم الأحيان، وفي ركابها يمشي «الرعب» و«الارتجاف» و«الفرع» وفي أعقابها تتصاعد أنات المجندلين وتسيل الدماء في الأرض كالأنهار.

وقد أحب الرومان أريس الذي عرفوه باسم مارس أكثر مما أحبه اليونان. ولم يكن مارس عندهم ذلك الإله الهزيل الرعدي الذي يصوره هوميروس، بل كان إلهًا مهيبا لامع الدرع، براق السلاح، رهيبا لا يقهر. ونجد المحاربين في الالιάدة - ملحمة الرومان الكبرى - يطربون لسقوطهم في ميدان مارس، أي في حومة الوغى، مجال الشهرة الأبدية، ويندفعون إلى الردى ليحرزوا المجد، كما كانوا يستعذبون الموت في المعركة.

ولم تنسج حول أريس سوى قليل من الأساطير. وأطرفها جميعا تلك التي تروي أن أريس هام حبا بأفروديتي، وأن الربة بادنته هذا الحب. وقد حدث ذلك في قصر زوجها هيفايستوس، وراء ظهره. وبذل أريس قصارى

نهر
في
البحر

جهده حتى نال منها بغيته. ورأى هليوس، إله الشمس، العشيقين في خلوتهما، فأخبر من فوره هيفايستوس، إله النار والحداة. وقد حز الخير في صدره، فأسرع إلى مصنعه حيث جالت بخاطره أفكار سوداء. وأعد سندانه الضخم، وصنع سلاسل من الحديد يستحيل تحطيمها أو فكها. على أن هذه السلاسل كانت على متانتها أشبه بشبكة دقيقة النسيج حتى لا تكاد تراها العين وكأنها خيوط العنكبوت. وعلقها هيفايستوس فوق قوائم سريره، وارتحل أو هكذا زعم، إلى لموس، جزيرته المفضلة. وبذلك نهأت الفرصة التي طالما ترقبها العاشق الولهان. ودخل آريس قصر أخيه الغائب وهو يتحرق شوقاً إلى لقاء أفروديتي الجميلة التي كانت قد عادت من زيارة أبيها زيوس منذ لحظات. وأمسك آريس بيدها فسرت في أوصاله نار الشهوة الجامحة، ودعاها إلى مضاجعته. ولم تمنع أفروديتي عليه لأنها لم تكن أقل منه رغبة. وضُمهما فراش أثير وأسكرتهما النشوة فاستسلما للنوم العميق. وسرعان ما أطبقت عليهما الشبكة الحديدية التي صنعها هيفايستوس، فاستحالت عليهما الحركة ووجدتا نفسيهما مقيدتين بأغلال لا يستطيعان منها فكاً وأدركا من فورهما أنهما قد وقعا في شرك متين.

وفاجأ هيفايستوس العشيقين متلبسين بالجريمة، لأن هليوس، إله الشمس، الذي كان يراقبهما من بعيد، فضح سرهما للزوج المسكين. ووقف هيفايستوس عند باب الغرفة يريغ ويزيد، ثم نادى بصوت رهيب جميع الآلهة قائلاً: «أي زيوس، أيها الأرباب، تعالوا أشهدوا أي مهزلة تجري في رحاب هذا المنزل، تعالوا أشهدوا كيف تلحق بي أفروديتي، ابنة زيوس، العار دائماً لأنني رجل مشوه. إنها تحب آريس الملك، لأنه وسيم، وساقاه سليمتان، بينما أنا أعرج. لكن والذي هما الملومان على ذلك، فما كان ينبغي أن ينجباني ويا ليتني ما ولدت! انظروا كيف يستلقي في فراشي هذان العاشقان اللذان أسكرتهما خمرة الحب! إنهما ليؤذيان بصري إشد الإيذاء. ويبدو لي أنهما معا سيظلان كذلك فترة طويلة لأنهما

نحو
١٠٠

يحبان أحدهما الآخر حبا قويا. لكن سرعان ما سوف يزهدان في الرقاد، عندما يحسان أن السلاسل التي تقيدهما محكمة كل الأحكام، ولن أخلي سبيلهما حتى يرد لي زيوس ما قدمته له من هدايا من أجل ابنته الوقحة المبتذلة. إنني لا أنكر أنها جميلة، ولكنها أبعد الإلهات عن الطهور والعفة».

وتجتمع الآلهة في قصره ذي المدخل النحاسي. وقد حضر إليه بوسيدون وهرميس وأبولون. وأما الإلهات فقد منعهن الحياء من الحضور فلزمن بيوتهن. ووقف الآلهة عند باب الغرفة، وأغرقوا في الضحك عندما رأوا ما دبره هيفايستوس من حيلة ماهرة للإيقاع بالعشيقين. وقال أحدهم للآخر: «لا خير في الفحشاء ولا جدوى من المكر. لقد أمسك البطيء بالسريع. إن من يزني لا بد له من التكفير عن خطيئته». ثم سأل أبولون هرميس: «أتحب يا هرميس أن ترقد مقيدا بالأغلال إلى جانب أفروديتي الذهبية؟». فاجابه هرميس: «أه أستطيع ذلك، وإن قيدت بسلاسل أقوى من هذه ثلاث مرات، وإن حضرتم جميعاً أيها الآلهة لثروني، فكم أتمنى أن أسترخي بجانب أفروديتي الذهبية». وضح الآلهة بالضحك، ما عدا بوسيدون الذي توسل إلى رب الصناعات أن يطلق سراح آريس، واعدا إيائه باسم جميع الآلهة أن يكفر له آريس عن خطيئته. ووافق هيفايستوس بعد تمسح، وفك قيد العشيقين اللذين انطلقا خارج القصر. وقد رحل آريس إلى طراقيا، ورحلت أفروديتي إلى معبدها في بافوس بجزيرة قبرص حيث استقبلتها ربات البهاء في ترحاب وقدنهما إلى الحمام حيث اغتسلت. ثم مسح جسمها اللدن بذلك الزيت الخالد الذي يفوح شذاه دائماً من الآلهة، ثم دثرنها ثانية في ردايتها الزاهي البهيج وكان شبتا لم يكن.



أرتميس (دريانا)

كانت ربة مبنوية الأصل، وتظهر في أشعار هوميروس كابنة لزيوس وليتو، وشقيقة توأم لأبوللون. ولم تتزوج أرتميس أبداً فظلت كائنة وهستيا، ربة عذراء. ولما كانت ربة المناطق غير المزروعة كالجبال والغابات والمروج البرية حيث تكثر الوحوش كالأسود والذئبة والحيوانات غير المستأنسة كالغذاء والأيتال، فقد اشتهرت أرتميس التي انتشرت عبادتها انتشاراً واسعاً بأنها ربة الصيد. وفي المناطق كانت الربة تضي الوقت لاهية في القنص والرقص مع رفيقاتها العذارى من الحوريات والعرائس. وشد ما كان يبتهج قلبها برقصات فتيات قرية كرياى الشهيرة بأشجار الجوز، هؤلاء الفتيات اللائي كن يرقصن تحت ضوء القمر في نشوة بالغة رقصاً دائرياً حاملات فوق رؤوسهن سلالاً من البوص، كأنهن أشجار راقصة، فلا عجب أن لعبت أرتميس باسم هذه القرية.

وبما أنها كانت عذراء فقد كانت صوحيباتها عذارى مثلها، وبما ويل للرجل الذي يحاول أن يراها خلصة وهي تستحم في جدول أو ينبوع! فعندما اجترأ سيرويتيس الكريتي على رؤيتها وهي عارية، حوكت الربة إلى امرأة! وكثير منا يعرفون قصة أكتايون وهي قصة منجعة، رويت بأشكال مختلفة وأكثر هذه الروايات تداولاً ما تقول إن أكتايون الذي رياه خيرون ودربه على الصيد، فاجأ أرتميس مرة وهي تستحم فاقتضت منه الربة بأن مسخته أيلًا، وهو حيوان محبب لدى أرتميس، ولكنه راح ضحيتها في هذه المرة. ذلك أن كلاب أكتايون انقضت على سيدها بعد أن صار أيلًا ومزقه إربا. واضطلعت أمه أوتونوي بمهمة جمع عظامه المتناثرة، وهي مهمة

محزنة ثقيلة على قلوب الأمهات. وفي رواية أقدم أن أكتايون تنكر في جلد الأيل، وتودد إلى أرتميس في هذه الصورة، وحاول اغتصابها، فلقى جزاءه الرهيب.

ورشة قصة محزنة أخرى عن أرتميس كانت بطلتها كالسيو، وهي إحدى رفيقاتها. وهذا الاسم مشتق من صفة بمعنى «الأجل» أو «المتناهية في الجمال»، وعرفت به أيضا أرتميس نفسها. ولقد رُوي أن كالسيو كانت حورية صائدة ترتدي نفس الزي الذي ترتديه الربة. ويختلف اسم أبيها باختلاف الروايات، كما يختلف اسمها نفسه من قصة لأخرى. وعلى أي حال فإن زيوس أغواها بعد أن تمثل لها في صورة أرتميس نفسها وقال لما ورد عند كاتب هزلي. وقد كان لأرتميس في القصص القديمة شكل الذئبة، وجامع زيوس كالسيو وهو في شكل الذئب. واكتشفت الربة ذات يوم وهي تستحم في ينبوع أن إحدى رفيقاتها حامل. فمسختها في سورة غضبها دبة. ومع هذا فقد ظهرت كالسيو في السماء آخر الأمر كنجمة تحمل اسم «الذئب الأكبر» بعدما أنجبت من زيوس ابناً أصبح الجد الأول لسكان أركاديا في البلوبونيز. ويرتبط اسمه أركاس بلفظ أركتوس أي الذئب. وقيل أيضا إن كالسيو حملت توأمين: أركاس وبان، إله غابات أركاديا الذي كان نصفه الأسفل في شكل جدي، وتتفق طبيعة أركاديا المقفرة وطباع سكانها البدائية مع أمثال هؤلاء الآلهة والأجداد كل الاتفاق.

وتتقرن قصة بريتوماريس أيضاً بالربة أرتميس. وبهذا الاسم كان سكان كريت يittelون إلى عذراء الإلهة حبيبة إلى قلب أرتميس. ولعل اسم بريتوماريس يعني في الكريته «العذراء الحلوة». وقد عرفت أيضاً في أجزاء من جزيرة كريت الكبيرة باسم «ربة جبل دكتي» وهو اسم يتضمن معنى الشبكة. وفي الواقع أن الشبكة لها دور في القصة. فقد رُوي أن بريتوماريس كانت ابنة أنجبها زيوس في كريت. ولما شبت عن الطوق أصبحت حورية تهوى الصيد. وقد تدله مينيوس بن زيوس في حبها، فتعقبها

بيجماليون

أيها الحب . . أنت إله
 أيتهما الرغبة . . أنت ربة
 أيها الحب . . سهمك النافذ أصاب أعماق قلبي
 أيتهما الرغبة سهامك الدافئة انتشرت في كل جسدي
 لن أقاومك أيها الحب فأنت قادر
 لن أتحداك أيتهما الرغبة فأنت قادرة
 قادر، تصنع من الجمر الصلب قلباً نابضاً
 قادرة، تجعلين من الحجر الصلب جسداً حياً
 قادر، تصيب بسهمك النافذ كل قلب
 قادرة، تنشرين سهامك الدافئة في كل جسد
 ولا يسعد القلب النابض إلا بقلب نابض مثله
 ولا ينعم الجسد الدافئ إلا بجسد دافئ مثله

بيجماليون
 في تضرعاته



في جبال الجزيرة. وأخفت الحورية نفسها تارة وسط غابات البلوط، وتارة أخرى في المروج المنبسطة. وظل مينوس يطاردها تسعة أشهر دون أن يكلّ من المطاردة. وكاد مرة أن يظفر بها عند سفح منحدر على جبل دكتي عندما اشتبك ثوبها في فرع شجرة من أشجار الآس. ولكنها قفزت من أعلى الشجرة إلى البحر حيث تلقتها شبكة أحد الصيادين. وعندئذ رفعتها أرتميس إلى مصاف الرباط. وأما سكان جزيرة إيجينا فيروون أن بريتمارتيس جاء إلى جزيرتهم في زورق صياد يدعى أنروميديس، وأن هذا الصياد حاول اغتصابها، ولكن الربة اختفت في تلك الغابة التي كانت تكسو حينئذ الجبل الذي يقوم عنده معبدها. على أنها لم تعرف في إيجينا باسم بريتمارتيس، بل باسم أفيلا لأنها اختفت فجأة عن الأنظار.

وكانت أرتميس فوق ذلك كله تحمي مواليد الحيوان والإنس وتقوم بحضانتهم وتُعنى بصحتهم. ولعل ذلك يفسر كيف أصبحت تعين النساء في ساعة الوضع، وأصبحت نظراً لأهميتها عند الأمهات، ربة مدينة أي من ربات المدينة، مثلها في ذلك مثل إيليثيا الربة القابلة. ومن ثم جاء الخلط بين أرتميس وهكاتي التي كانت هي الأخرى تقوم بتربية الأطفال. وكذلك الخلط بين سليلتي، ربة القمر، وبينهما بوصفها شقيقة أبوللون الذي خلط بينه وبين هليوس، إله الشمس. ومع حرصها على الصغار ورعايتها إلا أنها حالت دون إبحار الأسطول الإغريقي إلى طروادة قبل أن يضحي لها بصبيّة علدراء. ويكشف هذا السلوك عن جانب مناقض لصفاتها المعروفة، ولا يعدو أن يكون إحدى المتناقضات التي تزخر بها الأساطير ولا نعرف لها تفسيراً. ولما كانت أرتميس ماهرة، كأخيها أبوللون، في رمي السهام، فقد كان يعزى إليها موت النساء فجأة دون ألم.



بيجماليون

ستم بيجماليون حياته مع النساء الفاجرات.. العاهرات، ستم حياة الرذيلة والعشق مع نساء البشر.. لقد وجد فيهن المكر والخداع في سبيل الحصول على شهوة وقتية زائلة.. كان يرى نفسه وهو الفنان البارح أنه عبد لتلك المرأة التي يضاجعها، ثم يضاجعها غيره أو قبله.. لقد كره هذه الحياة الحيوانية التي يعيشها.. وارضى لنفسه أن يعيش حياة العزوية بعيدا عن النساء. غير أنه استطاع أن يقضي وقته كله في نحت تماثيل عاجي في بياض الثلج، وصاغه في أجمل صورة لامرأة جميلة حسنة يفوق جمالها نساء الأرض أجمعين.

وكان كل يوم يقضي الوقت الطويل في تأمل هذا التمثال الرائع.. وفي الحقيقة، كان التمثال يفيض حيوية حتى ليخيل إلى المرء أنه يوشك أن يتحرك أو ينطق..

لقد انبهر بيجماليون بما صنعت يده، وما كان يظن أنه استطاع أن يصنع هذا التمثال الذي يكاد أن يكون حقيقة.. امرأة حقيقية من لحم ودم. وأخذ قلبه يولع شيئا فشيئا بهذه المحاكاة لجسد المرأة، فهم بالتمثال وعشقه عشقا مبرحا. وقد راح يتحسسه ويمر بأنامله عليه في لمسات رقيقة حاملة وهو لا يكاد يصدق أنه صانع التمثال.. وأنه من العاج

وكان يقبل التمثال بحرارة ويمر بشفتيه عليه كأنما يقبل امرأة حقيقية. وكان يقف أمامه الساعات الطوال يحدثه ويته لواعج حبه والتمثال أمامه صامت لا يتحرك ولا يتكلم. وكان يحمل إليه الهدايا من كل صنف ونوع.. طعام وشراب.. ذهب.. أفرات.. زهور وورود. وكان يلف عقه بعقود من لؤلؤ، ويضع في أذنيه أفراتا من لؤلؤ، ويلفه بغلالات شفافة رقيقة تبرزه في أجمل صورة.. صورة المرأة الحسنة الجميلة..

وإذا ما أقبل الليل.. كان يُرقده فوق فراش من ريش النعام ويضع رأسه فوق وسادة من زغب البجع.

لقد هام بيجماليون بالتمثال وعشقه كما يعشق الرجل المرأة.. وأصبح مهووسا لا يفارقه لحظة واحدة، كأنما يخشى عليه أن يعيشه رجل آخر غيره.

وجاءت أعياد فينوس التي تقام في أنحاء قبرص محاطة بالمرح والسرور والإجلال، وأقيمت الولائم والحفلات، ونحرت العجول، وقدمت على المذابح، وبدأ البخور يتصاعد في كل مكان، وراح المنشدون ينشدون الاغاني الجميلة ويرتلون بأعذاب الألعان..

وجاء بيجماليون يقدم قربانه ويصلي خاشعا إلى جوار المذبح وهو يتمتع بصوت خفيض لا يسمعه أحد:

إلاهتي الجميلة..

إذا كان في قدرتك، أيتها الإلهة، أن تهبني كل شيء فهبني لي القدرة على الصراحة اليك.. وامنحني أيتها الإلهة المقدسة زوجة على غرار المذراة التي صنعتها يدي. تقبلي دعائي ولا تخيبي رجائي، وإني لك من الشاكرين أيتها الإلهة المقدسة.

واستجابت الإلهة.. ربة الحب والجمال.. فينوس.. لتضرعات بيجماليون وارتفعت ألسنة اللهب في الهواء واشتعلت ثلاث مرات. وهذه علامة الاستجابة.

وأحس بيجماليون أن دعواته قد استجابت.. وراح يحث الخطى نحو داره. وما كاد يخطو نحو التمثال الذي صنعه يده ويميل عليه ويقبله كعادته حتى أحس بدفء الحياة يدب فيها.. ومد يده يتحسس صدرها فإذا العاج طري لين.. وإذا بشرتها تلين لللمسات أصابعه كما يلين الشمع من حرارة الشمس.. لقد تأكد أنه يتحسس لحما ودمًا. جسدا بشريا.. امرأة حقيقية

وليس تمثالا منحوتا من العلاج الأبيض . لقد دبت الحياة في الجمد وأصبح بشرا حيا يفيض حيوية ونشاطا .

وما إن استوتق ييجمايون، الفنان الرائع، أن التمثال عاد حيا حتى لهج بالشكر لفينوس وراح يمتص بشفتيه تلكما الشفتين اللتين أخذتا تنبضان بالحياة .

وأحست العذراء بحرارة قبلاته فاحمر وجهها خجلا ، ورنث اليه في رقة وأنوته ، واختلست النظر اليه فإذا هي ترى لأول مرة في حياتها 'صفحة وجهه مع بياض النهار في وقت واحد .
وأقامت لهما فينوس عرسا رائعا تحت رعايتها حضره الآلهه والبشر في بهجة ومرح وجمال يفوق الوصف والخيال .

ومضت الايام والشهور والعروسان في سعادة وهناء .
وانجبت العروس طفلة رائعة الجمال اسمتها بافوس . وبهذا الاسم سميت الجزيرة التي يعيشان فيها بهذا الاسم الذي لا ينسى أبدا .



بيجمايون . مع غلاميه .

خيانة زوجه مينوس البسعة

مينوس هو ابن الإلاهه أوروبا التي أنجبت من الإله زفس الذي أصبح ملكا على جزيرة كريت . وقد تزوج مينوس من فتاة جميلة تدعى بازيفاني ، أنجبت له طفلا سمّاه أندروجي وطفلة سمّتها أريان . وقد لعبت أريان دورا كبيرا في الأحداث التي وقعت في مملكة والدها . لقد كان مينوس من أقوى ملوك عصره ، وقد حاول السيطرة على مملكة اليونان . لذا وقعت بينه وبين البلاد اليونانية ، خاصة أثينا ، حروب عديدة ، كان النصر دائما حليفه .

وفي إحدى هذه الحروب ، ترك مينوس جزيرة كريت ، وهاجم على رأس جيشه مدينة ميجارا ، بسبب خلاف وقع بينه وبين ملكها العجوز نيزوس . وحاصر مينوس ميجارا بضع سنوات دون أن يتمكن من غزوها لأنها كانت محمية بشجرة سحرية ، أرجوانية اللون ، تنبت في رأس ملكها نيزوس ، ولا يقوى أحد على احتلال المدينة والقضاء على ملكها إلا إذا حصل على تلك الشجرة السحرية .

ويحيط مدينة ميجارا سور هائل ، يُعتقد أن أبولون ، إله النور والفنون ، وضع عليه يوما قيثارته ، فصارت حجارته تردد نغماتها . وكان للملك نيزوس فتاة تدعى سيليا ، تذهب كل يوم إلى السور ، وتلهو برشقه بالحصى الصغيرة ، فتردد حجارته نغمات قيثارة أبولون . وأثناء هذه الحرب ، جاءت الفتاة يوما كمادتها إلى السور ، وصعدت إلى أحد أبراجه ، وأشرفت على السهول المحيطة بالمدينة حيث تدور المعارك . واتفق أن مر الملك مينوس على حصانه بقرب البرج الذي تقف عليه الفتاة الجميلة فشاهدهه يقف بأسلحته البراقه وثوبه الأرجواني ، وأعجبت به دون أن تعرفه . وكأنه قرأ في نظراتها إعجابها ، فأوقف حصانه أمامها ورفع خوذته عن رأسه تحية

لها، وكشف عن وجهه الرائع، ثم همز حصانه فراح يعدو مبتعدا كالبرق الخاطف. عرفت سبيلا للحال أنه الملك مينوس، وودّت لو تلقى بنفسها من أعلى البرج لتسقط بين يديه.

ورجعت الفتاة إلى بيت والدها وفي نفسها شعوران من هذه الحرب: شعور بالحزن لأنها جعلت من مينوس خصما لوالدها، وشعور بعرفان الجميل لأن لولاها لما رأت هذا الشاب الفاتن ولا عرفته.

وقضت الليل شاردة تفكر في حيلة تنهي بها هذه الحرب وتقربها من الشاب الذي أحبه. وكانت تحدث نفسها قائلة: «لماذا تستمر هذه الحرب، وتقضي على أبناء وطني دون مبرر؟ لماذا أتركهم يعانون الحرمان والشقاء من حصار لن ينتهي إلا بسقوط المدينة في يد من تعلق به قلبي؟ أليس من الأفضل أن أضع حدا لهذه المأساة؟ فلأسرع إلى مينوس وأضحّ بنفسني مقابل أن يكف عن القتال، ويعود إلى بلاده. ولكن كيف العمل للوصول إليه والأبواب مغلقة؟». وقطبت حاجبها وراحت تفكر وتفكر إلى أن أشرق وجهها وانفجرت أساريرها واهتدت إلى فكرة ناجحة. فقامت إلى غرفة أبيها خلصة، وشاهدت الشعرة الأرجوانية تلمع بين شعراته البيض، فنزعها بخفه ورشاقه، وحملتها وخرجت مسرعة. ولما وصلت إلى السور انفتحت لها الأبواب من تلقاء نفسها، وذلك بلا شك بفضل الشعرة السحرية التي بين يديها. فاجتازتها واتجهت نحو مخيم الأعداء، واهتدت إلى خيمة مينوس ودخلت عليه، فدهش لدخول فتاة عليه تحت جنح الظلام.

وسألها: من أنت وماذا ترغبين؟

فسارعت إلى الإجابة: أنا سبيلا ابنة الملك نيزوس، جئت إليك لأنني الحرب بيننا، وأكون جارية من جواريك. خذ هذه الشعرة السحرية لتكون رمزا لحبي الكبير لك. وأعلم أن في تسليمي إيها إليك، إنما أسلمك مملكة أبي ومفاتيح أبوابها.

نيزوس

ثم فتحت يدها وقدمت له الشعرة الأرجوانية. فذعر مينوس واستعظم خيانتها لأبيها، وصاح بها غاضبا: «تلعنك الآلهة وتطردك من هذه الدنيا. أنت عار على أهلِكَ. وأنا لا أرضى بأن تتدنس كريت موطن زفسي بقدميك».

قال هذا، وانتزع الشعرة منها. وافتتح مدينة ميجارا في اليوم التالي، وأخضع ملكها، وفرض على أهلها ضريبة خفيفة، وعاملهم معاملة عادلة، ثم قتل عائدا إلى بلاده.

أما سبيلا فقد غضبت غضبا شديدا على مينوس لتركه أياها، وقد منعتها خيانتها من العودة إلى والدها، فراحت تلطم وتندب حظها وقد شعرت بتأنيب ضميرها.

ورأت سفن مينوس تتبعد في البحر، فقررت اللحاق بها، وألقت بنفسها في البحر وراحت تسبح حتى أدركت سفينة مينوس وتعلقت بها.

وكان زفس، سيد الآلهة، قد عرف بما لحق بأبيها الشيخ من خيانة وهزيمة، فأشفق عليه وحوّله إلى نسر بحري قوي الجناحين. فطار إلى البحر وراح يحوم فوق سفينة مينوس، وشاهد ابنته الخائنة متعلقة بها، فانقضّ عليها يريد تمزيقها، وارتجفت لرؤيته وأرخت يديها وسقطت في الهواء، لكنها لم تلامس الأمواج، لأن أحد الآلهة عطف عليها وحوّلها إلى عصفور يسمى أيريس، ألوانه الزاهية تذكرها بشعرة والدها الأرجوانية.

ورجع الشاب إلى مملكته منتصرا، لكن في غيابه حدثت أمور سببت له حزنا شديدا. وسبب ذلك أن بوسيدون، إله البحار، كان قد أهدها ثورا رائع الجمال لكي يقدمه ضحية له، لكن مينوس أعجب أعجابا كبيرا بهذا الثور، وفُضِّل الاحتفاظ به، فغضب بوسيدون عليه وقرر الانتقام منه. وفي أثناء حروب مينوس مع ميجارا، أوقع زوجته بازيقاني في حب هذا الثور، فما إن رآته بين ثيران زوجها حتى أغرمت به، وراحت تتبعه في المراعي والحقول، وتجمع له الأوراق الناضرة والأعشاب اللذيذة، وصارت تشعر

بالغيرة من كل عجلة تقترب منه. وبلغ من غريتها أن أمرت بإخراج المجلات من القطعان، وبذبحها وتقديمها ضحية للآلهة. وكم تمت أن يركبها هذا الثور على ظهره ويخطفها، كما خطف ذاك الثور الأشقر أوروبا أم زوجها. لكن هيهات ما أشتت. أخيراً رأت أن تلجأ إلى التموهية والخديعة للتقرب منه، فتزيت بزى عجلة وراحت تلاففه وتداعبه حتى استطاعت أن تنام معه. وقد كان ثمرة هذا الحب الشاذ أن أنجبت مينوور، وهو مولود عجيب برأس ثور وجسم إنسان.

ولما وصل مينوس إلى كريت وشاهد المينوور، ثمة خيانة زوجته بازيفاني حتى أصابه حزن شديد، وصار يفكر في وسيلة يبعث فيها هذا المخلوق الغريب عن أعين رعيته. وكان في كريت مهندس باارع في فن البناء يدعى ديدال، فاستقدمه مينوس وطلب منه أن يبني دهاليز متشابكة، متعرجة، يضيح فيها من يدخلها فلا يهتدي إلى الخروج منها. فبنى له ديدال دهاليز كريت الشهيرة، وسجن مينوس المينوور فيها حتى لا يستطيع الخروج منها.

في ذلك الحين وقع خلاف قوي بين مينوس وإيجه ملك أثينا. وسبب ذلك أن أندروجي، ابن مينوس الوحيد، قام بزيارة لأثينا، فأساء ملكها ضيافته وتسبب بمقتله، إذ أرسله بمهمة لصيد ثور بري خطير، فتفوق الثور على أندروجي وقتله. فجن جنون والده مينوس، وانتقم من أثينا بأن أرسل لها جيشاً احتلها، وأجبر أهلها أن يرسلوا إليه كل سنة سبعة شبان وسبع شابات ليدخلهم الدهاليز ويفتك بهم المينوور.

وكان لإيجه، ملك أثينا، شاب يدعى تازة، هو شاب محارب قوي أمضى شبابه في القضاء على قطاع الطرق. وأشهر هؤلاء بروكست الذي كان يقبض على المسافرين ويجبرهم على التزم على سريرهم الحديدي، فمن وجده أطول من السرير قطع له ما زاد منه، ومن كان أقصر من السرير شده حتى أصبح بطوله. وقد هاجمه تازة وقتله بالطريقة التي كان يقتل بها الناس.

وقد تألم تازة للذل الذي أنزله مينوس بمدينته، وتأثر للمصير المشؤوم الذي ينتظر شبان وشابات أثينا في دهاليز كريت. وقدم نفسه ليكون بين السبعة المختارين للذهاب إلى كريت. وقد أكبر فيه الاثينيون شجاعته وتضحيته، دون أن يعلموا أن في نيته القضاء على المينوور، لأنه لم يخبر سوى أبيه بهذا الأمر. ورحل الشاب على سفن سود الأشربة، ووعد أباه بأنه إذا عاد منتصراً على المينوور سيرفع أشرعة يضاء بدل الأشرعة السوداء.

وحين وصل تازة مع رفاقه إلى كريت، أخذهم الحراس إلى المدينة، وطافوا بهم في الشوارع أمام السكان. وكانت أريان، ابنة مينوس، بين جمهور المشاهدين، وأعجبت بالشاب تازة وشجاعته، وأحبته من النظرة الأولى، ودعت إليها ديدال، مهندس الدهاليز، وسألته عن طريقة للخروج منها. ثم ذهبت خفية إلى تازة وقالت له بأن في إمكانها أن تساعد على الخروج من الدهاليز إن هو وعدا بأن يصحبها معه إلى بلاده ويتزوجها. فاستجاب تازة لطلبها، وأقسم الوعد لها راضياً مسروراً. عندها أعطته كرة من الخيطان وعلمته بأن يربط طرفها بباب الدهاليز، ويحلها كلما تقدم في الداخل، هكذا يمكنه أن يعود أدراجه متتبعا الخيط، دون أن يفشل الطريق. ودخل تازة إلى الدهاليز، واثق النفس، لمصارعة المينوور، فوجده نائماً، فاستل سيفه وأسرع نحوه، وطمعته في عنقه طعنة خرجت من ذقنه وسمرت في الأرض، ثم راح يضربه حتى أجهز عليه. بعد ذلك أمسك بالخيط وعاد مع رفيقه من حيث أتى. وعند خروجه وجد أريان بانتظاره، فاختطفها وأسرع إلى سفينته وأبحر بها.

وحينما مر بجيرة ناكسوس، حملها وهي نائمة ووضعها على الشاطئ وأبحر إلى أثينا، تاركا إياها وحدها. ومن فرط فرحه نسي أن يبذل أشرعته. وبقيت الأشرعة السوداء وحدها مرفوعة فوق السفن. وكان والده - إيجه - يراقب البحر من قمة الأكروبال، ورأى الأشرعة السوداء تطل في الأفق، فأيقن أن ولده قد قتل، وألقى بنفسه في البحر ياساً وحزناً، ومات

غرقا. وسُمِّي منذ ذلك الحين ذاك البحر باسمه: «بحر إيجيه»، وأصبح تازة ملكا بعد والده.

أما أريان فلبثت نائمة على رمال شاطئ جزيرة ناكسوس. وعندما استيقظت من نومها ولم تجد أثرًا لتازة، خافت وارتعدت، وسالت دموعها على خديها، وراحت تلطم وتبكي حظها التيس، وتشكو للآلهة تازة الخائن. ولم يكن لديها طعام أو شراب. ووقفت عارية القدمين على الشاطئ وهواء البحر يتلاعب بشعرها الأشقر الطويل، لا تدري ما تفعل. وفيما هي على هذه الحال، سمعت صنجًا تدق وطبولًا تقرع، فدهشت وارتعبت، ونظرت إلى مصدر الضجة، فرأت عرائش البحر تحيط بفهد يركب على ظهره شاب تتدلى أغصان العنب فوق كتفيه. فعرفت للحال أنه موكب ديونيزوس، إله الكرمة. وحاولت الهرب، لكن قدميها لم يسعفاها لشدة خوفها، فاضطربت وارتجفت كريمة في مهب الريح، ووقفت مكانها لا تتحرك. وأقرب ديونيزوس من الفتاة الخائفة، وسألها من تكون، فأخبرته أنها أريان بنت مينوس، فقال لها: «لا تخافي يا ابنة مينوس، نحن أقارب، فجدتك أروبا هي أخت قديموس، وأنا ابن سيميليا بنت قديموس، وسأتحللك زوجة لي، وستقمن سعيدة معي في جبل الأولمب».

قال هذا وطوق خصرها بذراعيه وأصبعدها إلى جانبه، وانطلق بها، وعرائش البحر تنشد من حولهما أناشيد العرس والحب والجمال.

أما الملك مينوس فعندما علم بخروج الشبان الاثنين من الدهاليز سالمين، ويهرب أريان معهم، ألقى القبض على المهندس ديدال وزجه مع ابنه إيكار داخل الدهاليز، لاعتقاده أن الاثنين لم يفعلوا ما فعلوا إلا بمساعدته.

لكن المهندس البارع لم يأس وهو داخل الدهاليز، وقال لابنه: «إن طريق البر والبحر مسدودان أمامنا، أما طريق الفضاء والسماء فطليق». وصنع زوجين من الأجنحة، وثبهما بالشمع في كتفيه وكتفي ابنه. وقبل أن

يبدأ بالطيران، أوصى ديدال ابنه بألا يملو كثيرا في الفضاء ويقترب من الشمس حتى لا يذوب الشمع ويفصل الجناحان عن الكتفين.

ثم انطلقا طائرَين في الفضاء، وابتعد عن كريت، ووصلا فوق البحر. عندما دفع غرور الشباب إيكار للطيران عاليا، دون أن يصغي لتحذيرات والده وصيحاته الملهوفة، فذاب الشمع وانفصلت جناحاه، وسقط في البحر. أما الوالد الحزين فقد تابع الطيران، إلى أن حط في صقلية حيث استقبله ملكها كاكولوس استقبالا حاراً.

وعندما عرف مينوس بهرب ديدال، جن جنونه، وقد صمم على البحث عنه وإعادةه، مهما كان الثمن. وراح يفكر في حيلة تمكنه من مراده. فأعلن في طول البلاد وعرضها، وفي البلدان المجاورة، بأنه يقدم جائزة كبرى لمن يتوصل إلى إدخال خيط داخل صدفة لولبية متعرجة المسالك. وعندما علم ديدال بالامر، قال لملك صقلية إن بإمكانه أن يدخل الخيط بالصدفة. ولما طلب الملك منه أن يفعل ثقب طرف الصدفة، وربط خيطا رفيعا برجل نملة، وأدخلها في الصدفة، وسد عليها، فخرجت بعد حين من الثقب والخيط برجلها. وعندما وصل الخبر لمينوس، قال: «إن ديدال وحده هو القادر على تنفيذ عملية من هذا النوع، فهو إذاً مقيم في صقلية». وجهاز جيشا وأبحر إلى صقلية للقبض عليه، لكن ملك صقلية رفض تسليمه، ووقعت بسبب ذلك حرب بين الملكين، انتهت بمقتل مينوس. وعاش ديدال عزيزا مكروما محبوبا من شعب صقلية ومليكها.



تازة يقتل المينونور

ميريا البعث عن الفروة الذهبية

هذه ليست أسطورة من نسج الخيال، بل قصة لها أصل تاريخي أبطالها جماعة من شباب هيلاس، ذاع صيتهم في قديم الزمان لأنهم قاموا بأول رحلة بحرية في تاريخ الإغريق، عندما تجمعوا في مدينة يولكوس وأبحروا من ميناء أفيناي في تساليا، ومخروا عباب البحار بأقدم سفينة صنعها اليونان، وهي أرجو السريعة، فقاموا بالأهوال وتعرضوا للموت ثم بلغوا أرض كولخس على شاطئ البحر الأسود، واغتصبوا من ملكها أينتيس الفروة الذهبية وأحضروها إلى يولكوس استجابة لرغبة ملكها يلباس.

هذا ملخص القصة التي تغني بها المنشدون أمثال أورفيوس، وسمع بها هوميروس بعد مئات السنين وأشار إليها على أنها معروفة للعالمين، ومن بعده ذكرها شعراء كثيرون وتناولوها بالإيجاز أو التفصيل منهم: بنداروس الذي ترنم بها في نشيد يأكملة، ويورينديس الذي أخذ عنها موضوع مسرحية ميديا وهي من أروع مسرحياته، وأبولونيوس الرودسي الذي فصل أحداثها في ملحمة سماها «مغامرات السفينة أرجو».

وكان من الطبيعي أن يدخل كل أديب على موضوع القصة ما يرى من تعديلات وإضافات تناسب الفن الأدبي الذي كتب فيه، وتتفق مع الاتجاهات الدينية والاجتماعية والسياسية في القرن الذي عاش فيه، وكان من الطبيعي أيضاً أن تعدد الروايات وتشعب التفاصيل وتتضارب الوقائع. ولهذا السبب سوف لا نتعرض للتغيرات التي لحقت بها على مر العصور بل سنكتفي باستخلاص الحقائق الجوهرية التي اشتملت عليها منذ نشأتها.

كان أثماس ملكا على أورخومينوس بولاية بويوتيا، وقد أنجب من

زوجته نفيلي ابنة فركسوس وابنة هيلي. وبعد سنوات ضاق بزوجه ذرعاً وهجرها وتزوج امرأة غيرها تدعى أنو سرعان ما كرهت فركسوس وهيلي وبدأت تفكر في حيلة للتخلص منهما، فوافتها الفرصة عندما تعرضت البلاد لجفاف شديد ذهب بالأخضر واليابس فانتشرت المجاعة بين الناس، وأرسل الملك يستشير عرافة دلفي ويسألها النصيح. ولما عاد الرسل يحملون رد الوحي قابلتهم أنو وأمرتهم أن يحرقوه ويخبروا الملك بأن النبوءة تنصحه بتقديم ابنة قربانا لزيرس إن أراد أن ينقذ شعبه. فأذعن أثماس ووافق على تحقيق النبوءة وقرر أن يضحي بابنته. ولكن ما إن اقترب فركسوس من المذبح حتى رفعه إلى السماء كيش ذو فروة ذهبية مع أخته هيلي وحملهما مسرعاً متجهتا صوب آسيا. وبينما كان يعبر بهما المضيق الذي يفصل آسيا عن أوروبا سقطت هيلي فيه، ولذا سماه اليونان بحر هيلي (الدردنيل الآن).

أما فركسوس فقد وصل أرض كولخس، وهناك نحر الكيش وقدمه قربانا لزيرس حامي اللاجئين، وقدم فروته الذهبية هدية لأينتيس ملك البلاد فعلقها فوق شجرة من أشجار البلوط نبت في غابة مقدسة لأريس، إله الحرب، وعهد بحراستها إلى تتين يقط. ثم كافأ فركسوس بأن زوجه ابنته خاليكيوبي.

وكان أيسون ابن عم فركسوس يحكم أيضاً قوما من المينيين في ولاية يولكوس، ثم خرج عليه أخوه بلباس وخلعه من العرش واغتصب ملكه، وأصبح أيسون لا يفكر إلا في إنقاذ ولده الصغير ياسون، فقرر أن يعهد به إلى المربي العجوز خيرون الذي كان يقيم على سفح جبل يليوس في تساليا، فتولاه برعايته ونشأ نشأة صالحة، ولما أصبح ياسون شابا قوي العضلات، متين البنيان، صمم على العودة إلى بلده ليسترد ملك أبيه من عمه الذي لم يهدأ له بال بعد أن طرد أخاه، لأن ضميره ظل يؤنبه على جرمه وبيعت الاضطراب في نفسه ونذرته بمستقبل رهيب، فاضطر إلى أن يسأل

الوحي عن مصير حكمه وطول عهده، فرد عليه بنبوءة تحلوه من الرجل «ذي النعل الواحد»، ولم يكن هذا الشخص إلا ياسون الذي وجد عند عودته إلى يولكوس، عجزوا شمطاء تجلس إلى ضفة نهر أناوروس، فطلبت إليه أن يحملها وساعدها على اجتياز هذا النهر المتدفق، فاشفق عليها وحملها فوق ظهره وشق طريقه في الماء، وعندئذ فقد أحد نعليه وهو يقاوم التيار الجارف.

ولما عبر النهر سالما ذهب إلى يولكوس، وما إن دخلها حتى لفت إليه الانظار بقوامه الممشوق وطلعته البهية، فالتف حوله القوم وسألوه من يكون وما اسمه، فأطلعهم على كل شيء وسألهم أن يرشدوه إلى قصر يلياس. فلما بلغه طلب مقابلة عمه، وما إن رآه المقتصب حتى اضطرب وارتجف وتذكر النبوءة وأدرك الخطر الذي يهدده. ولكنه سرعان ما استجمع قواه، ورحب بالضيف وسأله عن اسمه، فلما عرف أنه ياسون ابن أخيه تظاهر بالفرح للقاءه، وتقدم نحوه وعانقه واستقبله استقبالا كريما وقال: «تعال يا بني اختر من تريد من بناتي الثلاث وخلدوا زوجة لك لترثي وتحكم من بعدي». فرد عليه ياسون في هدوء: «لقد جئت، يا عماء، لاسترد ملك أبي الذي وهبه زيوس إياه، وخير لنا أن نتحكم إلى العقل ولا نلجأ إلى القتال. فاحفظ بالثروة كلها، والقطعان والماشية التي تملكها. فانا لا أريد منها شيئا ولا أطلب إلا بعرش أبي». فابتسم عمه وقال: «لك ما طلبت يا بني إذا أنجزت هذه المهمة. إن روح ابن عمك فركسوس الذي مات مغتربا، تأمرنا بإرجاع الفروة الذهبية إلى أرض الوطن لتعود معه روحه وتقيم بيتنا، وأنت ترى أن شيخوختي تحول بيني وبين القيام بهذه المهمة، فهل لك، يا ابن أخي، أن تُثني عمك من هذا اللعب الثقيل؟ وأقسم بزيوس أنني سأتخلّى عن الملك واتنازل لك عن كل شيء عند عودتك». لقد أقسم يلياس هذا القسم لأنه كان على يقين من أن ياسون لن يستطيع الحصول على الفروة ولن يعود بها أبداً.

٢١

لكن الشاب الجريء وافق على القيام بهذه المهمة، وسأل عمه أن يعاونه في الاستعداد لها. وطلب إليه أن يبعث برسل من لدنه يطوفون بشباب المينيين ويحثوهم على الاشتراك معه في هذه المغامرات. واستطاعت هيرا أن تملأ قلوبهم حماسا وتدفعهم دفعا إلى الرحيل مع ياسون. وكان في طليعة الأبطال الذين أسهموا في هذه الرحلة: هيراكليس وحبيبه هيلاس وأرئيس أبو أويسيوس، وكاستور، وبولوكس، ويوليوس أبو أخيليوس، وثيسوس، وأرجوس، وأورفيوس إمام المنشدين، جاؤوا جميعا إلى يولكوس وشرعوا في تقطيع أشجار الصنوبر من جبل يليون وعلمهم أرجوس صناعة السفن، فصنعوا سفينتهم وثبتوا في مقدمتها غصنا من البلوط، شجرة زيوس المقدسة. ثم قدموا قربانا لكبير الآلهة وزوجته، ثم دشنوا «أرجو» وأنزلوها إلى البحر، وأقلعوا من ميناء أفيثاي في تساليا وضربوا في عرض بحر إيجه متجهين نحو المشرق. وهكذا بدأت رحلة الأرجو التي أسهم فيها أورفيوس وتغنى بها.

لقد كانت مغامرة شاقة واجهتهم فيها صعاب وصادفتهم أهوال واعترض سبيلهم عمالة أشرار وأبطال متوحشون ونساء مقاتلات ضاربات، ولكنهم قابلوا فيها أيضاً حسناوات محبات وحوريات فاتتات وعرافين صادقين وملوك أسخياء. وهذا وصف بعض الأحداث التي جعلت رحلتهم مضرب الأمثال وحقت لهم شهرة لم تحرزها أساطيل انجلترا وفرنسا وتركيا وروميا التي جابت هذه المياه.

وكانت جزيرة لمنوس أول مرفأ نزل به البحارة ليسترخوا من وعناء الطريق. فراعهم أن الجزيرة لا يسكنها إلا نساء دفعتهن الغيرة إلى قتل الرجال جميعا ما عدا ملكهن الذي أنقذته ابنته هيسيلي بأن وضعت في صندوق مجوف وجعلته يطفو فوق سطح الماء حتى حمله إلى بر النجاة، ولكن من الغريب أن هؤلاء النساء المتوحشات أكرمن وفادة الأبطال وزودتهم بالمؤن وودعتهن بنش الحفاوة التي استقبلوا بها.

وغادر ياسون ورفاقه الجزيرة واتجهوا إلى مضيق الدردنيل، ثم دخلوا بحر بريوتنس، ثم جنحوا إلى شاطئه ونزلوا يترقبون في المروج التي نمت بجانيه، وبعدئذ أخذوا يعدون وجبة العشاء ويهيئون لأنفسهم فراشا وثيرا من الاغصان الخضراء والأعشاب الندية، وانصرف هيلاس، صديق هيراكليس، يملأ جرته النحاسية ماء عذبا، فوجد ينوعا صافيا يثيق بين الكلأ الأخضر واللباب المزهر، وفي وسطه ثلاث حوريات زرق العيون، يرقصن ويمرحن معا. فاقرب الغلام من النبع وانحنى ليملا إناءه، فأسرعن إليه وتعلقن بذراعه وجذبته إلى قاع الينوع فسقط بينهن وراح يصرخ ويكي، فأخذن يلاطفنه ويسرن عنه بأعذب الالفاظ ويعبرن له عن إعجابهن بجماله وحبهن له ورغبتهن في الاحتفاظ به. وهكذا اختفى هيلاس إلى الأبد. لكن صديقه هيراكليس لم يطق على غيابه صبرا فثارت ثائرته وحمل هراوته وانطلق يضرب في أرجاء المنطقة يبحث عن حبيبه ويصبح ناديا: «هيلاس! هيلاس!» والغلام يجيبه من جوف الماء بصوت خافت لا يبلغ مسامعه. وأصر هيراكليس على البقاء في ميسيا وأقسم ألا يغادر الإقليم قبل أن يعثر على صديقه. وظل يقطع الأرض نهبا، يزار في الادغال ويجوس خلال الأعراس ونسي «أرجو» ومن فيها، وبقي حيث كان لا يفكر في زملائه الذين انتظروا طويلا، فلما يشوا من عودته، اضطروا إلى الرحيل وقد استولى عليهم حزن عميق لفراق سيد الأبطال وحبيبه هيلاس.

ووصل الأبطال أرض بثنيا التي كان يحكمها الملك أميكوس. وكان رجلا صلفا غليظ القلب، لا يستريح إلى الأجانب ولا يرحب بالغرباء الذين يفدون إلى مملكته، بل كان يضايقهم ويتحداهم في الملائكة والمصارعة، يفوز عليهم دائما لانه كان كالعلاق الضخم، قوي البنیان، مفتول العضلات، عريض الصدر، متفخ الأوداج. فلما رأى بحارة أرجو، أغلظ لهم القول وأمطرهم وأبلا من الشائم، فلم يعاملوه بالمثل بل

ردوا عليه في أدب جم وأكدوا له أنهم لا يضمرون له شرا أو يريدون به سوءا. لكنه تمادى في غطرسته وطلب الهم أن يختاروا أبرعهم في الملاكمة. عندئذ انبرى له پولوكس (بوليديوكيس)، الملاك الميوني الخاطر والمصارع الذي لا يقهر، وقبّل التحدي، واحتشد أتباع الملك وتجهز أبطال أرجو واصطفوا جميعا ليشاهدوا المباراة.

ثم لف الغريمان حول أيديهما وأذرعتهما شرائط من جلد البقر، وهتف أبناء بثنيا عاليا: «النصر الميمن لملكنا والهزيمة الماحقة لعدونا». وبدأت المعركة، وسرعان ما أظهر بطل الإغريق براعة فائقة في تسديد ضرباته ومهارة بالغة في تفادي لكمات خصمه العنيد الذي أذهلته المفاجأة وأثارت حفيظته، فامتلا غيظا وتطايير الشر من عينيه واندفع كالوحش الضاري ليقتك بفريسته، لكن سرعة بوليديوكيس وخفته ومهارته في الهجوم على عدوه جعلت أميكوس مثارا للسخرية لأن هجماته ذهبت هباء وضرباته ضاعت سدى. وأحس خصمه بالتفوق عليه فغافله وسدد إليه ضربة قاضية هشت أنفه، فزاع بصره وأصابه دوار شديد، وانهز غريمه الفرصة فأمطره وأبلا من الضربات التي أدمت منه ومزقت أنفه، فترنح وسقط على الأرض مغشيا عليه، فصاح به أتباعه، ليقرم ويصعد في الجولة، ولكن ميهات! لقد خارت قواه وسالت دماؤه وتصبب عرقه واصفر وجهه وأصبح كالمتوتى بلا حراك.

وهكذا دفع ثمن غروره وتجبره وتعلم كيف يكرم الضيوف الغرباء. وفي رواية أخرى يقال إنه مات فعلا، وإن شعبه أراد أن يثار له من عدوه، ففروا إلى أسلحتهم وهاجموا بحارة السفينة «أرجو»، لكن هؤلاء ردهم على أعقابهم واستولوا على قصر الملك ونهبوه قبل مغادرة البلاد.

وبعدئذ اتجهت السفينة إلى مدينة سالموديسوس على ساحل طراقيا ونزل البحارة هناك ليسألوا العراف فيوس عن مصير رحلتهم ويعرفوا منه شيئا عن الصعوبات التي ستواجههم، لأن فيوس كان يعلم الغيب ويتنبأ

بالمستقبل ويطلع الناس على ما يديره زيوس لهم. لذلك استاء منه رب الأرباب وصب عليه جام غضبه وعاقبه عقابا أليما، فكان كلما حان موعد غذائه أرسل عليه طيوراً جارحة تعرف بالهاريابي «أي الخاطفات» فكانت تحوم حول الطعام وتلوثه وتجعله كريه الرائحة فيشتمز منه الشيخ ولا يقربه، فضعف وذوى عوده ووهن منه العظم وأصبح نحيلاً كالطيف الزائل.

ورآه أبطال السفينة فرثوا لحاله وأشفقوا عليه ووعدوا بمساعدته، فأعدوا له طعاما شهيّا وعهدوا بحراسته إلى اثنين منهم هما كاليس وزئني ابنا يورياس ريح الشمال العاتية، فوقفا بجانبه وأمسكا بسيقهما ليدرا هذه الطيور عنه ويحمياه منها. فما إن وضع فتبوس أول لقمة في فمه حتى هبطت الطيور من السماء وداهمته وألهمت كل شيء في لمع البصر، وتركت وراءها رائحة كريهة، لكن الحارسين لحقا بها في سرعة خاطفة وانقضا عليها بسيفيهما وكادا يجهزان عليها لولا أن تدخلت الإلهة قوس قزح أريس رسولة الآلهة، وأقسمت لهما أن هذه الطيور لن تزعج الشيخ أبداً، وأنه سيقضي بقية أيامه آمناً مطمئناً. فاغتبط البطلان وعادا أدراجهما وابتهج العراف وشكر للبحارة صنيعهم وحذرهم من الأخطار التي تحف برحلتهم وعلمهم كيف يتجنبون الارتطام بصخور سيمبلجاديوس حتى لا يكتب عليهم الهلاك كما كتب على الذين اصطدموا بها من قبل، ونصحهم قائلاً: «عندما تقتربون من هذه الصخور اطلقوا يمامة وراقبوها: فإن مرت من بينها سالمة، اقتنوا أثرها واجتازوا الصخور وستكتب لكم النجاة وتصلون أرض كولخس بسلام، أما إذا هلكت اليمامة فعودوا أدراجكم ولا تفكروا في الحصول على الفروة الذهبية لأنكم لن تصلوا إليها أبداً».

وأقلعت السفينة وعمل البحارة بنصيبه عندما اقتربوا من تلك الصخور، شقوا طريقهم بينها سالمين ثم اجتازوا بحر يوكسينوس أي الذي يرحب بالغرياء وحالياً البحر الأسود، ومروا بأرض الأمازون وتجنبوا الاشتباك معهن، وبعدئذ ألقوا نظرة على جبال القوقاز حيث شاهدوا

بروميثيوس مكبلاً في أغلاله، مشدوداً إلى صخرة عاتية بينما ينقض عليه نسر وينهش كبده. لكنهم لم يتوقفوا عن السير وتابعوا رحلتهم حتى وصلوا أرض كولخس، وعندئذ هتف بهم ربان السفينة قائلاً: «هلموا لقد بلغنا غايتنا. فهذه قصور إيثيس. وهذه أراضيه! ولكن، يا ترى، أين توجد الفروة الذهبية؟ وكم من مشقة سنواجهها قبل الاستيلاء عليها؟». فرد عليه ياسون في جراءة وقال: «لا تخافوا شيئاً. فسوف أذهب إلى الملك وحدي. وسوف أتحدث إليه في أدب جم، فهذا خير من القتال».

وكان أرباب أولمبوس يفكرون في الأبطال دائماً. فعندما أحست هيرا بالخطر الذي يحف بهم ذهبت إلى أفروديتي، رغم ما بينهما من نفور، وطلبت إليها أن تساعدنهم. فوعدها أن تبذل أقصى جهدها، واتفقت معها على أن ترسل ابنها إيروس إلى ميديا، ابنة الملك، ليصيبها بسهم من مهامه التي لا تخطئ ويشعل قلبها ناراً بحب ياسون فتستخدم فنون السحر التي تتقنها لمساعدته في تحقيق مهمته. وذهبت أفروديتي إلى إيروس وتوسلت إليه أن يفعل ذلك، فاستجاب إلى طلبها وحمل قوسه وجعبته وانطلق من قمة أولمبوس سابحاً في الفضاء، ووصل كولخس في نفس الوقت مع الأبطال الذين اتجهوا إلى قصر الملك. فاستقبلهم الحرس استقبالا كريماً، ثم أخبروا سيدهم بوجود البحارة، فأسرع إليهم ورحب بهم وأصدر أوامره بإشعال النار وإعداد ماء ساخن يغسلون به وطعام فاخر يأكلونه. وعندئذ تسللت الأميرة ميديا إلى الزائرين فوقع بصرها على ياسون، وفي نفس اللحظة رماها إيروس بسهم أصاب أعماق قلبها، فاشتعل فؤادها ناراً وذابت روحها أسى وتصبب جبينها عرقاً واضطربت اضطراباً شديداً، فلم تجد بُدّاً من الانسحاب إلى غرفتها حتى لا يفتضح أمرها.

وبعد أن أكل الأبطال وشربوا سألهم الملك مَنْ هم ومن أي بلد أتوا ولماذا؟ وأجابه ياسون قائلاً: «إننا جميعاً من نبلأ اليونان الذين يتحدرون من سلالة الآلهة، جئنا نطلب الفروة الذهبية، ونعرض عليك خدمتنا مقابل

ذلك، فنحن على أتم استعداد لقتال أعدائك ونحمي ديارك». فضاقت الملك بكلامه لأنه كان لا يحب التدخل في شؤونه ولا يرحب بإقامة الأجانب في بلده، ومع ذلك فقد كتم غيظه وهمس في نفسه: «كم بودي أن أقتلهم، لكنهم، را أسفاه، أكلوا في بيتي». ثم خطرت له هذه الفكرة فقال: «إنني لا أكره الأبطال وخاصة المغامرين منهم، سوف أعطيكم الفروة الذهبية إذا أثبتتم شجاعتكم وقمت بما سبق لي أن قمت به، لقد استطعت أن أشد إلى المحرث ثورين، أقدامهما من البرونز وأنفاسهما من لبيب النار، وسيطرت عليهما وحرت حقلنا من أرضي وبذرت فيه أسنان تين كانت تثبت في الحال رجالا مسلحين استأصلتهم في الحال حتى لا يستفحل أمرهم. هذا عملي الذي قمت به، وما زال الثوران عندي. فمن منكم يريد القيام به؟ فلن أعطي الفروة لشخص أقل مني شجاعة». وكان الامتحان رهيبا وأداؤه مستحيلا، لأنه فوق طاقة البشر. لذا لزم ياسون الصمت برهة ثم قال: «قبلت المهمة رغم بشاعتها. وسأقوم بها حتى لو كان الموت نصيبى» ثم نهض ورجع مع زملائه إلى السفينة ليقيموا بها ليلتهم.

لكن ميديا تابعت بأفكارها وتخيلته أمامها، وظلت تتأمل جماله ورشاقته وتسترجع ألفاظه، إنها لم تر له في الوجود مثيلا. لقد أحبت من كل قلبها، فكيف تتركه يموت. إن الحياة بدونها ليس لها معنى. وهكذا لم تتم الليل وظلت فريسة للأوهام والآلام حتى أشرق الصبح.

وقضى الأبطال ليلتهم يناقشون اقتراح الملك، وأبدى كل منهم استعداده للقيام بالمهمة بدلا من ياسون، لكن عيثا حاولوا إقناعه، فقد أصر على أدائها بمفرده. وبينما كانوا يتجادلون أطراف الحديث، جاءهم أمير من أحفاد الملك وأطلبهم على براعة ميديا في السحر، وأكد لهم أنها تقدر على كل شيء، تحجب النجوم وتخسف القمر، وإن شاءت مكنت ياسون من الثورين وأخضعتهما له ونجته من أسنان التين وكتبت له نصرا ميينا.

وعندئذ طلب الأبطال إلى الرسول أن يعود إلى ميديا ويستدر عطفها لأنهم كانوا لا يعرفون جنون الحب الذي مسها. ورجع الأمير إليها، فوجدوها تبكى في فراشها، تؤنب نفسها وتتمنى الموت. يا لها من مسكينة بائسة استسلمت لعاطفة جارية أنستها كل شيء! لقد رأى الأمير في يدها صندوقا صغيرا مملوءا بالأعشاب السامة القاتلة، أمسكته وأخذت تتأمل وتفكر في الحياة ومباهجها وتنتظر إلى أشعة الشمس وتحس بدفئها، ثم ألقت الصندوق فجأة وقررت أن تساعد حبيبها بأن تعطيه مرهما سحريا إذا مسح به جسمه وقاه من كل خطر طيلة النهار. فلا يؤذي شيء ولا يصيبه مكروه، وطلبت إلى ابن عمها الأمير أن يذهب إلى ياسون ويخبره بحبيبها ويقسم له «أن ميديا ستساعده وتخلص له ولن تتخلى عنه أبدا وأنها تريد مقابلة في الحال».

عاد الأمير إلى ياسون وإنبأه الخبر، فطار فرحا وهرع للقائها. عندئذ أكسبته هيرا بهاء فوق بهائه، وزادته تألقا. فلما رآته ميديا، خارت قواها، ونبض قلبها وغشي بصرها ووقفت جامدة في مكانها، ووقف ياسون أمامها وقال: «كيف أصف نبلك؟ وكيف أصور حيي لك؟ إنك أمني وحياتي». فاقتربت منه وهي صامته لأنها لم تستطع أن تعبر عما يجول بخاطرهما، ثم أخرجت من صدرها العلبة وأعطته إيَّاه في هدوء وكأنها تريد أن تقول: «خذ هذه ولك روحي إن طلبتها». وساد الصمت برهة، ثم شرحت له كيف يُستخدم السحر، وكيف يمسح به بدنه وأسلحته حتى لا يقهر، وأخبرته أن يُلقي حجرا وسط الرجال المسلحين الذين يبتنون من أسنان التين ليعث فيهم القوضى والاضطراب فيقاتلون بعضهم بعضا ويهلكون جميعا، ثم قالت له: «والآن يجب أن أعود إلى القصر، لعلك تذكرني عندما ترجع إلى بلدك آمنا لأنني سأذكرك دائما». رد عليها ياسون: «لن أنساك وسوف أفكر فيك ليلا ونهارا، وإن جئت إلى اليونان معي، سأجلك، وسوف ننعم بالحياة معا، فلن أتركك أبدا ولن يفرق بيننا إلا الردى». وعادت ميديا إلى

القصر تندب حظها وتبكي جرمها وتندم على خيانتها، وعاد ياسون إلى السفينة. هناك مسح جسمه بالمرهم فأحس بقوة خارقة تدب فيه، ثم ذهب مع زملائه إلى الحقل حيث انتظرهم الملك مع جمع غفير من شعبه.

وما إن وصل الأبطال إلى هذا المكان حتى اندفع الثوران من حظيرتهما ينفثان النار من أنفاسهما، فتقدم نحوهما ياسون وصمد لهما كأنه صخرة عاتية تقاوم أمواجاً جارفة. وأمسكهما واحداً بعد الآخر، ولوى رأسيهما إلى ركبته، ثم شدّهما إلى المحراث وسط هتاف الحاضرين الذين أذهلتهم شجاعته وأفزعتهم قوته. وقبض ياسون على المحراث ودفع الثورين، وبدأ يحرق الحقل ذهاباً وجية، ويذّر أسنان التين في الخطوط التي يحرقها. وما إن انتهى من حرّته حتى شاهد رجلاً مسلحاً يخرجون من بطن الأرض ويهجمون عليه، فرمى بينهم حجراً ضخماً ألقي الذعر في قلوبهم، فاضطربت جموعهم ودارت رchy الحرب بينهم فخرّوا صرعى شرورهم.

وهكذا انتصر البطل وحزن الملك الذي عاد إلى قصره ليدير للأبطال مؤامرة تمنعهم من أخذ الفروة الذهبية. لكن هيرا كانت لا تغفل عنهم، فذعنت ميديا إلى اتخاذ قرار حاسم، وصممت الأميرة على ترك الأهل والوطن والرحيل مع ياسون. ولما أرخى الليل سدوله، تسللت ميديا من القصر وذهبت إلى حبيبها في السفينة حيث وجدها يحتفل مع زملائه بالنصر، فارتمت عند أقدامهم وتوسلت إليهم أن يأخذوها معهم إلى اليونان، وأخبرتهم أن يذهبوا في الحال لأخذ الفروة الذهبية، وطلبت إليهم أن يغادروا البلاد فوراً حتى لا يتعرضوا للهلاك، وأكدت لهم أنها سوف تسحر الأفعى التي تحرس الفروة لتقيهم شرها. ولما انتهت من كلامها رفعها ياسون من على الأرض وعانقها وعدها بالزواج بعد عودتهم، وحملها معه في السفينة التي اتجهت نحو الدغل المقدس حيث علقت الفروة الذهبية، فلما وصلوا إليها تقدمت ميديا نحو الأفعى المخيفة وترنمت بأنغام شجية وأنشدت نشيداً عذبا وظلت تردده حتى تخدرت

الأفعى ونامت، وعندئذ توجه ياسون إلى الشجرة وأخذ الفروة العجيبة ثم أسرع الجميع إلى السفينة وجلسوا إلى مجاديفهم واتخذوا سبيلهم في الأبحار.

وعلم الملك بما حدث، فثارت ثأرته، وأرسل من فوره ابنه إيسيرتوس على رأس جيش كبير ليلحق بهم حتى لا يتمكنوا من الفرار. لكن ميديا أنقذتهم للمرة الثانية بأن ارتكبت جرماً شنيعاً آخر، إذ بعثت لأخيها رسولا تخبره أنها استولت على الفروة وتستطيع إحضارها إلى القصر إذا قابلها ليلاً في مكان حددته له. ولم يشك إيسيرتوس في كلام الرسول ولا في نوايا أخته، فلم يتردد في الذهاب إليها. وما إن بلغ المكان الموعود حتى أجهزت عليه بالاشتراك مع ياسون. ولما علم الجيش بالخبر، اضطربت صفوفه واستولى عليه الذعر، فتشتت الجند وكفوا عن مطاردة البحارة الذين فروا ونجوا بأنفسهم.

وهناك رواية أخرى تقول إن شقيق ميديا لحق بها وركب السفينة ليفر معها إلى اليونان فاضطر أبوها إلى مطاردتهما. ولما اقتربوا من الأرجو، قتلت ميديا أخاها وقطعته أرباً وألقته في البحر لينصرف أبوها إلى جمع أشلائه من الماء فلا يلحق بالسفينة ومن فيها. وهكذا نجا ملاحو «أرجو» من انتقامه الشديد وقلقوا راجعين إلى أرض الوطن.

ولكن أي طريق سلكوا؟ وبأي أرض نزلوا؟ فهذه أمور مازالت غامضة، اختلف فيها الرواة وحار فيها المحدثون، فتعددت آراؤهم. لذا رأينا ألا نقف عند التفاصيل وتكتفي بالإشارة إلى الحقائق التي تضمّنتها أصدق الروايات وأخذ بها معظم النقاد.

فسواء رجع البحارة عن طريق الأدرياتيكى وسحبوا سفيتهم عبر جبال الألب، أم اتجهوا جنوباً وضربوا في عرض البحر الأحمر ومروا ببلاد الحبيشة، أم ساروا غرباً حتى وصلوا إلى ليبيا وشدوا مركبهم فوق الرمال المحرقة، وأسوا برقة ثم أبحروا إلى مصر وشاهدوا عجائبها، فالأمر

الذي لا شك فيه أنهم مروا بالأماكن التالية وواجهوا الصعوبات التي سنذكرها.

فعندما اخترقت السفينة البحر التيراني واقتربت من شواطئ إيطاليا الجنوبية سمع الأبطال أنغاما عذبة تأتيهم من جزيرة قريبة، وأصغوا إليها. لكن ميديا حذرهم منها وقالت: «انتهوا جميعاً! إننا على مقربة من صخور تقطنها حوريات ذات أصوات مهلكة، إننا مضطرون إلى الابتعاد عن تلك المنطقة لأننا لا نستطيع تجنبها، ولكن علينا أن نضع أصابعنا في آذاننا حتى لا نسمع أصواتهن وإلا هلكنا جميعاً». فرد عليها أرفيوس، إمام المنشدين: «لا تخافي ولا تحزني، سوف أنباري مع تلك الحوريات لنرى أينما يستولي على ألباب السامعين، لقد أشجيت بأغامي الأشجار والحجر، فما بالك بقلوب البشر!» وأمسك بقيثارته وأخذ يعزف أعذب الألحان، ولكنه لم يستطع، في بادئ الأمر، أن يجذب إليه الملاحين الذين كانوا يصغون باهتمام إلى هذه الأصوات الحاملة لأنهم لم يسمعوها من قبل، فسرت في أبدانهم حمى شديدة جعلتهم يصيحون ويهتفون: «هيا بنا إلى الحوريات. فلنقترب منها! هلموا نتمتع بصوتهن الرخيم». عندئذ نادى ميديا أرفيوس وقالت: «أسرع وغننا لحنا شجياً نعيد به هؤلاء البحارة إلى صوابهم، أسرع لتتقدمهم من الهلاك». فاستجمع قواه وأنشدهم نشيد برسيوس، وتغنى لهم بشجاعته التي حققت له الخلود فأصبح نجماً يتألق فوق قمة الألبموس يقدمه الناس أجمعين. عندئذ عاد الأبطال إلى صوابهم وصاحوا: «هيا بنا إلى أرض الوطن! هيا لنصحب رجالاً خالدين مثل برسيوس. ما لنا وهذه الحوريات اللاتي يدفَعُننا إلى الهلاك». ثم اتخذوا أماكنهم وانصرفوا إلى التجديف ونسوا الحوريات وألحانهن. وعز على هؤلاء أن يفوقَهُ أرفيوس بأغنامه. فاستشطن غيظاً وامتلائاً حقداً وغيرة، فألقين بأنفسهن في عرض البحر وتحولن إلى صخور منذ ذلك الوقت.

أما ياسون ورفاقه فاتجهوا إلى جزيرة صقلية حيث داهمهم خطر أشد.

فعندما دخلوا مضيق مسينا فاجأتهم دوامة عنيفة اسمها خاريدس كادت تحطم سفيتهم كما حطمت غيرها من قبل، وكانت هذه الدوامة تقع قبالة وحش فظيع يسمى سكيلا كان يفترس ملاحى السفن التي تمر بالقرب من كهفه عند مدخل المضيق. لذا كان الخطر يحذر بالسفن من كل جانب، فإن أراد البحارة تجنب خاريدس وقعوا في براثن سكيلا، فكانوا، كما قال القدماء كالمستجير من الرمضاء بالنار، ولكن آلهة الأولمبيوس شاكوا أن يكتبوا النجاة لبحارة الأرجو. فبينما هم في حيرة من أمرهم يفكرون في مصيرهم المحتوم، إذا بعروس البحر ثيتس، وزوجة يليوس، أحد ملاحى السفينة، تطفو فوق سطح الماء، ومعها صديقاتها، وأخذن يسبحن ويتهادين أمام أرجو وخلفنها ثم يتعلقن بها حتى لا تقلنفا الأمواج وسط الدوامة العاتية. ولما أوشك سكيلا على تدميرها والنهال بحارتها ضربته على رؤوسه الستة. فخاف غضب ربات البحر وعاد إلى كهفه مسرعاً، فنجت السفينة من مخالبه وتابعت رحلتها حتى بلغت جزيرة اسخريا التي كان يحكمها ألكينوس ملك الفياكيس.

وكان ملكاً كريماً يرحب بالأجانب، ويقيم في قصر فخم ضربت به الأمثال وتغنى هوميروس بشرفه. ولما نزل بحارة الأرجو الجزيرة ذهبوا إلى هذا القصر الفاخر، فوجدوا ألكينوس وزوجته أريتي أي الفضيلة يجلسان في بهو الفسيح. فرحبا بهم وأكرما وفادتهم. فأعدت الموائد وقدمت لهم صنوف شهية من الطعام والنيذ العطر، ثم سألهم الملك من يكونون ومن تكون الفتاة التي معهم؟

فقالوا: نحن أبطال يولكوس، وهذه ميديا ابنة إيثيتس، صاحب الفروة الذهبية التي أحضرناها معنا. فصمت الملك برهة ثم قال: لو كان الأمر بيدي لقلت لكم أهلاً وسهلاً واقتنخت باقامتكم في قصري لكن جنوداً من خولكس وصلوا هنا منذ أسابيع وما زالوا يقيمون في قصري، ولقد علمت منهم أنهم اقتنوا أثركم ويحثوا عنكم في عرض البحار فلم يعثروا عليكم،

وخافوا أن يرجعوا إلى بلادهم بدون ميديا . ولما كنت لا أحب الحرب ولا أرضي أن تدور رحاها في جزيرتي، لذا سأفكر في الأمر وأدعوكم وإياهم غدا لنجد حلا مناسباً .

ولما أصبح الصبح دعاهم جميعاً فوقوا في صفوف متقابلة، ثم قال لهم الملك: «يا جنود إيتيس! ماذا تريدون من هؤلاء الأبطال؟». فرد قائدهم قائلاً: «إننا نريد أخذ ميديا معنا لتلقى جزاءها، لأننا إذا عدنا بدونها فالويل لنا والموت مصيرنا». ف نظر الملك إلى ياسون وسأله: «ما رأيك فيما قالوا يا ابن أيسون؟». فأجاب البطل: «إنهم يطلبون شيئاً مستحيلاً لأنهم لن يستطيعوا أخذ ميديا عنوة، ميديا التي تعرف فنون السحر، وتستطيع أن تلقي بسفنها في قاع البحر أو تدفعها إلى البر وتذف بها فوق الرمال ثم تهرب في عربتها السحرية . . إذن فإم إرجاعها على الرغم منها؟ ولم يعودون إلى كولخس النائية، ويتحملون مشقة الرحلة وأخطارها؟ فكم من أرض غنية ترحب بهم وتنتظر مقدمهم! فعليهم أن ينزلوا بأي غابة على الشاطئ ويجتثوا أشجارها ويستعمروها ويتخذوها وطناً لهم». واقتنع القائد بكلامه فقال: «فليكن الأمر كذلك! احتفظ أنت بميديا، لقد كانت شراً علينا، ووباء في قصر أبيها. وسوف تكون نذير شوم عليك. فخذها إذن مادمتم لا تتعظ». فباركهم ألكينوس جميعاً وقدم لهم الهدايا وزودهم بالمؤن وودعهم وداعاً حاراً، وأبحر أهل كولخس عبر الأدرياتيك وأسسوا المدن على شواطئه، واتجه بحارة الأرجو إلى جزيرة كريت في طريقهم إلى وطنهم العزيز.

ولما اقتربوا من تلك الجزيرة المشهورة، قالوا: «سوف نزل بها، ونزور ملكها العادل، يمنوس، لنقف على ثرائه العريض ونشاهد قصره الفخيم، ولا شك أنه سرحب بنا ويمدنا بالمال والمؤنة».

ولكن سرعان ما تحطمت آمالهم عندما شاهدوا بالقرب من الشاطئ عملاقاً ضخماً أطول من شجرة الصنوبر، وقف بجبل البصر هنا وهنا حتى لمح السفينة ومن فيها. عندئذ اندفع كالحصان الجامح وركض مسرعاً حتى

في
في

أصبح على مقربة من الساحل على بعد أمتار من المركب، ثم أخذ يلوح بذراعيه ويصيح بصوت جهوري ويقول: «أيها القراصنة أيها اللصوص! لا تنزلوا هنا، فإن فلعتن فالموت لكم». ورد عليه البحارة بقولهم: «إننا أشرف لا قراصنة، جئنا نطلب غذاء وماء». لكنه لم يستمع إليهم وأشاح بوجهه ولوح بذراعيه غاضباً متوعداً. عندئذ رأى الأبطال سكان الجزيرة يجرون ويدفعون القطعان أمامهم وشاهدوا نارا حامية تندلع بين التلال، ثم لاحظوا المارد يهبط الوادي مسرعاً حتى غاب عن أبصارهم.

وكانت ميديا ترتب كل شيء وقد علت شفتيها ابتسامة مأكرة، وظلت صامته هادئة حتى اختفى المعلق، ثم قالت: «لا تخافوا! لقد سمعت في بلدي عن هذا المارد المخيف، لقد صنعه هيفايستوس، إله النار، في أتونه بجبل إتنا وسماه تالوس وأهداه ليمينوس، ملك كريت، ليحرس شواطئها، فهو لا ينام أبداً، بل هو دائب الحركة، يدور حول الجزيرة ثلاث مرات كل يوم، فإذا لمح بعض الأجانب يقتربون من الشاطئ أو يفكرون في النزول إلى الجزيرة، اندفع إلى أتونه المشتعل بين التلال، وظل فيه حتى يترهق نارا ثم ينطلق نحوهم يرتعي عليهم ليحرقهم بيديه المتوهجتين». فسألها الأبطال: «وبماذا تنصحين، يا ميديا! إننا سنهلك من الظمأ، ولا بد لنا من الحصول على الماء». فقالت: «إنني ذاهبة لمواجهته لأنني أعلم أن شربانا واحد مملوءاً بماء النار يجري في جسمه، أحكم سداده بمسمار، وسأحاول اكتشاف موضعه، فإن وجدته نجحت في مهمتي وحصلتم على حاجتكم من الماء».

فأطاعها البحارة وأنزلوها إلى الشاطئ، وظلت واقفة حتى عاد المارد وقد أصبح جذوة متقدة يحرق العشب الذي يسير عليه، وينبث الدخان من بين قدميه. ولما اقترب من ميديا نظرت إليه في جرأة وأخذت ترتل هذا النشيد ترتيلاً: «ما أقصر الحياة وما أحلاها! كلنا زائلون، كلنا إلى فناء، النار نفسها ستخمد، والرجل النحاسي (تالوس) سيموت. ما أقصر الحياة

وما أحلاها! لكن أحلى منها الخلود، خلود الآلهة الذين يجري في عروقهم ماء الشباب فلا يعرفون الشيخوخة أبداً. فقاطعها تالوس قائلاً: «من أنت أيها الأجنبية؟ وما هو الشباب هذا؟». فأجابته وقد أمسكت بقتينة من البللور: «أنا ميديا الساحرة، وها هو ماء الشباب، اعطيتي إياه عمتي كركي وأمرتني أن آتي به اليك لأكاثك على ولائك الذي طبقت شهرته الآفاق. تعال إذن أصبه في شرايينك حتى يكتب لك الخلود، وتظل شاباً على الدوام». وصدقه المارد الساذج ونزل البحر كما طلبت وأطقاً ناره المشتعلة حتى لا يحرق أناملها الرقيقة، ثم أرشدها على المسمار الذي يسد شرايينه تنصب ماء الشباب، فأخرجت المسمار ولم تسكب شيئاً في الشريان، بل تركت ماء النار يتدفق منه كأنه سيل من الحمم، فأدرك العملاق أنها خدعته، ولكن بعد فوات الآوان، فلقد خارت قواه ثم فارقه الحياة. عندئذ ضحكت ميديا وصاحت: «تعالوا، أيها الأبطال خذوا ما يكفيكم من الماء». فنزلوا وزودوا سفينتهم بالمون، ثم غادروا كريت وساروا في البحر حتى وصلوا إلى رأس ماليا في جنوب البلوبونيز، وهناك قدموا القرايين لزيوم وهيرا، وسبحوا باسميهما، ثم اتجهوا شمالاً وسموا بميناء سونيوم واخترقوا مضيق يوبويا. وأخيراً عادوا إلى ميناء أفتاي في تساليا التي بدأوا منها رحلتهم. عندئذ وهب ياسون السفينة أرجو لاله البحر بوسيدون، وتفرق الأبطال، وذهب كل منهم إلى بلده، واتجه ياسون ومعه ميديا إلى قصر عمه يlias يحمل اليه القروة الذهبية التي طلب إحضارها.

ولكن ياسون اكتشف أن أحداثاً خطيرة قد وقعت أثناء غيابه. لقد أصر يlias على التخلص من أخيه أيسون قتلته. وماتت زوجته حزناً عليه. وهكذا فقد ياسون والديه، فصمم على الانتقام من هذا الشرير المستبد، ولجأ إلى ميديا يطلب إليها النصيح والمساعدة. فطمأنته ودبرت هذه الحيلة: أخبرت بنات يlias أنها قادرة على إرجاع الشباب للشيوخ، وبرهنت على ذلك بأن أخذت كبشاً وقطعته إرباً ووضعت في قدر ماء يغلي

في

ثم أخذت تردد بعض التعاويذ السحرية، وفي لمح البصر قفز من القدر حمل صغير، كله نشاط وحيوة، فأمنت بنات يlias بمقدرتها الفائقة واقتنعن بفكرتها. وأعطتهن ميديا شراباً مسموماً، وطلبت اليهن أن يقدمتهن لأبيهن ثم يقطعنه بأيديهن ويلقين أوصاله في القدر، ففعلن ذلك حتى يعدن الشباب إليه، وانتظرت ميديا لتتلق بتعاويذها وتعيدهن إلى الحياة، لكنها لم تفعل فأدركن أنها خدعتهن ودفعتهن إلى ارتكاب هذه الجريمة البشعة.

واضطر ياسون أن يهرب مع زوجته، ويغادر پولوكس ويذهب بها إلى كورينثة، وهناك وجد أصدقاء رحبوا بهما، فأقاما بينهما وعاشا عيشه راضية وأنجبا طفلين، وقضيا في هذا البلد الأمين عشر سنوات كلها سعادة وهناء. ثم خان ياسون زوجته، فأصرت على أن تنتقم منه أشد انتقام. ولم لا؟ لقد أحبت من كل قلبها، وأخلصت له إخلاصاً عظيماً. فمن أجله خانت أهلها وهجرت وطنها وذبحت أخاها، ومن أجله خدعت بنات يlias وقتلت أباهن، فلا عجب إن اعتقدت أن ياسون سيخلص لها مدى الحياة، ولن يتخلى عنها أبداً، وسيبقى إلى جانبها ينسبها ألم الاغتراب وعذاب الضمير. لكنه غدر بها، فهجرها وتزوج من جلوكي ابنة كريون ملك كورينثة. فجن جنونها، وضاعت الدنيا بها وفكرت في الانتقام لتتبي آلامها. ولكنها خلت إلى نفسها واسترجعت ماضيها، وتذكرت جرائمها، وارتجفت من بشاعتها، وتدمت على تهورها واستسلامها لتلك العاطفة التي أفقدتها رشدها ودفعت بها إلى الهوانية.

وبينما هي تستعيد هذه الذكريات المرة، والأحداث المؤلمة إذا بياسون يدخل عليها فتتظر إليه في صمت عميق، فيقترب منها ولكنها كانت بعيدة عنه، كانت تفكر في حبا الفاشل ويؤسها القاتل. وبعد لحظة رهيبية قال ياسون: «لقد بذلت أقصى ما أستطيع من جهد لأتقن الملك بأنك لا تتوين بابنته شراً ولا تهديدين بقتلها، وطلبت إليه أن يعفونك ويستبدل الإعدام بالنفي، وهأنذا جئت لأراك قبل رحيلك إذ ليس من شيمتي أن أتخلى عن

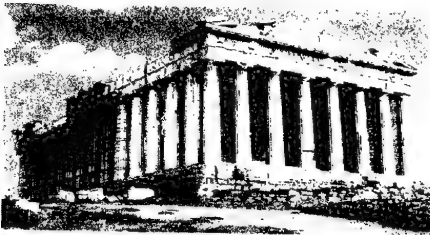
أصدقائي وقت الشدائد. فإن كان يعوزك المال أو كنت في حاجة إلى أي شيء آخر، فأنا مستعد لتلبية رغباتك».

هنا قطع الكليل وانفجرت ميديا قائلة: «يا لك من وغد وضيع! لقد أحسنت صنعا بمجيتك، نسوف أخفف همومي عندما أثبت لك وضاعتك! لقد أنقذتك، والعالم كله يعرف هذه الحقيقة، لقد أخضعت لك الثورين وخلصتك من الأشرار المسلحين الذين نبؤوا من أسنان الثنين، ونجيتك من الأفعى، ونصرتك نصراً مبيتاً، وهجرت الأهل والوطن، ورحلت إلى بلد ناء غريب، ثم انتقمك لك من أعدائك، ودبرت ليلياس أشنع مية. من أجلك فعلت كل ذلك، ومن أجلك عايدت الجميع، فإلى أين أذهب؟ إلى قصر أبي؟ إلى بنات يلباس اللاتي لم يكن بيني وبينهن خصومة؟ لقد حبستك زوجاً مخلصاً أميناً، يستحق التقدير والإعجاب، واليوم تحدثني عن النفي، يا للسما! لقد أصبحت وحيدة لا أهل ولا أصدقاء، ومع ذلك فلست في حاجة إلى ذهبك أو معونتك!». عندئذ خرج ياسون غاضباً وهو يقول: «يا لك من عنيدة متكبرة».

وجلست ميديا تفكر في الانتقام منه، فصممت على قتل زوجته الجديدة أولاً، فجاءت بثوب جميل ولبلته ببطر مميت وعقاقير مهلكة، ثم وضعت في صندوق، وكلفت ولديها أن يحمله ويقدمه لزوجته أبيهما، وأمرتهما أن يطلبن إليها أن تلبسه في الحال دليلاً على رضائهما عن الهدية. واستقبلتهما جلوكي بركة وحنان واستجابت لطلبهما. وما إن ارتدت الثوب حتى اشتعل جسمها نارا حامية وأصبحت رمادا في لمع البصر. ولما سمعت ميديا بالخبر فكرت في مصير ابنيها، وأدركت أنهما لن يجدا عطقا من إنسان، وأنهما سيتعرضان للامانة والضميم ويصبحان خادمين ذليلين. لذا صممت على «ألا تتركهما لمن يسيء معاملتهما، أو بمعنى آخر في إذلالهما، وقالت: «لقد أعطيتهما الحياة وسوف أذيبهما كأس الموت. ليأي والتردد، فلأقدم على ذبحهما ولن أفكر في حيي لهما، وسوف أنسى

أنني أمهما. سأنسى ذلك لحظة ثم أستسلم للأحزان على الدوام». وعندما دخل عليها ياسون ليقتلها انتقاماً لزوجته، وجد ولديه ذبيحين ورأى ميديا في أعلى القصر تركب عجلة يجرها وحشان وتشق طريقها في الفضاء..

وعاد ياسون إلى يولكوس وبقي نهياً لآلامه. وقضى أيامه في يؤس وشقاء. وذات مرة ذهب إلى شاطئ البحر ليروح عن نفسه، واتجه إلى المكان الذي سبق أن ترك فيه السفينة «أرجو»، وجلس ليستريح بجانبها، فإذا بعمود يسقط منها بهشم رأسه. وهكذا مات البطل تحت حطام سفينته.



سقوط طروادة

وسقطت طروادة بعد عشر سنوات من الحصار وقد مات آلاف الآلاف من الجانبين، ولكنها أخيراً سقطت ونزح المغير بخيله ورجاله، فتعالى يا عرائس الفنون فانفتدي أوديسيوس في ذلك البحر الهائج يذرعه، موجة تلبسه وموجة تخلعه، لا يعرف لمملكته ساحلاً فيرسو عليه، ولا شاطئاً فيقصد إليه.. يخطئ في البحر على غير هدى، ويرسل عينيه في الماء والسماء بلا فائدة.. زرقعة متصلة في العلو والهبوط، وتيه لا نهائي يخطئ في أحشاء أسطول السادة المنتصرين.

والأقدار وحدها تعلم لماذا ضل أوديسيوس بجنوده في ذلك العباب، وقد عاد كل أقرانه إلى هيلاس بعد طول البعد والفرار، ممزقين في دار الغربة كل ممزق، يتجشمون المصائب والأهوال ويتخطون بين موج كالجبال، ويخلصون من بحر إلى بحر، ومن فرع إلى فرع، فإذا رَسَوْا على أرض وظنوا أنهم نجوا، أفرعهم فيها غير الذي رجوا.

ولقد رقت قلوب الآلهة، وتمنوا لو أدركوا برحمتهم أوديسيوس... إلا نبئون الجبار، رب البحار، الذي يضممر للبطل في أعماقه كل حقد وكل كراهية والذي آلى أن يصبَّ على رأسه كل تلك الأرزاء والمتاعب.

وحدث أن كان نبئون في حرب مع الآثيوبيين، فانتزها الآلهة فرصة سانحة، وعقدوا مجلس الأولمب في ذروة جبل إيدا، وتفضل الإله الأكبر زيوس، فافتتح الجلسة بكلمة مخلصنة ترجع فيها لما يلقاه بنو الإنسان من صروف الحداث، واستطرد فذكر مأساة أجاممنون المسكين، وما لقيه على يدي زوجه وعشيقتها الأثيم لإيجستون - باريس - من غدر وغيلة، ثم أنحى باللائمة على هؤلاء البشر البائسين الذين يقولون إن كل ما يصيبهم من خير وضير هو من عند الآلهة، وما هو إلا من عند أنفسهم.. ولكن لا يفهمون!

ثم نهضت ميترفا ربة الحكمة، ذات العينين الزبرجديتين، فأيدت ما قاله أبوها سيد الآلهة.. وأثنت عليه. ثم ذكرت أوديسيوس.. «ذلك التمس الذي ضل وصحبه البحر، وقضى عليه - دون أقرانه جميعاً - أن يشقى هذا الشقاء الطويل، عند عروس الماء الفاتنة كاليسو في جزيرة أوجيجيا، ثمانية أعوام أو يزيد. ما ذنبه؟ ما جريته؟ لماذا ينفي هذا العبد الصالح في أقصى الأرض يا أبي، إنه خير عبادك أجمعين. اذكر كم ضحى في الاضحيات باسمك. وقدم القرايين من أجلك، وحارب أعداءك، وجاهد! لقد نمتي إليّ أن كاليسو تحاول جاهدة أن تستميل قلب البطل، وأن تنسيه وطنه إيثاكا.. يا للهول!

كيف يا أبناء! وهذه الزوجة التعة بنلوب؟ بنلوب الشقية الحزينة، بنلوب التي صبرت وصابرت طوال هذه السنين على ما أصابها الدهر به من بعد زوجها، بنلوب التي حافظت على طهرها وإخلاصها، أنظّل هكذا سحينة في قصرها المنيف الباذخ، ويظل هذا القصر محاصراً بعشاقها المجانين من أمراء الأقاليم؟ أبي! يا سيد الأولمب! ألا تترك برحمتك أوديسيوس، وترده إلى وطنه ليلود هذه الكلاب التي ولغت في حوضه، وكادت تخوض في عرضه، تداركه يا أبي، تداركه بعطفة واحدة منك. وإناك على انقاذ لقويّ مكين».

واستجاب لها سيد الأولمب، وقضى أن يعود أوديسيوس إلى إيثاكا، لكنه ذكرها برب البحار نبئون، وذكرها بما بينه وبين البطل من أشياء عديدة سببها هذه الفعلة الجنونية التي فعلها أوديسيوس بواحد من السيكلوس أبناء نبئون إذ اقتلع عينه الواحدة التي كان ينعم بسبيلها بزينة الحياة.. اطمئني يا بنية وقرى عينا. إنا نحن الأعلون، وسيرى نبئون أنه لن يغلب الآلهة مجتمعاً أبداً..

وشاعت الغبطة في أعطاف ميترفا، وتضرعت إلى مولاها أن يرسل ولده هرمز إلى جزيرة أوجيجيا، فيأمر عروس الماء كاليسو أن تعد مركباً عظيماً

نحو
١٣٦

لأوديسيوس ورفاقه، ليعودوا عليه إلى أوطانهم، ثم ذكرت أنها ستضي من فورها إلى إيثاكا حيث العشاق المذلهون يحاصرون قصر بنلوب، وحيث ابن أوديسيوس المنكود، تليماك، يشهد خراب مملكة أبيه ولا يستطيع أن يحرك ساكنا، لصغر سنه. «إني سألهب إحساسه، وأفتح عينيه على ما ينبغي. . . سأجعله يخرج من هذه العزلة المعيبة ليجث عن والده، فإنه لم يعد طفلا بعد».

وانطلقت ميرفا فربطت نعليلها السحريين، على قدميها الجميلتين، وحملت رمحها العظيم الذي تقطر المنايا من سنامه، ووضعت تاجها المرصع على رأسها الكبير، وأطلقت ساقيلها للريح، حيث كانت بعد لحظة على مقربة من قصر أوديسيوس، فهبطت من السماء إلى الأرض. وفي لمحة البصر انقلبت فاتخذت شكل الآدميين، وتخالفت في هيئة الأمير منتش وطيلسانه، ثم تقدمت فدخلت ردة القصر الواسعة، حيث اجتمع العشاق المجانين من أجل وليمة، وتلفت يمنة ويسرة، ورأت الفتى السادر الساهم الحزين تليماك، وقد تعقدت فوق جبينه هموم. . . وهموم، وتغضت ملء أساريه آلام. . . وآلام.

وما هو إلا أن لمحها تليماك حتى أخذه من هيبتها شيء عظيم. فهب للقاتها مسرعا، ثم مد إليها يده مصافحا وهو لا يعرف من هي، وقال: «مرحبا مرحبا بالغريب المكرم. . . هلم فشارك في ذلك الحفل، ولتحدث بعدها فيما أقدمك الينا. مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا». ودلف نحو الصلاة المزخرفة، وتبعته ميرفا، وفي يمتاها رمحها الجبار الذي يقدح من سنامه الشرر، حتى إذا بلغا العمود الأكبر الذي أسندت إليه مئات الرماح، والذي كان أوديسيوس يسند إليه رماحه وعدة حربه، تناول تليماك الرمح وأسندته بعد جهد، حيث برز بكل عظمته وكل جلاله بين رماح العشاق الفاسقين، وتقدم نحو أريكة وثيرة منعزلة، وسأل ميرفا فاستوت عليها، وكانا ثمة بأمأن من أن يستمع إليهما أحد. . . وأقبلت جارية حسناء رائحة تحمل طستا

نبي
٢٤

وإبريقا من الذهب، فصبت الماء على يدي الضيف ويدي تليماك، ثم مضت فأحضرت مائدة نسقت عليها الورد والرياحين، ونشط الخادم يحمل أطباق الطعام والفاكهة والحلوى، فباتي بها ملأى ويمضي بها فارغة، والخادم فيما بين ذلك يجذب قربة الخمر إليه ويسقي ثم يسقي. . . وشرع العشاق المجرمون بدورهم يلتهمون ما لذ وطاب من أكل وشراب. . . حتى إذا انتهوا أخذ فيميوس نايه وأطلق يغني.

وانتهز تليماك فرصة انصراف القوم إلى لهوهم وشرابهم فساءل الضيف قائلاً:

«يا أعز الأصدقاء! أرايت إلى أولئك الفساق، لو أن رب البيت هنا، أكانوا يلهون لهوهم هذا أو يفسقون فسوقهم هذا؟ كلا! لقد كانوا إذن أسرع إلى الهرب منهم إلى ذلك الطرب، ولكن. . . أواه. . . أين هو! أين أوديسيوس العظيم الذي انقطعت عنا أخباره ويشت من أوبته دياره. . . ولكن حدثني بريك من أنت؟ ومن أي الأقاليم قدمت؟ ومن رجال البحر الذين القوا مراسيمهم عند إيثاكا؟ أغريب أنت أيها السيد؟ أم كنت فيما خلا من الزمان من أصدقاء أبي وأحبائه؟

وقالت ميرفا ذات العينين الزبرجديتين:

«ليهذا بالك يا بني، فإني مجيبك على كل ما سألت. إنك ترى الآن منتش أمير (جزيرة الطافيان) البحارين. وسليل انخيالوس الكبير. ولقد أبحرنا من جزيرتنا يمينين شطر جزيرة النحاس من أجل ذلك المعدن الثمين. . . وسفائننا ملقية مراسيها بالقرب من غابات نيوس. ولقد كنا ولا نزال من أحب ضيفان أيبك وأقربهم إلى فؤاده، فلما سمعنا بما حل به من شدة، وبيته من حزن استرحينا ألهتنا فأخبرت أنه لا بد عائد إلى وطنه سالما غانما، وأنه لا بد منتقم من هؤلاء الفجار الأشرار. . . ولكن خبرني بآرياباك، هل أنت حقا ابن أوديسيوس العظيم؟ إن ملامحك تشبه ملامحه، وإنك لقريب الشبه منه جدا، وإن هذا البريق الذي يشع من عينيك هو نفسه

الذي كان يشع من عيني أوديسوس. يا للآلهة! كم تحدثت إلى أبيك قبل أن يشد رحاله إلى طروادة! فهل يقدر لي أن أتحدث مرة أخرى. إنني مني وقتها إلى اليوم لم أره. وهو كذلك لم يرني. ألا ما أشوقني إليه! ما أشوقني إليه!..»

وشاع بارق من الأمل في نفس تليماك، فقال: «ويحك أيها الصديق! إنني أنا ابن أوديسوس ما في ذلك ريب، والعالم كله شهيد على ذلك».

ثم اختلطت الزرقه بالخضرة في عيني ربة الحكمة وقالت: «على رسلك يا تليماك! إذن فما هذه الولايم وتلك الحفلات، وهذا الزحام من أين أقبل؟ أني لأقلب ناظري في القوم فلا أرى شرفا ذا حسب يستأهل أن يُحتفى به أو يُقام له وزن!».

ويشس تليماك ويحجب: «أيها العزيز.. لقد هاجرت الفضيلة من هنا في أثر المهاجر العظيم، وقد أكت ألا تعود إلا معه. وأبناه! لقد أطمع العاديات فينا بطول نأيه. فيا للبعد، إننا لا ندري اليوم أين مقره ولا أين مستودعه.. ولو قد خر تحت أسوار طروادة لاجتمع الاغريق من كل حذب هنا.. هنا.. في حاضرة إيثاكا ليلرفوا دموعهم من أجله، ولقيعوا له صحائف صدورهم بمداد أبدي من التيجيل.. ولكن! وأسفاه! لقد انتصر انتصار الأبطال ثم مضى على وجهه وراء البحار، وغدونا لا تحلم العين بنظرة مفردة منه، ولا الأذن بلفظة عذبة من لسانه المبين! تباركت يا آلهة الأولمب! ماذا عندك من الأقضية المخبوءة لي؟ الذئاب! أي يا آلهة هذه الذئاب يا وحوش البرية التي اجتمعت من كل فج.. من الجزائر المتناثرة في البحر، ومن المدائن المترامية في البر.. من ساموس ودلشيوم وزاكثوس ومن كل إقليم وكل مصر.. كلهم يرابطون حول هذا القصر ولا يستحيون.. الفساق! الزناة العرايب! يطلبون يد الزوجة الوفية.. الأم المكلومة.. بنلوب بنلوب، الباكية المحزونة المصدعة! كنز أوديسوس الذي لا يفنى! يطلبون يدها ولا يرحمون وفاءها ويكادها وولاءها.. فلا

تستطيع أن تردهم لعجزها، ولا تستطيع أن تجيبهم وهي لا تدري من أمر زوجها.. وهم طوال هذه السنين يعيشون في نعماء أبي، يأكلون ويشربون ويرقصون، حتى أقفر الزرع وجف الفرع، وما أحسبهم مبقيين على شيء».

وانثال الحنان من قم ميفرا، إذ هي تجيب الفتى المحزون: «ويح لك أيها الفتى! رحمة لك يا بني الصغير! أواه، لو أن أباك هنا اليوم لينود أولئك المناكيد! وحق السماء لو أنهم رأوه وهو يلعب رمحه أو يداعب سهامه لأجفلوا وولوا مدبرين! إن له لسهما مسمومة سقاها أبي بعد أن رقص أن يمسها إليوس بن مرميس وهو لو صوبها إلى أولئك الانذال لأبادهم.. يا رحمة له! إن أحدا غير - الآلهة - لا يعلم إن كان لا يزال حيا يرزق، أو هو قد ابتلعه اليم، أو عاجله المنون. تليماك يا ابن أعز الناس علي! أصغ إلي، وع الذي أقول: إنك لست طفلا بعد! فلم لا تشمر عن ساعد الجد وتبحث بنفسك عن أبيك! لِمَ ترضى أن يُلطخ شرف بيتك هؤلاء الفجار؟ لم لا تعلمهم بنفسك في أمر أمك، ولا تصرفهم عن هذه الدار إلى بيت جدك ليطلبوا منه يد ابته إن شاؤوا؟ أليس أبوها أليق لهذا الشأن من كل رجل سواه ما دام أوديسوس لم يرجع؟ إنهم يرضون هنا كسباب الغلاة يتهبون ثروتك ويأكلون مالك ويذهبون بالأخضر واليابس مما ترك أبوك. استمع لما أقول يا تليماك! نئ القوم فليجمعوا لك، ولتسمعهم كلمتك، ولتصارع أمك، إن هي أرادت منهم بعلا فلتنصرف إلى بيت أبيها فهو أولى بهذا الأمر من كل أحد، ثم انهض أنت يا ابن أوديسوس، قابحث عن أوديسوس. أعد ما استطعت من سفن وزاد، وعتاد، ولتبحر على بركة الآلهة. فتذهب أولاً إلى ييلوس حيث الحكيم الباسل نسطور، ثم إلى اسبرطة حيث صاحب هذه الداهية ميلالوس زوج هيلين. اقلع بفلكك إلى هذين فسانلهما أين مضى أبوك فقد تقع منهما له على خبر.. ولتكن لك أسوة في الفتى الجريء المقدم أورست أجاممنون الذي قتل قاتلي أبيه

وفيهام أمه . . . بوركت يا أورست! بوركت يا أورست! هلم يا تليماك فقد تعود بأبيك حيا فيرد الشرف والمجد إلى هذا البيت . وقد تعود به ميتا فترفع ذكره، وتقيم قبره، وتخلد في العالين أثره . والآن فلأنهض أنا إلى رجالي وسفني، فلقد بددت طويلا عنهم . . وكلي يقين يا بني أن تقلد نصيحتي وعلى الآلهة فلتوكل» .

وحين انتهت ميترفا من هذا الحديث، حذجها تليماك وقال: «أيها الصديق حبا، ويا أير الأوفياء سمعا، لقد أيقظت في ضميرنا أنت أحييت، فألف شكران لك . . أبدا لن أنسى كلمتك: أنا ابن أوديسيوس فلا بحث عن أوديسيوس» .

وحاول الفتى ان يقدم لمحدثه هدية سنية تكون تذكارا لهذا اللقاء، ولكن ميترفا شكرته وأبت أن تأخذ شيئا، واستطردت تقول: «فإذا نجحت في مسعاك يا بني فسوف أعود، وسوف أقبل أية هدية منك» .

ثم انطلقت ربة الحكمة ذات العينين الزبرجديتين، ولشد ما ذهل الفتى ووقف مذهولا مشدوها حين رأى هذا الأمير (متش) يتفص انتفاضة هائلة فيكون نورا ضخما يضرب الهواء بجناحيه، ثم يعلو ويعلو . . فيكون في السماء ويغيب عن ناظريه؟

ولم يحس الفتى يوما بما أحس به الساعة من هذه الذكريات الملحة على فؤاده تهيج فيه الشوق إلى لقاء أبيه، وجدد الثقة عنده وأكدها فيه يقينه أن إليها يساعده، هو هذا الضيف الذي أرسل جناحيه وغاب في السماء .

وانطلق تليماك حيث جلس الفساق يستمعون إلى أغاني فيميوس، حيث وجد أمه في الشرفة العليا تستمع هي الأخرى إلى تلك الأغاريد بين قياتها من وراء ستار صفيق وتبكي . . وتسأل فيميوس أن يتغنى غير هذا الغناء، غناء لا يثير شجوها وحزنها . وتور النخوة في قلب الفتى فيصبح بأمه: «علام العويل يا أماه؟ وما وقوفك هذا الموقوف ترفضين الغناء؟ وما اعتراضك على المغنى؟ دعيه فليغن ما يشاء، فلقد غدونا سخرية القضاء

ولعبة المقادير . ولقد ذهب أوديسيوس وذعبت معه كرامة هذا البيت، وإني لصاحبا بعده . . فادخلي، ولیدخل معك وصيفاتك، ولتقمن جميعا بشؤون المنزل، وانصرفي إلى مغزلك ومنسجك، ودعي كل ما عدا ذلك للرجل . . لي . . لي أنا وحدي، سيد هذا القصر» .

وأثرت مقالة الابن في نفس أمه، فانتثت مع وصيفاتها إلى مخدعها بالطابق العلوي، حتى إذا خلعت إلى نفسها ذرفت من الدمع على أوديسيوس ما شاء لها حزنها أن تذرف . أما تليماك فقد انطلق وسط القوم ونادى بأعلى صوته: «أيها الفساق، يا عشاق أمي الطاهرة! خذوا في لهوكم، وتمتعوا قليلا أو كثيرا، فإذا كان الغد فاجتمعوا في الساحة الكبرى، فإن لي كلاما معكم . . سأطلب اليكم أن تشدوا رحاكم من هنا! أستمعون؟ لقد طالما أنفتحت لنا زادا وعنادا . . ألا فلتلتمسوا الزاد والعناد من عند أنفسكم، ولتقيموا أفراحكم ولاتنكم في غير هذا المكان، فإن أيتم فإنتي مستعين بالآلهة عليكم، ولتقتص منكم السماء بما جرحتم» .

وما كاد يفرغ من خطبته حتى عضوا على أصابعهم لمفاجلتهم بهذا الكلام الخشن الذي لم يعتادوه. ونهض أنثينوس من مجلسه وقال: «تليماك! لقد حق لك أن تخاطبنا بهذه الشجاعة، ولكن يا لشؤم اليوم الذي تتوكل السماء ملكا فيه على إيثاكا . . عرش آبائك . . وأجدادك!» .

ويجب تليماك: «ليس أحب إلي من الملك حين تخلعه علي السماء . . . غير أن أمره اليكم اليوم إن كان قد قضى أوديسيوس . أما أنا . . فلا أريد إلا أن أكون سيد هذا القصر . . ولا غرو فإن هذا من حقي» .

وأجابه يوريماخوس: «إن من حقل أن تقول ما تشاء يا أخانا تليماخوس . . اما ملك إيثاكا فالسما وحدها تؤتيه من تشاء . ولكن قل لنا بربك: من هذا الضيف الذي كان معك الساعة، هل من قبلك أهلك أقبلا، أو أن له عليكم ديناً؟ إن أحداً منا لم يلقه ولم يره، ولكننا لمحنه من بُعد، عليه سيماء النجاة والجلال . من أين أقبلا يا تليماك وفيه قدم؟» .

مغامرات أوديسوس

بعد مقاومة عنيفة دامت عشرة أعوام، سقطت طروادة في يد اليونان، واحتل هؤلاء بانتصارهم، ثم أسرعوا في العودة إلى أوطانهم. ولكن شاء الآلهة أن يعاقبهم على ما ارتكبوه من إثم ليلة احتفالهم عندما انتهكوا حرمة المعابد فأغضبوا النساء اللاتي اعصمن بها ثم أشعلوا النار فيها، فأغضبوا الآلهة خاصة أثينا التي ذهبت إلى بوسيدون وأثارتة ضدهم وطلبت إليه «أن يثار لها وأن يذيقهم العذاب أثناء عودتهم إلى أوطانهم، فيملأ البحر أمواجاً وأنواء ويحطم سفنهم ويهلك منهم أبطالهم». وأجابها بوسيدون إلى ما طلبت، فأرسل الصواعق وأطلق الرياح، فهاجت البحار واضطربت، واشتد الموج وطوح بأساطيل الإغريق في عرض اليم وشتت شملهم، فكاد أجاممنون أن يفقد سفاته وغرق أياص (المعروف بأجاس) وتحطمت سفن مينيلوس وألقت به العواصف إلى جزيرة فاروس بالقرب من شواطئ مصر. أما أوديسوس فذاق الأمرين، لقد قاسى الأحوال وضرب في عرض البحر عشر سنين قبل أن يعود إلى وطنه حيث كانت تنتظره نينلوب زوجته الوفية، وتليماخوس - تليماك ابنه الحبيب، ولاريس والده.

ولقد روى هوميروس قصة هذا البطل وصورها أروع تصوير في الأوديسا، فكانت من أروع ملاحم اليونان الشعبية، يحفظها أبناءهم ويتغنى بها ملاحوهم ويردها منشدهم. ولما كان المجال لا يتسع لسرد أحداث هذه القصة ووصف مناظرها كما وردت في الملحمة الهوميرية، لذا رأينا أن نختار بعض حوادثها ونعرضها بالتفصيل.

يبدأ الشاعر قصيدته بالابتهاال إلى ربات الشعر ويتوسل اليهن أن يلهمنه

وأصلح تليماك من شأنه وقال: «أيها السيد بوريماخوس! إن يقيني أن أبي قد انتهى ولن تغريني هذه الكلمات المعسولة التي يتشدق بها المنجمون.. أما هذا الضيف.. فهو من أصدقاء أبي طبعاً، وقد أقبل لمجرد الضيافة، وهو الأمير منتش أمير البحارين وسيد تافوس وابن سيد هذا الزمان، الملك الشجاع انخيالوس».

قالها تليماك وهو أعرف الناس بضيفه. ثم انثنى كل إلى مخيمه، وانثنى تليماك إلى مخدعه بالطابق العلوي، حيث كانت مريته يوريكليا تنتظره، وتوقد له الشموع والسرّج. يا لها من أنثى طيبة تخلص لمولايها وتحنو عليه. لسرعان ما خلع ملابسه فعطرتها وحفظتها... ولسرعان ما هيات له فراشه الوثير.

وقضى تليماك ليلة رائعة ممثلة بالهواجس والأفكار..

وراح يفكر.. ماذا يفعل غدا؟ وماذا سوف تفعل الاقدار معه؟

هل سوف تساعد في رحلة البحث عن والده.. أم يكون مصيره نفس مصير والده.

وهذا ما سوف تقررره الآلهة...



حصان طروادة

أروع المعاني وأعذب الالحان. ثم يصف لنا كيف ضل أوديسيوس طريقه في عرض البحار، وكيف تعرض للمصائب والأهوال، ثم كيف رقت قلوب الآلهة له، وكيف رثت لحاله أثينة وتولست بأبيه زيوس أن يدرك البطل برحمته ويرده إلى وطنه سالما، فيستجيب أبوها لطلبها ويقضي بأن يعود ابن لاريتس إلى جزيرة إيثاكا، مسقط رأسه ومقر حكمه حيث استولى فريق من الاعداء على قصره منذ رحيله إلى طروادة وأخذوا يبددون ثروته ويضايقون ابنه وزوجته.

ثم يروي لنا هوميروس كيف هبطت أثينة من السماء واتخذت صورة صديق من أصدقاء أوديسيوس ودخلت القصر واقتربت من ابنه - تيلماك - تيلماخوس، ونصحته باللحاق إلى أسبرطه ليعرف أخبار أبيه من ملكها. ويستمع الفتى لها ويعمل بنصيحتها، ويصل هناك ثم يذهب إلى قصر مينيلوس الذي يرحب به ويخبره أن سفائن أبيه قد تحطمت، وأنه حل ضيفا على عروس الماء كاليبسو فهامت به وأبقت به بجانبها، ومازال أسيرا في جزيرتها لا تسمح له بالرحيل.

وبعدئذ وصف لنا الشاعر كيف استطاعت أثينة أن تصور للأكلة الآلام التي كان يقاسمها البطل بالقرب من هذه الحورية، وكيف طلبت إلى أبيها أن ينقذه من الجزيرة الموحشة ويرجعه إلى بلده، فيامر زيوس ولده هرميس بأن يتوجه في الحال إلى كاليبسو، ويطلب إليها أن تخلي سبيل البطل. وتطيع الحورية أمره وتسمح لأوديسيوس بالرحيل، فيعد نفسه زورقا، ويودع عروس الماء الحزينة، ولكن وا أسفاه! ما إن ابتعد عن الجزيرة حتى لمح له بوسيدون الذي أخذ يهز أعماق البحر حتى هاج وتلاطم بأمواج كالطود، حطمت الزورق وتكرت البطل يناضل الموت ويكافحه، ثم قذفت به على شاطئ جزيرة أسخير التي يسكنها شعب الفياكيس. واستسلم لنوم عادي عميق، وهناك جاءت ناوليكا ابنة الملك ألكينوس مع وصيفاتها ليفسلن الثياب ويلعن الكرة، فعلت ضحكاتهن، وهب أوديسيوس مذهورا واتجه

اليهن. فما إن رأيته حتى هزئت خائفات إلا ناوليكا، فقد ظلت في مكانها حتى اقترب منها وقال لها بلباقته المعهودة: «إني أسجد أمامك، إيتها الأميرة، وأنا لا أدري إن كنت لإلهة خالدة أو سيدة فانية.. ولكني على أي حال لم أر مثلك من قبل، إني أتوسل إليك أن ترحمي بحارا تحطمت سفينته، وفقد أصحابه وكل موته». فأعطته ثوبا يرتديه وطلبت إليه أن يتبعها من بعيد وقالت: «إن الناس لا يكونون عن الكلام إذا رأوا معي رجلا وسيما مثلك، بل سوف تذهب بهم الظنون. ولكنك تستطيع التعرف على قصر أبي لأنه رائع فخيم، فإذا بلغته ادخله ولا تتردد في مقابلة أبي لأن كل ما تقوله يحوز على القبول من أبي».

ووصل أوديسيوس القصر ودخله فوجد زعماء المدينة وشيوخها يأكلون، ويشربون. فتقدم البطل بهدوء حتى اقترب من ألكينوس وزوجها الملك وحياهما، فأذنا له بالجلوس وأكرما وفادته. فأكل وارتوى ثم طلب إلى الملك أن يساعده في العودة إلى وطنه، فوعده الملك خيرا ودعاه أن يقضي الليل في ضيافته ليستريح من عناء رحلته. وفي صبيحه اليوم التالي اصططحه الملك إلى الشاطئ، وأمر بأن تعد له أحسن السفن، وأن تختار له نخبة من أصلب الفتيان عودا وأشدهم مراسا ليصحبوه حتى يعود إلى بلده سالما. ثم دعا ألكينوس شعبه إلى وليمة أقابها إكراما لضيفه، كما أقام حفلا رياضيا تخللته الأغاني الرخيمة والرقصات الرشيفة.

وبعد أن فرغ القوم من لهوهم، سأل الملك ضيفه عن اسمه وطلب إليه أن يحدثه عن وطنه ويصف له الأخطار التي تعرض لها، فيقص له أوديسيوس أنباء رحلته منذ أن ترك طروادة بعد سقوطها حتى وصل جزيرة الفياكيس. ويفصل هوميروس الأحداث التي مرت بالبطل، فيحدثنا على لسانه عن مغامراته مع جماعه من المتوحشين يسمون الكيكونيس، ويصف لنا كيف فقد بعض رفاقه عند أكله اللوتس، وكيف فتك الكيكلويس بوليبيموس ببعض رجاله، وكيف أحدثت به الأخطار في جزيرة الساحرة

كركي. ثم يصف لنا نزوله إلى العالم الآخر ليسأل شبح العراف تيريسياس عن الصعوبات التي ستقابلة قبل عودته، ويصور لنا الهلاك الذي تهدده عند مروره بين خاربيدس ومكيلا، والموت الذي لحق بنغر من بحارته في جزيرة ثيران الشمس. ويعد أن يعرض هوميروس تفاصيل هذه المغامرات في صورة قصة يرويها أوديسيوس على مسامع الملك وشعبه، يصور لنا رحيله عن جزيرة الفياكس وعودته إلى وطنه. ويعتبر هذا الجزء من الأوديسا أكثر إمتاعا لأنه يفيض باللوحات الشائقة والمناظر الساحرة، ويمتلئ بالمواقف المثيرة والصور المخيفة التي رسمها الشاعر بأسلوب رائع رشيق. ومن أوصافه الممتعة تصويره للجزيرة المنعزلة التي كانت تقيم بها حورية الماء كاليبسو، وفيها يقول:

«وأرسل زيوس ابنه هرميس ليأمر هذه العاشقة أن تطلق سراح البطل، فاندفع الرسول نحو الجزيرة، يرف بين السماء والماء ويجوب القضاء حتى بلغها. وما يرح يتنقل في ربوعها حتى وصل إلى الكهف الفسيح الذي تأوي إليه الحورية ذات الجدائل الجميلة، فوجدتها هناك ووجد عندها موقدا كبيرا تتأجج ناره وتنتشر منه رائحة الأزرق والصندل العبقرة وتملأ أرجاء الجزيرة. وكانت كاليبسو تغرد بصوتها العذب الرخيم وتعمل في منسج أمامها تحركه في سرعة فائقة. ولقد بسقت حول الكهف أشجار السرو العاطرة والحوار والسنديان، وفوق أغصانها اتخذت الطيور أوكارها، وامتدت على جوانب الكهف أفنان الكروم مثقلة بالعناقيد، وتفرجت عيون أربع بماء صاف ينساب بين الأعشاب النضرة والورود البانعة. إنه لمنظر رائع يسحر الأكباب ويعيث البهجة في قلوب الأرباب الخالدين».

وهذه لوحة أخرى تصور قصر الكينوس الذي كان مضرب الأمثال في فخامته، وفيه هوسيروس يقول:

«لما وصل أوديسيوس إلى هذا القصر، بهره لآلاء كنور الشمس أو ضياء القمر، يتعكس من أسوار مصفحة بالنحاس ومحاطة بسياج من اللازورد

الأزرق، وكانت بواباته من الذهب الخالص، وأعمدته من الفضة، ومدخله من النحاس، وعلى اليمين وعلى الشمال ريفت كلاب من الذهب صاغها هيفايستوس بمهارة فائقة لتحرس قصر الملك العظيم. وكان في الداخل بهو فسيح صفت إلى جدرانها أرائك فوقها تمارق من نسيج ناعم رقيق، وهناك أقيمت على قواعد راسخة تماثيل من ذهب لصبيّة يحملون مشاعل نضياء البهو ليلا لجموع المدعوين. وخارج الساحة كانت تقع حديقة القصر تحيطها الأسوار من كل جانب، بسقت في جنباتها أشجار عالية مزهرة، فاكهتها دانية، وثمارها جنية لا مقطوعة في الصيف ولا ممنوعة في الشتاء، تهب عليها دائما ريح الصبا تنبت بعضها وتنضج في البعض الآخر».

تلك مناظر خلاصة تمتع برؤيتها أوديسيوس أثناء رحلته، وخفت من آلامه وأنسته بعض همومه في لحظات اليأس وساعات الخطر الذي كان يحف به منذ أن ترك طروادة حتى وصل إلى أرض الفياكس.

وكانت أولى مغامراته مع شعب الكيكونيس الذين داهموا سفنه واشتبكوا مع رجاله وقتلوا منهم عددا كبيرا، فاضطر إلى مغادرة مدينتهم أسماروس، ودفعته العواصف العاتية وقذفته به إلى بلاد أكلّة اللوتس، فأرسل ثلاثة من رفاقه ليكشفوا هذه الأرض ويتعرفوا على أهلها. فرجوا بهم وأكرمهم وقدموا لهم طعاما كانوا يصنعونه من زهره اللوتس، وما إن أكلوه حتى نسوا أوطانهم، ورغبوا في البقاء معهم. وحاول أوديسيوس إقناعهم بالعودة معه، لكنه فشل ولم يجد بدا من ربطهم بالحبال وجرحهم إلى السفن وشدهم إلى مقاعدها. أبحر من هذه المنطقة واستمر في رحلته حتى اقترب من الجزيرة التي يسكنها جماعة الكيكلوس، العمالقة المتوحشين ذوي العين الواحدة المستديرة، الذين لا يخافون الآلهة ولا يحترمون القوانين ويسفكون دماء البشر، وينهشون لحمهم، رعاة قساة يفتكون بكل من ينزل أرضهم.

وجنح أوديسوس إلى الشاطئ وترك سفنه ونزل مع أصدقائه إلى الجزيرة، فرأوا أمامهم كهفاً شامخاً استرعى انتباههم. وتوجه إليه أوديسوس مع اثني عشر من رفاقه، وحمل معه نبيذاً معطراً ليقدمه لمن يكرم وفادته من أهل الجزيرة، فلما اقتربوا من الكهف دخلوه، فلم يجدوا به إنساناً، ولكنهم أدركوا أن صاحبه يعيش في سر ورخاء، لأنهم وجدوا عنده عشرات من الخراف والجداء وأوعية كثيرة امتلات لبناً شهيماً، وسلالات من الجبن الدسم. فأكلوا وشربوا وانتظروا عودة الراعي الثري عله يزدوهم بموئ من عنده. وعاد رب الدار، فما إن رآه حتى ارتعدت فرائصهم، فقد كان بشع المنظر، هائل الحجم. دفع أغنامه داخل الكهف، ثم أغلقه بكتلة من الحجر يعجز عن جرها عشرات الخيول. ثم نظر حوله فلمح قوماً غريباء، فصاح بهم قائلاً: «من أنتم لتدخلوا دار بوليفيموس دون إذنه؟ قوم من التجار أم جماعة من القراصنة؟». فانعقد لسانهم من الخوف، ولاذوا بالصمت، لكن أوديسوس استجمع قواه ورد عليه قائلاً: «إننا جنود حاربنا عند أسوار طروادة ونحن في طريقنا إلى أرض الوطن. هبت علينا العواصف والرياح وأغرقت سفننا، فجننا تتوسل اليك ونطلب اليك المساعدة باسم زيوس، نصير الغريباء. ففقه الكيكلويس وسخر من ذكر زيوس لأنه كان لا يكثر به ولا يخشاه. ومن هو زيوس بالنسبة إليه، إنه أقوى من الآلهة جميعاً، لا يخاف منهم أحد..

ثم انتفض ومد ذراعيه الحديديتين وأمسك باثنين من رفاق أوديسوس، وحطم رأسيهما والنههما في لمح البصر. وبعد أن تناول طعامه، افترش الأرض ونام مطمئناً، لأنه كان يعلم أن ضيوفه لا يستطيعون إزاحه الحجر.

وفي صبيحة اليوم التالي ألهم رجلين آخرين ولم يبقَ منهما شيئاً. ثم أزاح الكتلة الهائلة، وفتح الكهف وخرج بأغنامه ورد الحجر إلى مكانه. وبقي أوديسوس مع بقية رفاقه، وأخذ يفكر في حيلة للهروب من هذا السجن البغيض وحارسه الرهيب، فطلب إلى أصدقائه أن يعدوا من الخشب

الموجود بالكهف عموداً ضخماً ذا نهاية حادة مدببة ويجففوه على لهب النار ثم يخفوه تحت القش حتى لا يراه العملاق عند عودته.

وعاد الكيكلويس في المساء، وحلب أغنامه وأعد لها حظائرها، ثم تناول عشاءه وأكل اثنين آخرين من اليونان. وعندئذ اقترب منه أوديسوس وناوله قدحاً من النبيذ وقال: «إليك بهذا النبيذ يا بوليفيموس! ذقه واشرب منه حتى ترتوي». فأفرغ الكأس في حلقة دفعة واحدة، وأبدى إعجابه بالشراب اللذيذ، وطلب إلى البطل أن يملأ له كأساً بعد أخرى، ووعد بأن لا يلبثه إلا بعد زملاته، مكافأة له على هديته، وسأله عن اسمه، فأخبره أوديسوس أنه يدعى «لا أحد». ونام الوحش نوما عميقاً، وحمل البطل ورفاقه العمودي الخشبي ووضعوا نهايته في النار حتى أصبحت كالجبر المشتمل، ثم غرسوها في عين بوليفيموس الوحيدة، وأخذوا يدفعون العمود داخل مقلته دفعاً قوياً، ويحركونه بسرعة حتى أفقدوه البصر. وصرخ الكيكلويس من شدة الألم وهاج كالأسد، وانطلق في الكهف يبحث عن أوديسوس ورفاقه، فلم يعثر عليهم لأنهم قبعوا في ركن قصي من الكهف. وصاح بوليفيموس بصوت مرعب ينادي أبناء عشيرته الذين كانوا يسكنون بجوار مغارته، فلبوا نداءه وأسرعوا إلى الكهف ووقفوا عند مدخله وسألوه: ماذا هناك؟ وما مصيبتك؟ وفهم هذا الصراخ الذي أيقظنا من النوم؟ فرد عليهم قائلاً: أغشيوني يا رفاق! إنني أكاد أموت من ضربة «لا أحد» القاضية، فحجبوا من كلامه وقالوا: إن كان «لا أحد» أصابك، إذن فهي ضربة زيوس القاصمة، فعليك أن تتحملها. وانصرفوا إلى مساكنهم وتركوه يئن من الألم.

وفي الصباح أزاح الحجر وجلس عند باب الكهف باسطة ذراعيه ليمسك بأعدائه عند خروجهم، لكن أوديسوس كان قد أمر أتباعه أن يقعد كل منهم في سلة من البوص ويتعلق ببطن كيش من الكباش ويخرج بين كبشين آخرين، وأخذ الكيكلويس يلمس النعاج والكباش أثناء خروجها ويتحسس ظهورها، ليقبض على أعدائه، فلم يعثر على أحد منهم لأنه لم يتصور أنهم

سيتعلقون بيطون أغنامه. وما إن خرجوا من السجن الرهيب حتى هرعوا إلى سفنهم وأقلعوا في الحال. وعندما ابتعدوا قليلا عن الشاطئ صاح أوديسيوس قائلا: «أيأ بوليفيوس! لقد أنزل بك الآلهة عقابا صارما على الجرائم التي ارتكبتها، واعلم أن أوديسيوس هو الذي سمل عينك». ولما سمع الكيكلوبس ما قال، انتزع صخرة هائلة من سفح الجبل ورفعها عاليًا وألقاها بكل قوته تجاه الصوت الذي ناداه، فاضطرب الموج اضطرابا شديدا، وأوشكت سفينة أوديسيوس على الفرق، لكنه كافح حتى أنقذها بعد مشقة بالغة، ثم انطلق مع زملائه في عرض البحر، وتابعوا رحلتهم حتى بلغوا جزيرة الرياح التي يحكمها أيولوس، ملكها وسيدنا الأعلى، الذي بيده أن يثيرها وأن يخمدها وقتما يشاء. فاستقبلهم استقبالا حسنا وأكرمهم، ثم أعطى أوديسيوس عند رحيله حقيبة من الجلد وضع بداخلها كل الرياح العاصفة وأحكم ربطها حتى يجتنبهم أخطارها، ثم أمر الرياح المواتية أن تدفعهم إلى أوطانهم.

ومرت تسع ليال هائلة قطعوا فيها مرحلة طويلة، ثم نام أوديسيوس من التعب. وتشااور رفاقه فيما بينهم. واتفقوا على فتح الحقيبة ظنا منهم أنها مملوءة بكنوز من ذهب أهدها الملك الكريم لبطلمهم. فما إن فتحوها ليأخذوا نصيبهم حتى انطلقت منها الرياح العاتية. ودفعت السفن بعيدا عن مجراها وأعادتها إلى جزيرة أيولوس، فغضب الملك من حماقتهم وتخلّى عن مساعدتهم وتركهم يكدون ويكدحون ليعودوا أذراجهم.

وما زالوا يضرِبون صفحة اليم بمجاديفهم ويقاومون الرياح العاتية حتى وصلوا أرض اللابستر بجونيس في صقلية، وكانوا قوما متوحشين من أكلة اللحوم، هاجموا سفنهم، وانهالوا عليهم يقذفونهم بالأحجار ويصوبون إليهم سهامًا تحمل الموت، فدمروا السفائن ومن فيها، ولم تنج من هذه المعركة إلا سفينة أوديسيوس الذي فر هاربا هو ومن كان معه. ثم وصل إلى جزيرة أييا التي كانت تسكنها الساحرة كركي ابنة الشمس.

ونزل أوديسيوس إلى الشاطئ ووقف فوق ربوة عالية وأخذ يجبل البصر في أرجاء الجزيرة، فلاحظ أنها قد خلت من الناس، لا يسكنها أحد، وليس بها إلا قصر ضخم تحيط به أشجار باسقة. فأرسل جماعة من رفاقه، يتقدمهم يوريلوخوس ليكتشفوا مجاهلها، ويعرفوا سر هذا القصر. فلما اقتربوا منه وجدوا أنفسهم وسط أسود ونمور وذئاب مستأنسة، رؤسها كركي وأخضعتهم لها بفضل فنون السحر التي تتقن استعمالها. وكانت هذه الحيوانات في الأصل رجالا سحرتهم الساحرة. وتركتهم على هذه الصورة حتى لا يرحلوا عن أرضها. وسمع البحارة صوتا عذبا حنونا ينبعث من القصر، فنادوا من فيه فخرجت لهم كركي ورحبت بهم ودعتهم، فقبلوا دعوتها إلا رائدهم يوريلوخوس، فقد توجس خيفة وامتنع عن الدخول. وذهبت الساحرة بضيوفها إلى بهر عظيم، وقدمت لهم طعاما شهيّا ونبيذا معطرا. ولما شبعوا وارتووا، مستهم بمصاها، فصاروا خنازير يحتفظون بقولهم ويشعرون بحالتهم المخزية ولا يملكون من أمرهم شيئا، ثم دفعتهم إلى حظائرهم وحبستهم بها.

وشاهد يوريلوخوس ما حدث، فأسرع إلى السفينة وأنبأ أوديسيوس بالخبر، فصمم البطل على إنقاذ بحارته، وأتجه بنفسه إلى القصر. وقابله في الطريق هرميس، ابن زيوس، وحذره من كركي وخطورة سحرها، ثم أعطاه عشا، وأمره أن يحتفظ به ليحميه من كيدها وطمأنه قائلا: «لا تخف كركي، ولا تخش سحرها، كُل واشرب عندها ولن يصيبك شيء ما دام العشب معك، وإن لم تطلق سراح رفاقك، أشهر سيفك وهدد بتطويع رأسها. فتقبل أوديسيوس هديته وشكره على نصيحته، وذهب إلى القصر، فاستقبلته الساحرة استقبالا رقيقا، كما استقبلت أصدقاءه من قبل. وبعد أن انتهى من تناول طعامه، مسته بمصاها وقالت: «والآن ابحث عن حظيرتك والحق بأصدقائك». ولكنه رفض واستل حسامه واندفع نحوها وطلب إليها أن تعد بإرجاع زملائه إلى سيرتهم الأولى، وتكف عن إيذائهم وإيذائه

وتكرم وفادتهم، وتتركهم ليعودوا إلى أوطانهم سالمين. فأقسمت أنها لا شك فاعلة، وكانت صادقة في وعدها فأرجعت البحارة إلى صورتهم الطبيعية، وأرسلت في طلب الآخرين الذين كانوا في السفينة وسمحت لهم بالإقامة في قصرها، وأغدقت عليهم جيزيل النعم وبالغت في إكرامهم. فاستهوتهم حياة القصور الناعمة وأحبوا التمتع بها بجانب الساحرة، ولم يعد أوديسيوس يفكر في العودة إلى إيثاكا.

ولما طالبت إقامتهم بدأ البحارة يذكرون البطل بالأهل والخلان، ويستثيرون شوقه وحنينه ويدفعونه إلى ترك الجزيرة والرحيل إلى الوطن، فأجاب طلبهم، وقد زودتهم كركي بشتى المؤن وحذرتهم من السيرينيس، وعلمت أوديسيوس كيف يتجنب إغراءهن ويدرا عن البحارة خطرهن، ويمنعهم من سماع أصواتهن الساحرة. وأرشدته إلى النجاة من الهلاك الذي يتهددهم عند خاربيس وسكيلا، وطلبت إلى أوديسيوس أن ينزل إلى هاديس ليقابل شيخ العراف تيريسياس، ليعرف منه الأخطار الأخرى التي قد تصادفه. وبادر أوديسيوس بالذهاب إلى عالم الموتى وهناك أخبره العراف ألا يقرب هذه الماشية ولا يلحق بها هو ورفاقه أي أذى، وإلا هلكوا بعيدا عن أوطانهم.

ولما انتهى العراف من كرمه، نظر أوديسيوس فوجد حوله أشياء كثيرة من أمبدقائه الذين ماتوا عند أسوار طروادة، ورأى أيضاً شيخ أمه التي كانت على قيد الحياة عندما ذهب إلى الحرب، فاقرب منها ودار بينهما هذا الحديث البديع. قالت الأم:

«أي بني، كيف جئت إلى هذه الدار المظلمة وأنت ما تزال حيا؟ إنه لمن الصعب على البشر رؤية العالم الآخر، إذ تفصلهم عنه أنهار عظيمة وسيول جارفة مخيفة، والمحيط الأعظم الذي لا يستطيع أحد أن يعبره دون فلك متين. أواه! هل ضربت في عرض البحار بزورقك كل هذا الوقت الطويل حتى جئت هنا، أولم تصل إلى إيثاكا بعد؟ أولم تر زوجتك حتى الآن؟».

ثم
:

ولما سكنت، قال لها: «! أمه لقد جئت مضطرا إلى العالم السفلي، جئت لاستشير روح العراف تيريسياس. إنني لم أقرب بعد من وطني، ولم تطأ قدمي أرضه، ومازلت هائما على وجهي نهبا للأحزان منذ توجهت مع أجاسمون العظيم للقاء أبناء طروادة. ولكن أخبريني ولا تخفي علي شيئا: أي قضاء أودى بحياتك؟ هل طال بك المرض؟ أم أصابك سهم من أرتيمس؟ حدثيني عن ابني وعن والدي اللذين تركتهما، هل ما زالا في أيديهما السلطان؟ أم انتزعه منهما أحده؟ هل يس القوم من أوبتي؟ خبريني عن حال زوجتي، ألا تزال تعيش مع ولدنا وتحافظ على ثروتنا؟ أم تزوجت أحد النبلاء؟».

ولما انتهى، إجابته أمه قائلة: «لا، يا بني إنها ما تزال وفية لك تقيم في قصرك، تقضي الأيام والليالي في النحيب والبكاء. أما ملكك المريض فلم يستول عليه أحد، وما فتئ أبوك يتولا، ومازال أبوك في الريف لا ينزل إلى المدينة، إنه لا ينام على الأرائك ولا يستعمل الأغطية والوسائد وحتى في الشتاء يفرش الثرى مع الخدم بالقرب من المدفأة، يلبس ثيابا بالية، فإذا جاء الصيف والخريف كان فراشه من أوراق الشجر ينام عليه، تتابه الأحزان وتقض مضجعه الآلام ينتظر عودتك رغم شيخوخته المضنية. وهكذا قضيت أنا الأخرى وانتهت أيامي، فلا أرتيمس رمتني بسهم من سهامها، ولا أصابني داء انهلك بنيت وأفنى حياتي. لا، يا بني، إنه الحزن والهم، إنه الوجد والشوق إليك، إن هذه جميعا هي التي حرمتني الحياة الحلوة».

ولما سكنت عن الكلام أراد أن يضمها إليه فاندفع نحوها ليمسك بها. ولكنها انفصلت من بين يديه كحلم سار أو ظل مبتعدا، فامتلا قلبه حزنا وناداه بصوت مرتفع قائلا: «لماذا يا أمه ترفضين عناقي الذي أتحرق إليه شوقا لكي تتبادل القبل وتسلم للنحيب والبكاء؟ أم يا ترى أرسلت إلى ربة هذه الدياجير شبحا يضاعف همومي وآلامي؟».

فردت عليه وقالت: «أواه، يا بني، يا آتس الناس أجمعين! ما حاولت أكلة الموتى أن تخدعك أبدا، ولكنها سنة البشر إذا ماتوا لم يبق منهم لحم أو عظم أو عضل، لأن النار الحامية تلتهم أبدانهم عندما تفارقهم الحياة وتصدد أرواحهم، فعجل بالخروج من هنا واذكر ما سمعت مني وقُلْه لزوجتك».

وبعد الانتهاء من هذا الحديث المؤثر، صعد البطل من العالم السفلي وذهب إلى سفينته، وأخذ يفكر فيما قاله العراف وتذكر نصيحته، فقرر ألا يتوقف عند جزيرة ثريناكي. لكن أتباعه ألحوا عليه ليأذن لهم بالراحة فيها والجلوس على شاطئها، فأجابهم إلى طلبهم وأمرهم ألا يقربوا شيئا من القطيع المقدس، وأن يكتفوا بالمؤن التي أحضروها من قصر كركي. فأقسموا أنهم لن يمسوها. ولكن حدث أن هبت رياح عاصفة عاقبتهم عن الرحيل. ومضت أيام وأيام ولم تكف العواصف ولم يهدأ البحر، وتدفدت المؤن وشعر البحارة بالجوع، فاضطروا إلى ذبح عدد من الثيران ليأكلوا لحما. ولما علم أوديسيوس بذلك استولى عليه خوف عظيم لأنه كان يعرف عاقبة جرمهم. فلما سكنت الرياح، أبحروا من الجزيرة ولكنهم لم يبعدوا عنها إلا قليلا حتى اضطرب الجو وكافهت السماء، فلمع البرق وقصف الرعد ونزلت على السفينة صاعقة حطمت صاريها ودمرت مقاعها وجوانبها وأهلكت كل من فيها، ولم ينج إلا أوديسيوس الذي تعلق بلوح خشبي من حطامها، حمله بعد أن هذات العاصفة إلى جزيرة كاليبسو حيث قضى عدة أعوام، ثم أمر زيوس هذه الحورية أن تطلق سراحه، فركب البحر وصارع الموج وكافح كفاحا مريرا حتى وصل إلى أرض الكينوس.

وهكذا انتهت قصة البطل التي رواها على مسامع الملك وشعبه، فتأثروا لسماها وأكدوا له أنهم لن يتركوه حتى يرجع إلى بلده سالما، وأمرهم الكينوس أن يعدوا له سفينة، وأن يقدموا له الهدايا النفيسة، وأن يبحروا معه حتى يصل إيثاكا. وركب أوديسيوس معهم ونام نوما عميقا هادئا. ولما

بلغوا شاطئ جزيرته حمله مراقبوه وأنزلوه إلى البر وتركوه نائما، وعادوا من حيث أتوا. فلما استيقظ أوديسيوس لم يستطع أن يتعرف على معالم مملكته حتى اقترب منه شاب وسيم وأخبره أنه في إيثاكا التي غاب عنها عشرين عاما.

وهكذا انتهت مغامرات أوديسيوس وإن لم تنته متاعبه، إذ كان عليه أن يتخلص من الأدعياء الذين استولوا على قصره وعيثرأ بثروته. ولقد وصف هوميروس مراحل الصراع بين البطل وأعدائه، وشرح لنا كيف انتصر عليهم بمعاونة الربة أثينا التي تجلت له في صورة حسناء فاتنة، ونصحته أن يصبر ويتحمل ما قد يصيبه من مكروه، ثم غيرت صورته وذرته بتياب بالية حتى لا يعرفه أحد، وأخبرته أن يذهب إلى پومايوس، صديقه الراعي الأمين، ويقيم عنده حتى تعود الآلهة بابه تليماخوس - تليماك. فاتجه الوالد إلى الراعي وهناك حضر إليه ابنه. فكشف له الأب عن شخصيته وقص عليه قصته. وأخبره أنه تنكر في هذه الاسمال حتى يستعين على أمره بالكتمان، وطلب إليه ألا يخبر أحدا بمودته، وأمره أن يذهب إلى القصر و ينتظره حتى يلحق به مع پومايوس، وانصرف تليماخوس وذهب إلى أمه، وأخبرها بأنباء رحلته التي كان قام بها ليعرف أخبار أبيه، وأقبل الراعي ومعه البطل في صورة شجاع فقير وجلس على الأرض، فأرسل إليه ابنه شيئا من اللحم والخبز ثم أشار إليه بالدخول، فسار بين الأمراء وسألهم أن يتصدقوا عليه، فرتوا لحاله ونالوه قطعاً من الشواء وشيئا من الطعام، ثم خرج المسكين وجلس عند باب القصر حيث كان من قبل.

عندئذ ظهرت بنيلوب بين العشاق فرأها زوجها تتحدث إليهم عن سعادتها الماضية مع حبيبها أوديسيوس، وتندب حفظها لغيايه الطويل، وتعبّر عن غضبها لوجود هؤلاء الأدعياء، وتذمّر لإقامتهم في قصرها وتأمرهم بالرحيل عنه. ولكنهم انصرفوا ليعودوا إليها بهدايا الزواج. فانسجبت بنيلوب إلى غرفتها وتركهم يلهون ويغنون. وأقبل الليل، فأخذوا

يضحكون ويسخرون من الشحاذ الفقير، ولكنه رد على الإهانة بمثلها، فأرادوا أن يطروده لولا أن منعهم تليماخوس وأمرهم أن يتركوه في القصر، وأن يذهبوا من فورهم إلى بيوتهم، فأطاعوه وانصرفوا.

وهكذا خلا الجور للبطل وابنه، فأخفى أسلحة الأعداء ثم أوى كل منهما إلى فراشه. لكن أوديسيوس لم ينام وأخذ يفكر فيما عسى أن يأتيه به الغد من أحداث. عندئذ تجلت له أثينة فطمأنته وأكدت له أنه سينتصر على خصومه. وفي الصباح توسل البطل إلى زيوس أن يجيبه بآية لتشد من أزره، فاستجاب لندائه. وسرعان ما اكفهرت السماء وعصفت الريح ووقف العراف ثيوكليمنوس وسط العشاق وأندهم بسوء العاقبة وتنبأ لهم بهلاك قريب.

بعدئذ أحضرت بنبلوب قوس أوديسيوس الهائلة وقدمتها إليهم وقالت «أيكم يرمي بها مهما سيكون زوجا لي». فقبلوا الشرط، ثم أخذوا يجربون حظهم الواحد تلو الآخر، ولكنهم أخفقوا جميعا حتى يوريماخوس، فلقد أبت القوس أن تلين في يده، فلما بلغ منه الجهد التفت بها يائسا وقال: «العار لي ولكم. إتنا دون أوديسيوس قوة، ولا نستطيع أن نشد قوسه، وعندئذ تقدم البطل وهو متكرر في أسماله البالية وقال: «أرجوكم أن تعطيني هذه القوس لأجرب قوتي وأرى هل مازالت تجري في عروقي حيوية الشباب الدافقة، أم أن بوس الحياة ومتاعها قد قضت علينا إلى الأبد». وثار القوم وتعالى صياحهم، فسبوا الشحاذ وفكروا في طرده، لكن بنبلوب أصرت على أن يحاول ما حاولوا، وتقدم أوديسيوس وأخذ القوس وبدأ يفضصها، وكانت ضربة قاصمة للأعداء الذين زاغت أبصارهم وامتنعت وجوههم، عندما انقطعت الشحاذ منهما وثبتت في القوس وأرسله بقوة، فانطلق دون أن يتحرف، وأصاب الهدف. وحانت ساعة الانتقام، فالتقى البطل أسماله وكشف عن شخصيته وتناول قوسه وجعبته ثم قال لأعدائه: «أيها الكلاب! لقد ظننتم أنني لن أعود من طروادة أبدا فاستجتم

لأنفسكم نهب بيتي واعتديتم على نساء قصري وحاولتم إغراء زوجتي، لا تخافون غضب الآلهة ولا انتقام البشر. فالويل لكم، لقد حان أجلكم». ثم أخذ يسدد سهامه إلى صدور أعدائه حتى قضى عليهم واحداً بعد الآخر.

ولما عرف أهل إيثاكا ما حل بالعشاق من نكبة على يد ملكها، هرعت جموع أقاربهم إلى قصره وتشاوروا في الأمر، فرأى بعضهم أن يقتلوا أوديسيوس ويتقموا منه. لكن أثينة مضت إلى أبيها زيوس وسألت: «ماذا تضر في نفسك يا أبناء؟ هل تبغي إشعال الحرب وإضرار ليهيها؟ أم تريد التوفيق بين الفريقين وتحب السلام لإيثاكا؟» فرد عليها قائلا: «لأن وقد انتقم أوديسيوس لنفسه فعليه أن يحكم الجزيرة كلها، وعلينا أن نمن على أعدائه بالصبر والسلوان، ونولد المحبة في قلوبهم ليسود السلام بينهم وتزدهر حالهم وتزيد أموالهم.

وحلقت أثينة في الفضاء وطارت إلى إيثاكا وبدت لأهلها في صورة صديق من أصدقاء أوديسيوس وهتفت بهم وبملكهم قائلة: «اجنحوا إلى السلم، أيها المواطنون، وضعوا حدا للخصومة بينكم حتى لا تُغضبوا سيد الأرباب». فاستجابوا لندائهما وتعاهدوا على الود والإخاء. وعاد أوديسيوس إلى قصره وقضى أيامه في راحة وهناء يدين له الشعب بالحب والولاء.

وراحت السعادة تترف بأجنتها الرقيقة على القصر السعيد الذي يضم بين جدرانه الملك البطل الذي ليس له مثل في الوجود والذي ظل اسمه خالدا أبدا الدهر. هو وزوجته الحبيبة - بنبلوب - الزوجة الصابرة. الطاهرة. . . المحلصة التي لم تستسلم للزغات والرغبات الدنيئة، وقد ظلت محافظة على شرفها وكرامتها حتى عودة زوجها. . . كذلك الابن الوحيد - تليماك. . الشاب الصابر. . الصامد. . البطل الذي وقف بجوار والدته في محنتها القاسية.

فينوس

الاهة الحب والجمال

لقد كانت تتلألاً كتمثال من نور ومن بلّور، وكان لها شعر كأشعة الشمس، يسترسل فوق كتفيها العاجيتين فيدنو النسيم العاشق يقبله ويمد يده ويثر فوق الخصر والصدر ضيائه ثم يعود إليها بقلوب الآلهة وأرواحها، فيثرها تحت القدمين.. لتسحقها فينوس الجبارة.

أسطورة «مولد فينوس»

من الأساطير اليونانية



أفروديتي

الاهة الحب والجمال والغضب والتنازل عند الاغريق

ما أكثر ما تجري على الألسنة في أنحاء العالم قصة مارس وفينوس إذ فاجأهما زوجها الماكر فولكانوس. كانت فينوس قد أثارت وله الإله مارس فأحالت رب الحرب الجبار عاشقا وادعا. ولم يكن الحياء من صفات فينوس، وما كان هنالك قلب لإلهة أكثر من قلبها رقة، فما أسرع ما لانت لتوسلات مارس، ومضت تسخر ماجة من ساقى زوجها الحداد الأعرج وتتضحك من أديم يديه الملفوحتين من أثر النار، المخشوشتين من طول الكد.

وتמיד سحرا وجمالا بين يدي عاشقها وهي تحاكي زوجها ساخرة. فى البلد نجحا فى إخفاء لقاءاتهما الأثمة متسربلين بالخمر والحياء. لكن إله الشمس وشى بهما لفولكانوس، وهل يملك مخلوق أن يجد سبيلا لخداع إله الشمس؟! آه يا إله الشمس، ما أسوأ المثل الذي نضربه. لينك التمسست من فينوس إمتاعك بمفاتنها، فما كانت لتصدك لو كنت كتوما.

نصب فولكانوس حول القراش شبكا تخفي دفتها عن كل عين وتظاهر بالرحيل إلى ليمنوس. فهرع العاشقان إلى اللقاء، وإذا هما يقعان فى الشراك عاريين. لحظتها، نادى فولكانوس الآلهة جميعا، ليروا مشهدا جديرا حقا بالرؤية. كادت فينوس لا تملك حبس عبراتها، وما ملكا إخفاء وجهيهما، أو ستر عورتيهما بأكفيهما.

وتضاحك أحد الآلهة فقال: «يا أيها الإله مارس البائس، إذا كانت قيود الحب تبهطك، فماذا عليك لو حملتها عنك؟» وبعد لأي استجاب فولكانوس لرجاء الإله نبتون، وأطلق سراح الآمين. فهول مارس صوب طراقيا، بينما أسرع فيثوس شطر بافوس كي يجتمع شملهما بعد قليل. وأنت يا فولكانوس، ماذا جنيت من هذا كله؟

في الماضي كانا يلتقيان خفية، واليوم يتمتعان بنشوة الحب علانية لا يحتجبان حياء أو خشية. ما أحملك إذن...!

أوليفد

كانت الأسرة الإلهية التي تخيلها اليونان تسكن فوق قمة جبل أولمبيوس تتكون من اثني عشر عضواً: خمس ربات وسبعة أرباب. وكانت أفروديتي ربة الحب والجمال، فضلاً عن الخصب والتناسل. وقد عُبدت في كل أرجاء العالم الهليني تقريبا، وإن فاقت معابدها في مدينتي بافوس وأماثوس بجزيرة قبرص، وفي جزيرة كيثيرا، غيرها في الشهرة. وكانت ربة لعبوا مخادعة، شغوفة بالضحك، تفتن بابتسامتها الحلوة من يقعون في شباك حبها، وتسخر منهم دون أن يظفروا منها بشيء. ولم يكن هناك سبيل إلى مقاومة إغراء هذه الربة التي كانت تسيي أبواب الحكماء أنفسهم. ويقول شعراء الأجيال التالية إن أفروديتي نشأت من زبد الموج، وإن اسمها نفسه يعني وليد الزبد، ويروون أن عضو إخصاب الإله أورانوس سقط في البحر المضطرب بعد أن ألقي به الإله كرونوس من الأرض، فتقاذته الأمواج مدة طويلة، وأخيراً تجمع حوله زبد الموج، ومن هذا الزبد نبتت أفروديتي.

وقد حدث مولدها العجيب على مقربة من جزيرة كيثيرا، ثم حملتها الأمواج إلى قبرص، حيث خرجت من الماء، فلقبت باسم «آبنة الأمواج». ومنذ ذلك الحين ارتبطت هاتان الجزيرتان ارتباطاً مقدساً بأفروديتي التي

نم
٢٤

كثيرا ما لقبت أيضاً بـ «الكثيرية» و«القبرصية». وعندما بلغت قبرص استقبلتها الهواري، ربات الفصول، بنات ثميس، ربة القانون والنظام الذي يضبط العلاقات الطبيعية بين الجنسين، وهي ربة كان من البدهي أن تستهجن منظر العري النام، الذي كثيرا ما ظهرت أفروديتي فيه. ولهذا لم تدمج أفروديتي في زمرة آلهة أولمبيوس إلا بعد أن ألبستها الآلهة ثيابا لائقة، وعصن جبينها بإكليل من الزهر، وزينها بالحلي الذهبية. وعندما وقعت عليها عيون الأرباب، بهرهم جمالها الأخاذ، فأمطروها جميعا بالقلبات، وأمسكوا بيدها، وتمنى كل منهم أن يتخذها زوجة له.

وليس من المستبعد أن تكون أفروديتي - وهي تقابل عشتار أو عشتروت عند الفينيقين - قد وفدت إلى بلاد اليونان من الشرق عن طريق قبرص. فقد جاء إلى أثينا من هذه الجزيرة أيضاً عشيقتها أدونيس (وهو تموز) الذي كان عشيق عشتروت نفسها عند الشرقيين. لكن هناك من الدلائل ما يشير إلى أنها اكتسبت بعض صفاتها من ربات العصر المينوي، وبخاصة من أريادني التي شغلت هي مكانتها واستوعبت عبادتها.

وعلى أي حال فإن هوميروس يصفها بأنها ابنة زيوس رب الأرباب، وديوني وزوجة هيفايستوس، إله النار والبراكين والحدادة، وأقبح الآلهة شكلا. ويوصف إله الحرب بأنه عشيقتها، وأحيانا زوجها. وحسب أفروديتي خطرا أن انياس، جد الرومان، الذي أسس أحفاده روما، كان يتحدر من صلبها مباشرة، فقد أنجبه من أنخيسيس الطروادي، ولذا تظهر في الإلياذة محبة للطرواديين، مما يعزز أنها من أصل غير هيليني، ولكنها لا تقوم بدور الربة المحاربة، فقد كانت أضعف من أن تشارك في القتال لأن ميدانها كان الحب وحده. ومع هذا فإن أفروديتي قد عُبدت أحيانا في اسبرطة وغيرها من الأماكن بوصفها ربة محاربة، وهي صفة يرجح أنها ورثتها عن نماذجها الشرقية، وقد تفسر أيضاً صلتها بأريس، إله الحرب، وبخاصة في الأساطير. لكن ينبغي ألا ننسى أنها كانت بوجه خاص ربة التناسل والإخصاب.

ومن ثم جاء تمثيلها للغريزة الجنسية وارتباطها بإيروس، إله الحب، وهيبيروس إله الشهوة، اللذين يوصفان في الفن والأدب بأنهما ابناها. ومن هنا جاءت أيضا رعايتها حتى لعاهرات المعابد في كورنثة، حيث لقيت أحيانا بالمحظية أو العاهرة، وكذلك اتصالها القوي في العبادة بهرميس من بين كبار آلهة أولمبيوس، ثم هيامها بأدونيس الفينيقي الأصل، إله الخصب والنماء، الذي تعذبت بحبه مثلما عذبت بحبها الآلهة والناس.

وقد عرفت أفروديتي الحب وهي لا تزال في البحر صبية، أي قبل قدومها إلى جبل أولمبيوس. ومن بين قصص الغرام التي نسجت حولها، قصتها مع نيريتيس، ابن نيربوس الوحيد، إله البحر القديم. وكان نيريتيس مخلوقا صغيرا، رافع الجمال، يعيش في الماء الصافي، وسط الشعاب، بقاع اليم. وطالما كانت أفروديتي تقيم في البحر، فقد ظلت تستمتع بقربه، وتعيش معه كما يعيش العشاق. لكن سرعان ما حان الوقت لكي تغادر أفروديتي البحر لتليه لنداء أبيها، وتضم إلى جماعة الآلهة فوق جبل أولمبيوس. وعزَّ على أفروديتي الفراق فعرضت على صاحبها أن يرافقها إلى أولمبيوس. ولكن نيريتيس أثار البقاء في البحر مع والديه وشقيقاته الخمسين. وقد عرضت أفروديتي أن تمنحه جناحين ليطير بهما. ولكنه رفض ذلك، وعندئذ مسخته الربة صدقة صغيرة من أصداف البحر. واصطحبت بدلاً منه إيروس، إله الحب الصغير، الذي وهبه الجناحين.

فقد رُوي أن هذا الملك وقع في حب تمثال لأفروديتي، مصنوع من العاج تظهر الربة فيه عارية. وبلغ من افتانه بالتمثال أنه أراد أن يتخذ زوجة له، فحمله إلى فراشه. وفي رواية أخرى أن ييجماليون هو الذي صنع من العاج تمثال امرأة بارعة الجمال، وهام به جبا. واستبد به اليأس ويرح به الهوى فابتهل إلى أفروديتي أن ترحم عذابه. وعندئذ دبت الحياة في تمثال المرأة، فتزوجها ييجماليون، وأنجب منها بافوس الذي أسس ابنه مدينة بافوس، حيث يوجد معبد أفروديتي.

وأما قصة عشقها لأدونيس التي راجت أيضاً في أقطار الشرق كسوريا وقبرس وآسيا الصغرى، فتقترن بشجرة المر، وهو لبان طيب الرائحة، عطر الأريج. وكانت ميرها أو اسميرنا وهي أزمير - ابنة أحد ملكين، إما تياس ملك لبنان أو كينراس ملك قبرص، الذي أسس مدينة بافوس. وقد أولعت ميرها بأبيها ولعا شديدا وشغفت به جبا. ولقد قيل إن منشأ هذه العاطفة الأثيمة في قلبها إنما يرجع إلى غضب إله الشمس أو غضب أفروديتي عليها، لأن ميرها زعت أن شعرها أجمل من شعر الربة. واستطاعت ميرها أن تخدع أباهها، أو استطاعت أن تسكره، وجامعته موهمة أباه أنها إحدى محظياتها. وبعد أيام اكتشف أبوها على ضوء سراج خافت من تكون رفيقته. وجن جنونه فاستل سيفه يريد أن يطيح برأسها، ففرت منه مذعورة.

وقد أثمر هذا الحب المحرم ثمرته. وغمر الأسى قلب ميرها واجتاحها شعور بالمدلة والخزي. وابتهمت إلى الآلهة أن يواروها عن الأنظار، فلا يدعونها بين الأحياء ولا بين الموتى. وأشفق عليها رب من الأرباب لعله زيوس، أو لعلها أفروديتي، فقد عرفت بالربة الشفوق، التي مسختها شجرة لا تبكي دما بل تنزل لباتا كالعطر رائحته كالبخور، وهو أدونيس. ذلك أن أدونيس عشيق أفروديتي قد ولد من لعاء شجر المر. وكان أدونيس جميلا فاتنا، بلغ من جماله وفتنه أن أفروديتي أخفته بعد مولده في صندوق وعهدت به إلى برسيفوني، ففتحت الصندوق ورأت الغلام الجميل فتملكتها الرغبة في ألا تدره إلى صاحبه. وثار بين الربتين نزاع أحيل على زيوس للفصل فيه. وقضى زيوس بأن يترك أدونيس وشأنه لثلاث من السنة. وأن يبقى مع برسيفوني الثلث الثاني، وتحتفظ به أفروديتي بقية السنة، وأما عن مصير أدونيس، وانتقاله إلى برسيفوني في عالم الموتى أربعة أشهر من كل عام، فإن القصة الرائجة تقول إن خنزيرا برياً هو الذي جرحه جرحا مميتا بينما كان يلهو بالصيد.

وقد سال دم أدونيس وروى الأرض فانبثت مكانه الأنيمن، وهو زهر

فافع الحمرة، وقاض نهر أدونيس في لبنان بالدماء القانية. ومن المعتقد أن أرتيمس، ربة الصيد، أو أريس هو الذي أطلق الخنزير البري على الفتى الفاتن لينتج به. وقد حزنّت عليه أفروديتي حزناً شديداً، واكتوى قلبها بالشوق إليه، ويكنه بكاءً مُراً قبل أن تحظى بقربه أو تستمتع بهواه. وفي الحق أن الأعياد التي كان الناس يتذكرون فيها حبها المكشوف، إنما أنشئت لتخليد ذكرى اليوم الذي فارقها فيه حبها الجميل. فلقد صرعه الخنزير فانطرح أرضاً ينزف الدم من جسمه بغزارة، بينما وقفت أفروديتي بجانبه مشدودة لمتعة تجشش باليكاء. ولقد حاولت عبثاً أن تستيقظ. وفي اليوم التالي حلّق أدونيس في الفضاء. وقد درجت النساء على تقديم القرابين له في صورة باقات ورد يانعة. وفي الشرق كان هناك بين النساء من منحن أجسادهن للغرباء في رحاب المعابد. وأما اللواتي لم يسترخن أجسادهن فكان على الأقل يهين شعرهن قرباناً لأدونيس الإله.

هذه القصص التي قصصناها عن ربة الحب الكبرى كان مسرحها سوريا أو قبرص. وأما القصة التالية فقد جرت في منطقة طروادة، على مقربة من الدردنيل، بإقليم آسيا الصغرى. لقد كانت هناك ثلاث إلهات ليس لربة الجمال سلطان عليهن: أثينة وأرتيمس وهستيا، وهن العذارى الثلاث اللاتي لم يتزوجن أبداً. وأما سائر الآلهة والآلهات الأخريات فقد أذعنوا لسلطانها ورضخوا لإغرائها. ولم يسلم زيوس نفسه من كيدها، إذ أشعلت نار الحب في قلبه، فضعف أمام نساء من البشر وعزف عن زوجته الشرعية هيرا، ابنة كرونوس ورهيا. ولهذا كاد لها زيوس فحملها على أن تقع بدورها في حب الراعي أنخيسيس الذي كان يهش على غنمه فوق سفوح جبل إيدا على مقربة من طروادة. وقد حبت الآلهة هذا الراعي بجمال لا يقل عن جمالهن. وأبصرته أفروديتي فسباها حسنة وفتنتها وسامتة ففرق حبه في قلبها مروق السهم. وأمرعت الربة خطاها عائدة إلى قبرص ودلفت إلى معبدها في بافوس، وأوصدت أبوابه وتبعته ربات الرشاقة والهواء

وغسلنها بالماء الزلال ومسحن جسمها البض بالزيت الخالد الذي يعلق شذاه بالآلهة، ثم ألبسها حلة زاهية وزينها بحلى من الذهب. وفي الحق أن أفروديتي قد عرفت بالربة الذهبية. ولم تلبث أن عادت أدراجها إلى طروادة، واتجهت إلى جبل إيدا، متلهفة على لقاء الحبيب.

وشقت أفروديتي طريقها إلى حظائر الغنم عبر الجبال، وتبعته ذئاب رمادية اللون، وأسود وديبة وفهود لا يرونها إلا الولع في دم الغزلان. وابتهجت الربة لمرأى هذه الوحوش، وسكنت في قلبها رحيق الحب، فانتشلت وهزت ذيولها طرباً، ثم استلقت تحت ظلال الغاب أزواجاً أزواجاً، كل ذكر يلاطف أنثاه. ودخلت أفروديتي خيمة أنخيسيس ووجدت الراعي وحده يروح ويغدو عازفاً بمزماره. ووقفت الربة أمامه وقد تمثلت في صورة فتاة بارعة الحسن ممشوقة القيد تدوب رقة ودلالاً. ورأها أنخيسيس، فطاش صوابه وسال لعابه، وقد فتته قوامها الفارع ورداؤها الفاخر. فقد كان هذا الرداء في حمرة الذهب الذي يخطف البصر. وتلألأ نهذاها فبدوا ناصعين كأنهما غسلا بضيء القمر. وحيأها أنخيسيس ورحب بمقدمها، وصدق حدمه في أنها ربة فخاطبها في رهبة ونذر لها معبداً وقرابين، وسألها أن تباركه وزيته. ولكن أفروديتي كذبت عليه زاعمة أنها أميرة فريجية، تتكلم لغة الطرواديين. وادعت أن الإله هرميس قد حملها من بين رفيقات أرتيمس وحورياتها اللاتي كانت ترقص معهن إلى جبل إيدا مجتازاً بها فضاء فريجيا، وأن رسول الآلهة أحضرها لتكون زوجة لأنخيسيس. غير أنها ناشدت الراعي أن لا يمساها حتى يراها والده وأخواته، وحتى تبعث أيضاً إلى والديها برسالة عن صداقتها قبل إتمام الزفاف.

بهذه الكلمات ألهمت الربة مشاعر الراعي وأثارت رغبته. ولم يسعه إلا أن يقول: «إن كنتِ حقاً فتاة من الإنس قدر لك أن تكوني زوجتي فلن يصدني عنك إله أو بشر. ولئن شاء أبوللون نفسه أن يرديني بسهمه، فما أتمنى إلا أن استمتع بحبك فوراً، وأموت بعد لحظة».

وأقبل عليها وأمسك بيدها فنبهته إلى فراشه، وهي تتلفت وراءها في قلق كأنها تفكر في التراجع، ولم تلبث أن نكست عينيها إلى الأرض في إستحياء. وكان المضعف مفروشا بجلود الدببة والأسود التي صادها أنخيسيس. وهكذا شاعت إرادة الآلهة أن يضاجع بشرًا فإن ربة خالدة دون أن يدري من هي. ولما حان مياد إياب الرعاة الآخرين، أيقظت أفروديتي عشيقها النائم، وتبدت له في صورتها الحقيقة، وارتاع أنخيسيس عندما رأى الربة، وأشاح عنها وجهه وأخفاء، وتوكل إليها أن تنقذه، فليس في وسع إنسان أن يقيى سليما معافى بقية حياته إذا ضمه ربة فراش واحد.

ويرى أيضا أن أفروديتي تنبأت لابنها الذي أنجبته من أنخيسيس ولاخفاده بالخير العميم. ولم يكن هذا الابن سوى اثامس جد الرومان ومؤسس دولتهم. وقد ندمت الربة على أنها وهبت نفسها لبشر. غير أنها طالبت أنخيسيس ألا يبوح لأحد بأنها أم ابنه، وأن يزعم أنه ابن إحدى الحوريات. وأنذرته إن هو أفشى سر علاقته بها، لينزلن به زيوس صاعقه. ويرى أن أنخيسيس نقض وعده، وتباها بين خلاته بصلته بأفروديتي فأصابته صاعقة زيوس بالعرج، وإن كان ثمة رواية أخرى تقول إنه عوقب بالعمى لأنه رأى الربة عارية، فاطلقت عليه نحلا وخز عينيه. وهكذا انتظمت لنفسها أفروديتي التي وصفت أحيانا بالربة الغامضة، إما لأن العشاق يحبون الظلام، أو لاقتراثها بربات الغضب والانتقام. وفي الحق أنها وصفت أيضا بقاتلة الرجال، وحافرة المقابر.

على أن اسم هذه الربة الذي اشتهرت به لم يكن هو الوحيد الذي حملته. فقد حملت أفروديتي أيضاً اسم ديوني، زوجة زيوس، التي ورد في هوميروس أنها أمها. وهذا الاسم يعني «ربة السماء الصحو». وقد وصفت ديوني أيضاً بأنها «ربة الماء». وقد عُبِدَت ديوني في بلدة دودونا - أشهر مركز لنبوءة زيوس - إلى جانب زوجها بوصفه «ربا للنبوءة». فأصبحت هي الأخرى مثله «ربة للنبوءة». ويذهب الشاعر هسيودوس إلى أن أفروديتي

كانت إحدى بنات أوقيانوس، فلا عجب إن ارتبطت ربة الجمال بالماء. ولم تظهر آياتها في البر فقط بل في البحر كذلك. فكانت إذا تحركت سار الجمال في ركابها وانتشرت حولها هالة من النور الباهر، وازدان أديم الأرض بأجمل الأزهار. فإذا سافت عجلتها الذهبية التي يجرها البجع فوق البحر، ولت الرياح الإديار وانقشع الغمام وتضاحكت الأمواج، ولللك عُبِدَت أفروديتي بوصفها ربة البحر الذي ولدت منه، وربة للملاحة.

وكان من بين ألقابها الشائعة لقب «السماوية» وهو لقب حملته كثير من ربات الشرق، وقد ينم عن أصلها الشرقي، أو قد يفسر الرواية القائلة بأنها كانت ابنة أورانوس إله السماء القديم. وإن كان البعض يرى فيه معنى «ربة الحب السماوي» أو الأفلاطوني. ويرتبط بهذا اللقب لقب آخر بمعنى «ربة الشعب» بجميع طبقاته، وهو يمثل في الواقع أقصى ما أصابته أفروديتي من نجاح سياسي، وبخاصة في أثينا. وقد كان هناك شهر يحمل اسمها في تقاويم كثير من الدوليات اليونانية. وكان كوكبها هو الزهرة فينوس، وشجرتها الآس، وطائرها اليمامة، وأما قربانها فكان الخنزير البري الذي صرع عشيقها أدونيس وأدمى قلبها حزناً عليه، فشاطرتها حزنها كل النساء.

وكان أبداع تمثال عرته العالم هو تمثالها الذي نحتته المثال المشهور براكسيكتليس في منتصف القرن الرابع ق. م. وكان الناس يأتون من كل مكان إلى مدينة كنيديوس بأسيا الصغرى للتمتع بمشاهدته. وهو يمثل الربة وهي تضع ثيابها التي تجردت منها فوق جرة الماء قبل الاستحمام. وكان هذا التمثال هو النموذج الذي صنعت على غراره كثير من تماثيل أفروديتي في العصر اليوناني المتأخر والعصر الروماني. وكان من أشهرها ما كشف في جزيرة ميلوس بالبحر الإيجي ويعرف الآن باسم «فينوس ميلوس». كذلك انجبت أفروديتي من هيرميس طفلاً ربه الحوريات، وكانت قسماته تجمع بين ملامح أمه وأبيه، ويجمع اسمه بين اسميهما وهو هيرمافروديتوس. وما كاد يشب ويكبر حتى هوى الاسفار والترحال،

واكتشف خلال تجواله في الأرض بركة ماء صافية جميلة حولها الأعشاب
الرطبة الناعمة، وتسمكن بها حورية حسنة لا تكف عن الاستحمام في هذه
البركة وتأمل مفاتن جمالها ملتفة بغلالة شقافة رقيقة، مستلقية على فراش
من أوراق غضة وأعشاب ليّنة. وحدث ذات يوم أن وقع بصر الحورية
سالماكيس على الفتى هيرمافرودينوس، وما أسرع ما أحست لهفة إلى
الاستئثار به، فخطبته قائلة:

ما أجملك أيها الصبي الجميل بأن تعدّ إلها. وإن كنت إلها فلعلك
كيرييد إله الحب، أما إذا كنت بشرا فلا شك أن أبويك مباركان، وأن
شقيقك سعيد، وشقيقتك سعيدة أيضا، كذلك مرضعتك التي أرضعتك،
وأكثر من هؤلاء جميعا سعادة حبيبك التي ستخذها زوجة لك، فإن كانت
لك خطيبة فدعني أنعم بحبك سرا، وإن لم تكن لك خطيبة فلست أتمنى إلا
أن أكون عروسك التي تشاطرك الحياة إلى الأبد.

ولم تكد الحورية تفرغ من كلامها حتى تورّد وجه الفتى الذي لم يكن قد
عرف الحب بعد، وألّحت الحورية أن تقبله ولو قبلات أخوية، وحاولت
لفك ذراعها حول عنقه العاجي فزجرها وهدد بالرحيل، فسرت في جسدها
رعدة وأدارت له ظهرها مظاهرة بعزمها على الابتعاد عنه بينما كانت تخطو
وعيناها نظران إليه، حتى إذا ما وارثها الأشجار ركعت على الأرض كي
ترقبه.

وأطمأن الفتى حين أحس أنه وحده. واقترب من البحيرة ومد قدميه إلى
الماء كاشفا عن ساقيه، وأغراه الماء فخلع ملابسه، وما إن فعل ذلك حتى
ذهب جماله العاري لبلب سالماكيس فعجزت عن أن تتمالك نفسها وغرقت
شوقا وعشقا ورغبة في أن تضمه إلى صدرها، وكادت لا تقوى على إمساك
زمام شهواتها المشبوبة، وبصفحة كفيه ضرب الغلام على خصره وقفز إلى
الماء سابحا مبتعدا عنها، وكان جسمه يبرق من تحت الماء الصافي وكأنه
تمثال من العاج أو زنبقة تحت لوح من الزجاج الشفاف.

وخلعت هي الأخرى ملابها ملقية بها هنا وهناك وقفزت خلفه إلى
البحيرة، وامسكت بالفتى الذي أخذ يقاومها، غير أنها نجحت في أن تقلبه
رغما عنه، وامتدت يدها من تحته قلمست صدره النافر وشرعت تحتضنه،
وقاوم الفتى لا يريد أن يمنحها المتعة التي كانت تنوق إليها، فأحكمت
قبضتها وطوقته بجسدها كله ملتصقة به صائحة:

قاوم ما شئت لكنك لن تغفلت مني أيها الوغد الجميل.. ألا قَلْتُمَنَحَنِي
الآلهة أمني، فلا يأتي يوم ينفصل فيه هذا الغلام عني أو أنفصل عنه.
وأصبحا شخصا واحدا بعد أن كانا شخصين.. أو جسدا واحدا..
وكما تنمو الشجرتان صنون معا لا يفترقان، كذلك التحتمت أطراف الفتى
بأطراف الحورية في عناق طويل متصل فصارا شخصا واحدا وإن بقيا
بطبيعة مزدوجة لا ندرى أحما ذكر أم أنثى.. أو أنهما شيء واحد معا.
إنهما ليس هذا أو ذلك.. وإنما هما عاشقان في جسد واحد.



فيونوس.

أنياس وديدو

وأنجبت أيضاً أفروديتي ابنها أنياس والذي ظفر بتمجيد التاريخ له، فقد خلده الشاعر فرجيل في ملحمة الخالدة الإنيادة التي صوره فيها رجلاً ورعاً محباً للخير، محباً للعدل والسلام، مخلصاً لأبويه ووفياً لاصدقائه. وقد كان محارباً بأسلاً لا يشق له غبار، ظهرت بطولته في حرب طروادة وقد أسند إليه قيادة الطرواديين بعد مصرع هكتور حتى إذا سقطت طروادة خرج حاملاً والده على كتفيه ممسكاً بابنه الصغير أيولوس، مخلفاً في أسى زوجته التي وقعت ميتة في الطريق. وظل ينتقل هو ومجموعة من مواطنيه بين البلاد، بحثاً عن مأوى يقيمون به حتى بلغوا ساحل إيطاليا الغربي حيث لقي أباء حنفيه في صقلية. وما لبثت الرياح أن جرفت سفينتهم إلى أفريقيا، فرحبت به الملكة - ديدو - ملكة قرطاجة. وهامت به وشغقت حبا، وقد اسندت إليه قيادة جيوشها وأبقت في ضيافتها عاماً كاملاً، وحين هجرها هرعته إلى كومة من الحطب وصعدت إلى قمته وانتحرت فوقها.

يقول أوفيد:

«فإن طعنت نفسها بسيف أنياس، فأخذ شعبها يكرمها كأنها واحدة من الآلهات».

يقول فرجيل

وفي غضب محموم ولت ديدو

عينها في لون الدم

شفتها ترتجفان

خداها بقع دكنا

جبهتها كاسية بشحوب الموت

اندفعت في أنحاء القصر

صعدت درجاته

تطوينا طي الإعصار

كي ترى ألسنة النار

في محرقة تنتظر الضيف: جسد الملكة

فريدة تمضي نحو الموت

في يدها سيف الطروادي

كان السيف هدية

لم يكن للقتل

والتفت لحظة

تنفوس في أردية الفريجي الراحل

ثم أدارت عينها نحو فراش العشق

كم نعمت به

وكم آتست

وكم عاشت فيه زمان الحب

وعلى الخدين دموع تثرى

ارتمت الملكة

تتمرغ فوق فراش العشق تنشد في سكرات الموت وتتمتم له:

يا أغلى ما أبقت الدنيا

إن يك ذلك قدرى ومشيت أربابي

فلتأخذيني أيتها الألهة ولتستلي روعي
رحمة بي من العذاب
عشت وأثيت نصيبي . . قدري
والآن ستهبط روعي
تشع بثوب المجد
إلى دار الموت
أثيت نصيبي . . قدري
وبنيت صروحا للعظمة
حجرا . . حجرا
حتى ارتفعت في أرض بلادي تشمخ في آفاق المجد
وثارت لزوجي
وعاقبت أخي
من أجل جريمته الشنعاء
يا لسعادة قلبي
وا أسفي
ما كنت لأعرف هذا الحظ العاثر لو لم ترسل تلك المدينة سفنا حربية،
ولو لم تأت من فريجيا سفن ترسو في شاطئنا
صمتت ديدو
لثمت شفتانا سطح فراش العشق
صمتت لحظات، ثم انتفضت تبكي صارخة:
«هل تقبض روعي دون أن أثار؟ ولم لا؟
ألا فليغلني النوم
وليكن هذا نصيبي إلا . . ما أرضاني به

ألا ما أحلى الظلمة تغمرني بأطيافها
وَلَيْبُضْ ذاك الطروادي القاسي
وليطفُ فوق الموج وليمتع عينه
بلهب النار يغذيها هذا الموقد
وليحمل في طبات رداة بُشْرَيْن: بشري موتي وبشري هلاكي
الملكة سقطت
بعد هدير الكلمات
هامدة . . لا حركة . . لا همسة
سقطت ودماؤها تغمر نصل السيف
وذراعها في استرخاء فاتر
يا لجواربها وهن يتطلعن إليها مذعورات، يا رب الكون
الصرخات تدوي في أنحاء القصر
في أرجاء البلد تهز الجدران
ساد الذعر
ثم تلاء همود
الحزن كتيب
الناس يثنون
وعويل نساء وبكاؤها يموج من الأفق
يحمل إيقاع جنازة، وكان غزاة قد دهموا قرطاجة
أو قد دهموا (مدينة صور)
أو أن النيران قد التهمت دور النامس وانتشرت تلتهم معابد آلهة
الأوليمبوس
ريسترسل فرجيل في إنشاد هذه الملحمة الرائعة ملحمة الحب والعشق

والتضحية. . ومعك عزيزي القارئ تقرأ هذه الاسطورة الرائعة نثرا بعد أن تمتعنا بها شعرا.

◀ ديدو

تقدمت ديدو وسط مجموعة كبيرة من الحسانوات. . ولكنها كانت تفوقهن جمالا. . خاصة أنها تشبه تماما إلهة الصيد، فكانت أجمل النساء كديانا. . إلهة الصيد. وكانت تدبر الرقص على ضفاف أورو طاس أو فوق هضاب ستيوس، يتبعها ألف من حوريات الجبال. وقد ألقت على كتفها جلدا، وعلت الجميع قائمة، فكان منظرها داعيا لسرور أمها لاطونة، وهي تنظر إليها بسكون. كان لديدو جمالها، ولها منظرها وهي تتخلل بلباء وشمم في الوسط، منهمكة في أعمال مملكتها. ثم جلست على عرشها عند باب الهيكل، ووقف من حولها من الرجال المسلحين. وقد وزعت العمل في المدينة بالتساوي، أو قسمته بينهم حسب ما تريد.

وفجأة سمع أنياس صخباً، ورأى جماعة من الرجال يدخلون المكان مسرعين، وبينهم اثئوس وسرجستوس وكلثوم وغيرهم من رجال طروادة، الذين فرقهم عنه الزوايح، فأقمنه وزيهن سرورا، ولكنه لم يكن بدون وجل وخشية. وعلى شدة شوقه للهروج اليهم وإمسакهم بيديه، فقد تمهل منتظرا أن يسمعهم يقصون خبر رحيلهم وأين تركوا سفنهم، وإلى أين يقصدون.

قال الينوس، وقد أعطي حق الكلام: «أيها الملكة التي منحها جوبيتر الإذن في بناء مدينة جديدة في هذه الأرض، اننا نحن رجال طروادة، الذين حملتهم الرياح فوق الكثير من البحار، نضرع اليك أن تنقذي سفننا من النار، وأن تحمي شعبنا الذي يخدم الأرباب. فإنا، حقا، لم نقدم لتدمير مساكن هذه الأرض، أو لنحمل سفننا الأسلاب. والحقيقة إن الذين يلاقون من الآلام ما لقينا، لا يفكرون في أعمال كهذه. إن هنالك أرضا يدعوها الاغريق هسبريا، وتدعى من قِبل أهلها ايطاليا باسم زعيمهم، وهي

نجم
٢١

أرض قديمة جارة الأسلحة، خصبة الغلال. وإلى هنالك كان إبحارنا عندما ثارت العاصفة، فتشتت سفننا، ولم ينج منها إلا القليل. وهل هنالك شعب تبلغ به الهمجية أن يرد عن شاطئه رجال سفن محطمة، وأن يصب نحوهم سلاحه، محرما عليهم النزول؟ ولكن إذا كنت لا تأبهين بالناس، فحاذري الأرباب الذين لا ينسون فاعلي الخير، ولا أولئك الذين يخطئون. وقد كان لنا ملك اسمه أنياس، لم يكن بين الرجال من يفوقه في طاعة الأرباب وخدمة الناس، ولا من أعظم منه في الحرب، ولو كان حيا حقا لما خشيتنا أمرا، لأنك لم تكوني لتندمي على مد العون إلينا. ولنا إلى ذلك غيره من الصحاب مثل أستيس الصقلي، فتكرمي إذن بمنحنا مأوى لسفنتنا يحميها من الهواء، ويجذوع جديدة من أشجار الغابات نزودها بها، ونصنع المجاذيف نهيتا للعمل، حتى إذا ما وجدنا ملكنا وصحبنا، فقد تتمكن من الوصول إلى أرض إيطاليا. أما إذا ما أدركته الوفاة، ولم يعثر لابنه أسكانيوس على أثر، فإن هنالك سكنا مهيا لنا في صقلية عند صديقنا أستيس».

فأجاب ديدو، وقد أطرقت بعينيها إلى الأرض قائلة: «لا تخشوا يا رجال طروادة أمرا، وإذا خيل اليكم أن في معاملتنا لكم شيئا من الخشونة، فاصفحوا عنا لأننا لم نقم بهذه الأرض إلا حديثا، ولذا وجبت علينا الحراسة ومراقبة شواطئنا. أما أعمال رجال طروادة في فنون القتال فمن الذي يجهلها؟ ولا يذهبن بك الظن إلى أننا هنا في ليبيا فاترو القلوب، أو أن بعدنا القضي عن العالم جعلنا على جهل بهذه الأمور، سواء أرغبت في الإبحار إلى إيطاليا أم فضلت الرجوع إلى صقلية عند الملك أستيس، فاعلم أنني مقدمة لك كل عون ومانحتك كل حماية. أما إذا شئت الإقامة في أرضنا هذه، فإن هذه المدينة التي أبنتها هي مدينتكم، ولن أفرق بين طروادي وصورى. ولقد وددت لو أن ملككم كان هنا! ولا ريب في أنني سارسل في البحث عنه في كل أنحاء ليبيا، فلعله تاه في إحدى الغابات أو في مدينة غريبة من هذه الأرض».

ولما سمع انياس وأخات ذلك نالهما القرح، وودا لو ظهرا من بين الضباب، وقال أخات: «ماذا ترى؟ ها هم صبحك من الناجين، وقد أنقذ من رأينا الأمواج تبتلعهم بأمر أعيننا، وكل الأمور تجري حسب قول أمك».

وتشقق عنهما الضباب وهما يتكلمان، وتقدم انياس رائعا بهي المنظر. وتقدم بوجهه وصدرة، وهو أشبه بإله، فقد منحته أمه شعرا جميلا، وأحاطته بنور الفتوة الأرجواني من حوله، كما يحيط الصانع الماهر تحفة جميلة، أو كما يحيط الفضة أو مرمر فيروس بالذهب، ثم كلم الملكة قائلا: «ها أنا ذا انياس الطرودي الذي عنه تبحثين، ولما أكد أنجو من مياه البحر. أما أنت أيتها الملكة، فإن ما رأيناه منك من الرحمة لآلام طروادة التي لا توصف، ومن طلبك إلينا مشاركتك في بلدك ووطنك، ونحن قوم مشرودون مساكين، لا نملك شيئا يجعلنا نضيق إلى الأرباب مكافأتك بما أنت أهله. وإن اسمك ومجدك لباقيان ما بقيت الأنهار تجري نحو البحار، وما بقيت الظلال تقع في تجاويف الهضاب، وسأذكرها في أي أرض ترسلين إليها مشيئة الأرباب».

ثم أعطى يده اليمنى إلى أليوس، ويده اليسرى إلى سرغوتوس مرحبا بهما والسروو يملأ قلبه.

ونظرت إليه ديدو وقد لزمت الصمت مدة لسماعها هذا، ثم تكلمت قائلة: «أي طالع سوء هذا الذي جلب لك كل هذا العذاب؟ أي قوة تلك التي دفعتك إلى هذه الشرايط المفقرة؟ ولا أزال أذكر أياما مضت، حينما قدم صيدا شخص يدعى طففير، وقد طلب العون من ميلوس لعله يجد له ملكا، بعد أن أقضي عن وطنه. وحدث أن أبا ميلوس كان قد منح قبرص حديثا في ذلك الحين. وقد عرفت قصة طروادة، منذ ذلك اليوم كما عرفت اسمك وأسماء زعماء الإغريق. وأذكر أن طففير كان يتكلم عن رجال طروادة بالإجلال والإكبار ذاكرا أنه هو ذاته قد انحدر من الأرومة الطففيرية القديمة. فتعال الآن إذن إلى قصري، فأنا أيضاً قد تهت مثلك طويلا حتى

وصلت إلى هذه الأرض، وتألمت طويلا، فتعلمت كيف تكون نجدة المتألمين».

وقادت انياس إلى قصرها، وأرسلت إلى رجاله الذين في السفن مقدارا كبيرا من المؤن والطعام والشراب. وفي القصر أعدت مأدبة عظيمة، فكانت هنالك الحشايا المكسوة بالتطريز الأرجواني، والآنية الفضية التي لا عداد لها، والكؤوس الذهبية التي نقشت عليها أعمال الرجال العظيمة في سالف الأيام.

وأرسل انياس أخات في هذه الأثناء بسرعة إلى السفن، لكي يحضر اسكانيوس للمأدبة. وطلب إليه أن يجلب معه بعض الهدايا التي أنقذوها من أنقاض طروادة، ومنها وشاح أثقل بتواشيع ذهبية، وثقاب طرزت حواشيه بأزهار الكنكر الصفراء، وقد حملته معها هيلين الجميلة عند هروبها من بيتها، وكانت أمها ليديا قد أهدته لها، وكذلك صولجان كانت تحمله اليون كبرى بنات فريام، وعقد من اللؤلؤ، وتاج مزدوج من الجواهر والذهب.

ولكن قلب فينوس قد اضطرب على ابنها، خشية أن يغدر به رجال صور، كما هي عادتهم، وخشية أن تذكر جينو حقدًا عليه.

وبعد أن قلبت الرأي في نفسها، دعت إليها الصبي المجنح، وهو ابنها الحب، وقالت: «إنك يا ولدي كل ما أملك من قوة، فأنت الهازئ بصواعق جوبيتر، وأنت تعلم أن جينو حاققة على أخيك انياس أشد الحق، وهي التي سببت له كل هذا المظاف في نواحي الأرض، إن ديدو قد أخذته اليوم إلى قصرها، وكلمته بجميل القول، ولكنني أخاف عليه عواقب الأمور الخوف كله. فأصغ لما اقترحه عليك. لقد أرسل أخوك الآن يطلب الغلام اسكانيوس، ليأتي إلى القصر ويجلب معه الهدايا التي أنقذوها من خراب طروادة. وسألني عليه الآن نوما عميقا، وأخفيه في سيلدرا أو أيدا ليوم

واحد، أما انت فاتخذ شكله لليلة واحدة فقط. وحينما تأخذك الملكة ديدو في المأدبة إلى حضنها أنفخ من نارك في قلبها خفية...».

وهكذا فعل إله الحب ما أمرته به أمه، فخلع عنه جناحيه، واتخذ شكل اسكانيوس. أما هذا فقد ألقت عليه فينوس نوما عميقا، وحملته إلى غابات أيدا ليوم واحد، ولفته بالأزهار العطرية الشذا. وذهب الحب عوضا عنه إلى الملكة يحمل الهدايا. وقاموا إلى المائدة عند قدميه، وكانت تتوسطها الملكة ومن فوقها مظلة، واثقا انياس ورجال طروادة على وسادات أرجوانية، وقد أحضر لهم الخادم الماء، ووضعوا الخبز في سلال، وقدموا لهم المناديل، كما وقفت على خدمتهم خمسون جارية، يملأن ما ينقص من طعام، ويؤججن النيران، وهناك مائة حسناء مع مائة غلام يثقلون الموائد بالصحاف وكؤوس الشراب.

ودُعي إلى الوليمة الكثيرون من رجال صور، وقد دهشوا لهدايا انياس كما دهشوا لرؤية اسكانيوس الزائف. أما الملكة فلم ترتو من النظر اليه، ولم تكن تعلم ماذا يهيا لها من متاعب في الزمن القريب. أما هو فقد قبل الأب الذي لم يكن أباه، وتعلق بعنقه، ثم قدم نفسه إلى الملكة ديدو، التي كانت لا تنفك تتبعه بعينيه بعد ذاك. وقد تحمله إلى حضنها أحيانا. وقد فعل هو ما أراد، فجعلها تنسى سيخوس الميت، وتضمر في قلبها حبا جديداً.

ثم طلبت الملكة إناء من الذهب رصع بكثير من الجواهر، وقد شرب منه بيلوس، وكل الملوك بعد بيلوس، وبعدما ملأته بالنبيذ قالت: «جويوتر! يا مَنْ تدعى بإله الضيف والمضيف، اجعل هذا اليوم يوم سرور لرجال طروادة ورجال صور، لكي يذكره أبناؤنا من بعدنا إلى الأبد. وانت يا باخوس، يا مانع السرور كن شاهداً، وأشهد به يا جينو العطوف».

ولما مسّ النبيذ شفيتها، سلمت الكأس الكبيرة إلى الأمير بيتياس، الذي جرع منها جرعة كبيرة، وأخذها غيره من الأمراء من بعده. وغنى أيوباس

المنشد على قيثارة، وقد علمه أطلس ذاته الغناء، فأنشد عن القمر ومسيره في مستقره، وعن الشمس وكيف يظلم نورها. وغنى عن الرجال ووحوش القلابة، حيثما أنت، وعن السماكين النيرين، وعن الدب الأكبر، والدب الأصغر، وتوابع النجوم، وعن شمس الشتاء وتعجلها الغطس في الأوقيانوس، وعن ليالي الشتاء ويطشها الويثد.

وقد تحدثت الملكة كثيرا عن قصة طروادة وعن فريام، وهكتور، وهي تسأل الاسئلة الكثيرة عن أسلحة أجاممنون، وجياذ ذيوميذ وعن أخيل وعظمته. ثم قالت لانياس: «قص علينا الآن قصة سقوط طروادة، وتيهك فوق الأرض والبحار».

فأجاب انياس: «لقد طلبت إليّ أينها الملكة أن أجدد آلاماً لا توصف. وإذا شئت مع ذلك أن تسمعي هذه الأمور فأصغي إليّ». ثم راح يقص عليها كل ما مر به حتى ذلك اليوم الذي توفي فيه أبوه أنخيس.

وراحت الملكة تصغي اليه في صمت وهي تنظر اليه في إعجاب وقد تأثرت كثيرا بالقصة، كما أعجبت براويها غاية الإعجاب، ولم تكذ تقدر على النوم لكثرة تفكيرها به. وكلمت أختها «أنا» في اليوم التالي قائلة: «لقد أزعجتني أحلام سوء هذه الليلة، وأقلقت فؤادي وأي رجل يكون هذا الغريب الذي قدم شواطئنا! أي طلعة نبيلة طلعت! وأي جرأة في الحرب جرأته! لا ريب عندي في أنه أحد أبناء الإلهة! أي ثراء كان ثراؤه وأي حروب هذه التي حدثنا عنها! ولو لم أكن قد صممت تصميماً قاطعاً على أن لا أقرن نفسي إلى نير الزواج مرة أخرى، لكان هو الرجل الذي أذعن له، وأقول لك الحقيقة يا أخته، إنه الرجل الوحيد الذي حرك قلبي منذ قتل سيخوس بيد أخيه. ولكن لتبتلني الأرض، بل ليضربني الخالق الجبار بصواعقه، قبل أن أنحط إلى سفالة كهذه، فإن زوج أيام شبابي حمل معه غرامي واحتفظ به في لحدّه».

قالت هذا، وهي تبكي بكاء مرّاً، فأجابتها أختها: «لَمْ تضعين شبابك

في الآلام دون زوج أو ولد؟ وهل تظنين أن في اللحمد من يذكر أريهم بهذه الأمور؟ ولم يزل أحد من الخطاب رضاك لا في صور ولا هنا، فهل تناضلين منى قلبك حبا به؟ أذكرني شراسة الأفوام الذين تساكين، وأذكرني أخاك في صور وسوء معاملته نحوك. ولا ريب في أن قدوم سفن طروادة إلينا لم يكن إلا بمشيئته الأرياب، وإرادة جينو على الأخص. وهذه المدينة التي بنيت، أي عظمة ستبلغ إذا ما ارتبطت بأواصر وثيقة كهذه! وأي مجد عظيم ستاله قرطجنة، إذا ما دعمتها قوة طروادة! ولا تعدي الصلاة للأرياب وتقديم الضحايا، أما الآن، وقد مضى زمن الإبحار، فليكن لك العذر على استبقاء هؤلاء الغريباء قليلا».

وهكذا روت «أنا» عن نفس أختها، وشددت عزمها. وبدأت الاثنتان بتقديم الضحايا للأرياب، ولجينو على الأخص، لأنها أكثرهم اهتماما برابطة الزواج، ودأبتا على فحص أمعاء الحيوانات الذبيحة، تبغيان بذلك معرفة ما سيتبع من أحداث. وأصبحت ديدو من ذلك الحين تصاحب إنياس إلى سور المدينة الذي تبنيه. وكثيرا ما كانت تبدأ حديثها، ثم تتوقف عنه، والكلمات لا تزال في منتصفها، بل أتى عليها زمن كانت تجلس فيه إلى مائدتها وتصغي إلى قصة طروادة تقص وتعاد، حتى كان النوم يأخذ الحضور جميعا، وهي لا تمل الإصغاء. وكان يخيل إليها، إذا ما بُدئ إنياس عن ناظرها، بأنها تراه وتستمع إليه. وقد تعلق اسكانيوس حبا بأبيه، وهي تخادع في ذلك قلبها. ولكن العمل في المدينة كان يتأخر في هذه الأثناء، فلم تعد تتصاعد الأبراج في علوها ولا يتمرس الشباب في حمل السلاح.

ولما رأت جينو ما آل إليه حال الملكة كلمت فينوس قائلة: «هل رضيت وابتك بهذا النصر الذي نلتاه معا بالتغلب على امرأة وحيدة؟ إني أعلم جيدا خوفك من أن قرطجنة قد تمس هذا الذي تخصينه بحبك بأي سوء. ولكن لِمَ يجب أن تقوم الحرب بيننا؟ لقد كان لك ما تشائين، فلنعقد العهد

:
1

ما بيننا على أن تخضع ديدو لزوج فريجيانى، وتحضر رجال صور صداقا لها».

ولكن فينوس كانت تعلم أنها ترمي من كلامها إلى مقصد سوء، يتهيب برجال طروادة إلى عدم تملكهم على إيطاليا. مع ذلك فقد جعلت لسانها يتصنع الخطابة، فقالت: «من هو الذي لا يفضل السلم معك على الحرب؟ ولكني أشك برضاء جوييت عن هذا الأمر. وعلم هذا من شأنك، فأنت زوجة، وحيثما توجهين القيادة أتبعك».

وهكذا تشاورت الاثنتان ونظمتا الأمور على هذا المنوال. فقد هُيم موكب عظيم للصيد في اليوم التالي، إذ لم تكد تطل شمس على الأرض حتى كان شباب المدينة مجتمعاً متزوداً بالشياك، ورماح الصيد وكلاب الأثر، ووقف أمراء قرطجنة ينتظرون الملكة عند باب القصر، حيث قام جوادها يلوك لجامه، وعليه سرج من الأرجوان والذهب. وما هو إلا قليل حتى أقبلت يتبعها الكثيرون، وقد اتشحت بمعطف صيداني، رقت حواشيه بمختلف الألوان. وكانت كتانتها من الذهب، ومن الذهب كانت عقدة شعرها، ومنه مشبك معطفها. وكذلك قدم أنياس يزهو بجمال رافع، وهو أشبه ما يكون بأفلون حينما ترك ليديا، ومجرى كزانتوس قادما إلى دلوس، وقد طوق شعره بإكليل من ورق الغار، وطوق من الذهب. ولما بلغ الصيادون الهضاب، وجدوا عددا عظيماً من الماعز والأوعال. فجعلوا يطارودنها، وكان اسكانيوس أسبق الصحاب إلى الصيد، وأكثرهم هزوا به، فقد كان يتمنى لقاء خنزير بري أو أسد يخرج إليه من بين التلال ليكون فريسه له.

ثم هبت عاصفة عظيمة، قصف فيها الرعد، وسقط البرد، فظفر الصيادون يبحثون عن أمكنة يلوذون بها. وبقي إنياس والملكة منفردين بعيداً عن الصحاب، فلجأ إلى كهف واحد، وهناك قطعاً ما بينهما عهداً. ولم تجعل الملكة بعد ذلك من حبا سراً، بل أصبحت تدعو إنياس زوجها.

وسرت الإشاعة حالا في مدن ليبيا . والإشاعة كما يقال هي أصغر بنات الأرض ، وهي مخلوقة عجيبة تتحرك بسرعة عظيمة ، لها أرجل وأجنحة مكسوة بالريش ، وتحت كل ريشة تقوم عين ولسان وفم وأذن . تطوي الليل طائفة ، مجلسها فوق قمة منزل أو برج سامق ، أو أنها تنشر الرعب على المدن الجبارة . وهي تحب الزائف محبتها للصادق النقي . وقد سارت الآن تبث أنباءها في ليبيا ، وتقص قصة قدوم أنياس الطروادي زوج ديدو منه . وكيف يعيشان في دعة وعدم مبالاة غير أبهين لما دعيأ له من أعمال .

وكان أول من قصدهم هو الأمير يارباس الذي كان قد تقدم إلى الزواج من ديدو . وقد بلغ منه السخط مبلغا عظيما ، حينما سمع النيا ، فذهب إلى هيكل جوبيتر يعرض أمام الإله ما لحقه من ضيم ، وكيف أنه قدم لديدو هذه مكانا من سواحله ، راغبا في الزواج منها ، وكيف فضلت عليه رجلا غريبا عن فريجيا ، وما هو إلا فارس آخر يرتدي من الملابس والحلى ما يليق بامرأة أكثر منه برجل .

ورأى جوبيتر أن ما يقوله كان حقًا ، فقال له لرسوله مركوري : « اذهب وخطب أنياس بهاته الكلمات : إن ملك الأرباب والناس يبلغك هذا القول : أهذا ما وعدت به أمك وهي تنفذك من رماح الأغرقي مرتين؟ وهل أنت ذاك الذي سيحكم إيطاليا ورجالها المحاربين الأشداء؟ وتبسط ملكك إلى آخر المعمورة؟ وإذا نسيت كل هذا فهل تمنح ابنك قلاع روما؟ وما مقامك هنا؟ ولم لا تتجه نحو إيطاليا؟ فابرح الآن ولا تمهل » .

فأوثق مركوري خفيه المجنحين إلى قدميه ، وأخذ صولجانه الذي يسير به أرواح الموتى ، وسار توا إلى جبل الأطلس الذي يحمل السماء على رأسه ، فالضباب يلازم أعلاه والثلج يغطي كتفيه ، أما لحيته فقد غطاها الجليد . وهنالك وقف مركوري هنيهة ثم انقضّ كما ينقض طير يطلب فريسته في البحر ، حتى أتى أنياس ، حيث أقام يزين مقيض سيفه حجر من الشهب ، ويلقي على كتفيه عباءة وُشّيت بالذهب ، فكلمه قائلا : « أتبني

قرطجنة وتنسى عملك؟ إن الخالق الجبار يبلغك هذا : ما هو قصدك؟ وما تمهلك هنا؟ وإذا كنت لا تابه لنفسك ففكر بولدك ، وأن الأقدار متحفة بإيطاليا وروما » .

قال هذا ولم يعد أنياس يراه ، فوقف مكانه وقد صعق رعبا وريبة . وود لو يطيع الصوت ويفعل ما تريده الأرباب . ولكن كيف يبلغ الملكة قصده؟ ثم خيل إليه أن من الخير أن يدعو إليه بعض الزعماء مثل مئوس وسرجاستوس واثوس ، وطلب اليهم تجهيز السفن خفية ، وأن يعملوا على جمع القوم دون إظهار السبب ، في حين يقرب هو الوقت المناسب ليخطب الملكة ويسيطر لها الأمر .

ولكن ديدو لم تخدع ، لأن للحب نظرة ثابتة . وقد أبلغتها الشائعة أيضا بأنهم يعدون السفن للإبحار بها . فطاردت تقطع المدينة كما يطير ليلا فوق جبل سيزادون من يصيبه مس من باخوس ، حتى أتت أنياس فخطبته قائلة : « أظننت أنك تخفي جريمتك ، وأنتك ستبرح المكان خلصة؟ إلا يهلك أمر تلك التي ستركها للموت؟ أولا تخشى عواصف الشتاء التي يضطرب بها البحر؟ وإذا كان لا يزال هنالك للتوبة مجال ، فتب وارجع عن قصدك ، بحق كل ما فعلته من أجلك ، وما قدمته لك . فلقد تحملت في سبيلك سخط أمراء ليبيا وغضب شعيتي ، وإذا كنت ستركني فما معنى العيش لي؟ هل أعيش لكي يهدم أخي مديتي ، أو يحملني يارباس أسيره؟ ولو كان لي على الأمل أنياس صغير ، يلعب في أحشائي لما شعرت أنني مهجورة بهذا المقدار » .

ولكن أنياس خشى كلمات جوبيتر ، فنظر إليها بعين لا تلين ، حتى تكلم أخيرا ، فقال : « إنني لا أنكر أيها الملكة ما قدمته لي من خير ، ولن أنسى ديدو ما حببت ، ولم أقصد إلى الهرب بالخفاء ، على أنني لم أعد بسكنى هذا المكان . ولو كان لي أن أختار ، وأن أتبع رغباتي لأعدت بناء طروادة حيشما كانت قائمة . ولكن أمر الأرباب أثنائي بوجوب السعي إلى إيطاليا ،

ولك أنت قرطجنة، فلمَ تحقدين علينا من أجل إيطاليا؟ أما تمهلنا بالسفر فيكف أقدر عليه وأنا أرى أنخيس أبي يأتيني، وينذرني في المنام ليلة بعد ليلة، عدا عن أن جوبيتر قد بعث إليّ رسوله - وقد سمعته بأذني هاتين - وهو يأمري بالرحيل».

فتقدمت ديدو نحوه، وقد تملكها غضب شديد، ونظرت إليه شزراً، وهي تقول: «لا ريب في أن أمك لم تكن ربة، ولا انحدرت من نسل دردنوس، بل أنسلتك صخور القوقاز، وأرضعتك نمره هرقانية. ولمَ أخادع وأراي؟ هل يلد لك أن ترى دموعي أذرفها؟ وهل ترثي لحبي أبذه؟ لا بل إن الأرباب نفسها لتتأك عليّ؟ فقد اخترت لنفسي هذا الرجل، بعد أن تحطمت به سفينته، وأشرف على الهلاك، وقد أعدت سفنه وأصحابه، وأنقذتهم من الدمار. وها هو رسول جوبيتر لا ريب فيه، يحمل إليّ من الأرباب أوامر مريعة. أما أنت فلن أحاول الاحتفاظ بك، فاذهب وابحث عن إيطاليا هذه عبر البحر، وإذا كان هنالك ثار في السماء، فستدفع العقاب على ما قدمت يدالك من سوء، فهلك على أحد الصخور في أغوار البحر، وعيثاً مستاديديدو عند ذاك، وسيلاحقك ظلي حيثما كنت، ويتملكني السرور هنا حيث أقيم عند سماعي لأخبار هلاكك».

وعادت أدراجها مسرعة نحو قصرها. ولكنها فقدت وعيها، فحملتها وصيفاتها إلى مخدعها وأضعفنها في فراشها.

وقد اضطرب قلب أنياس أيما اضطراب، وود لو قدر على تعزية الملكة، ولكنه مع ذلك خضع للكلمة السماوية، وبرح المكان إلى سفنه. وعكف رجال طروادة على إعداد أنفسهم للسفر. وكما يحتشد النمل ويكدح في سلب كومة كبيرة من الحبّ يدخرها في مساكنه استعداداً للشتاء، فيؤلف خطاً أسود طويلاً يتحرك في الحقل، بعضه يحمل الحبّ الكبير، والبعض الآخر يعمل على تأنيب المتوانين، هكذا احتشد البطرواديون في مختلف السبل يجدون في عملهم مثابرين.

ولما رأت ديدو ذلك، دعت أختها «أنا» إليها، وقالت: «أترين كيف يسرعون إلى عملهم عند الشاطئ. لقد أصبحوا على استعداد تام للإبحار ينتظرون اتجاه الريح. وقد زين البحارون السفن بأكاليل من الزهر، كأنهم مبحرون، فاذهي الآن - أنت التي كان المخادع يثق بك على الدوام، وأنت التي تعلمين أفضل السبل لإلانتة - إذهبي وتوسلي إليه، فإني لم أسئ إليه، ولا أسأت إلى قومه، فليمنحني إذن هذه المنحة فقط، وهي أن ينتظر قليلاً، ويختار لسفره فرصة أكثر ملاءمة من هذه. ولا أطلب إليه أن يتنازل عن مقصده. بل أن يهني وقتاً أتمالك به روعي، وأعود فيه احتمال هذا العذاب».

فأصغت «أنا» إلى أختها، وحملت الرسالة إلى أنياس، ولم تغد شيئاً، لأن الأرباب أغلقت أذنيه دون سماعها. وكما تصمد شجرة السنديان أمام الريح الشمالية التي تحاول اقتلاعها - وقد تناثرت الأوراق من حولها، ولكنها ما تزال راسخة تمتد جذورها إلى أعماق الأرض، وترتفع فروعها إلى السماء - هكذا صمد أنياس، ولم تحوله عن قصده الدموع الغزيرة التي سفحتها.

وقد ملت ديدو حياتها، فقد كان الماء القراح يصبح أسود إذا ما قامت لتقديم القرابين، كما كان النبيذ يتحول إلى دماء، وكانت تسمع من الحزار، الذي أقامته لزوجها في وسط القصر، صوتاً يناديها كما كانت البرم تصرخ من أعالي المنزل. وكانت ترى أنياس الجائر في أحلامها وكأنه يسوقها أمامه، أو يخيل إليها أنها تقطع المسافات الطويلة وحيدة لا رفيق لها ولا أنيس، وهي تبحث عن قومها في صحراء خاوية. وقد خاطبت أختها وهي تخفي ما في قلبها قائلة: «لقد اهتديت إلى وسيلة ترجعه إليّ يا أختاه أو تحررني من قيده. فإن هنالك عند شاطئ البحر العظيم، حيث يسكن الأثيوبيون، كاهنة تحرس هكيل بنات هسفوروس، وتطعمم التانين الحافظة للثقافات الذهبية. وهي قادرة بفعل سحرها على تفريغ الهموم عن القلب،

أو إيثاق رباطه . كما أن بقدرتها إيقاف مجاري الأنهار وتغيير مساري النجوم ، ودعوة أرواح الموتى . فاعمدي الآن إذن - لأن هذه أوامر الكاهنة - إلى تكديس ركام في الفناء المكشوف من الدار ، وضعي عليه السيف الذي تركه معلقا في غرفتنا ، والثياب التي كان يرتديها ، والمكأ الذي كان يسطجع عليه ، وكل ما كان يخصه ، لكي تباد جميعها معاً .

ولما هيئ جميع ذلك - وقد كانت «أنا» تجهل مقصد أختها - ووضعت فوق الركام صورة أنياس ، وقفت الكاهنة محلولة الشعر ، ودعت الأرباب ساكني العالم السفلي ، وهي ترش الركام بالمياه ، قائلة : إنه جلب من بحيرة افرنوس ، وتثر الأعشاب الضارة قائلة : إنها قطعت عندما نام القمر بمنجل من البرونز . وتركت ديدو إحدى قدميها حافية ، وفكت ثيابها ، وألقت بالطعام إلى النار ، ثم دعت وراحت تتمم بالفاظ وكلمات سحرية .

وكان انياس في هذه الأثناء يرقد عند مؤخر سفينة ، فظهر له الإله مركوري في الحلم ، وكان في الحالة التي رآه عليها عند قدومه إليه يحمل أوامر جوبيتر . فتكلم مركوري قائلاً : «هل تقدر على النوم يا ابن فينوس؟ ألا ترى ما يحيق بك من الهلاك ، إن الملكة تقصد بك شراً ، وإذا أقمت متمهلاً إلى الصباح ، فسرى أن الشاطئ قد ملأ بأولئك الذين يتمنون لك الأذى . فاهرب إذن ، ولا تأخر ، لأن المرأة كل يوم في شأن . فاستيقظ انياس من نومه فزعاً ، ونادى صبحه قائلاً : «قوموا واجلسوا إلى مقاعدكم ، وأرخوا الشراع ، فإن الذي يطلب إلينا الهرب إليه» . وقطع حبل المرساة بسيفه ، وهو يتكلم ، وأسرع الجميع يتبعونه ، ويمخرون البحر معجلين .

وأشرقت شمس الصباح ، حينما نظرت الملكة ديدو من برج المراقبة ، فرأت السفن تسير في البحر . فدقت صدرها ، وقطعت شعرها ، وصاحت قائلة : «أهكذا يسخر بنا هذا الغريب؟ فلنسرع وراءه ولنأت بالسفن من أحواضها ، ولنهني السيف والنار . فإن هذا الرجل هو ذاته الذي حمل أباه المعجوز على كتفيه! فلم لَمْ أمزه قطعاً وأذبح صبحه بالسيف ، وأقدم

اسكانيوس الصغير له طعاماً؟ وما يهمني لو هلكت حينذاك ، إنني لماتة اليوم . فيا أيتها الشمس ، يا من ترين الأرض جميعها ، ويا جينو ، يا حافظة المواثيق الزوجية ، ويا هيكات يا ملكة الموتى ، وأنتن يا ربات الانتقام اللواتي تثارن من فاعلي الشر ، أصغين إليّ . وإذا كان أمر الأرباب بأن يبلغ تلك الأرض ، فامتحن أن يلقي شتى أنواع العذاب من أعدائه ، وأن يشتت من بلده ، فيطلب العون من الغرباء ، وأن يرى قومه يذبحون بالحسام دون شفقة ، وحينما يستب له الأمن بأسوأ الظروف ، فليحرم من نعيم الملك طويلاً ، وليمت قبل يومه ، فيبقي ملقى في السهل من غير دفن . وأنتم يا رجال طروادة! اكرهوا أولاده وقومه إلى الأبد ، وليمح الحب والسلام بينكم وبينهم ، وليقم من قبري متقم يسطهد نسل دردنوس بالنار والسيف ، لكي تبقى الحرب بيني وبينه مستعرة إلى الأبد» .

ثم خاطبت برسة العجوز التي حضنت زوجها سيخوس قائلة : «أطلي إلى أختي أن تغتسل بالماء وتحضر معها الماشية للذبح ، وضعي إكليلاً حول رأسك ، فإن نيتي متجهة إلى إنهاء تقديم هذا القربان الذي بدأته لإحراق صورة رجل طروادة» .

ولما أسرعت العجوز لتلبية ما أمرت به ، ركضت الملكة ديدو ، إلى الفناء ، حيث أقيم الركام للحرق فصعدته ، وسلّت سيف انياس من غمده ورمت نفسها على الفراش قائلة : «إني أسلم الآن روحي ، وقد أنهيت عملي ، فبنيت مدينة جبارة ، وانتقمت لزوجي من قاتله ، ولو لم تأت سفن الطرواديين إلينا ، لسعدت بل لمت لي السعادة» . ثم ثقلت الفراش ، وأجهشت قائلة : «هل أموت من غير أن يثار لي؟ ومع ذلك فلاتم ، وسيشاهد رجل طروادة هذه النار من البحر الذي يمحره فيحمل معه شؤم الموت» .

ورأتها الوصيفات ، ويا لهول ما رأين! لقد ألقت بنفسها على السيف ، واصطبغت يداها بالدماء ، وتجاوب الصراخ في أنحاء القصر ، وكان

سبيل

وصل انياس إلى إيطاليا بالقرب من كومو، التي كانت موطن سبيل، وحول الرجال مقدم سفنهم نحو البحر، وأوتقوها بالمراسي، ثم قفزوا إلى الشاطئ، وأوقدوا النار، وراح بعضهم يخطب من الغابة، والبعض الآخر يجلب الماء من الجدول، ولكن انياس ذهب إلى كهف سبيل العظيم، حيث أجاز لها أفلون الكشف عن أمور مقبلة ومعركة الغيب.

وكان الهيكل رائعا للناظرين، فإليه قدم ديدالوس حين هربه من مينوس ملك كريت، قدم طائرا في الهواء يتجه جنوبا على جناحين، وأقام في كومو. ثم كرس جناحيه تقدمةً للهيكل، وقد نقشت على الأحجار فوق الأبواب الداخلية قصة موت أندروغوز، واختيار رجال أتيكا السبعة ممن تصيهم القرعة من أولادهم، ليقدموا كضحية سنوية، وتصاعدت من البحر في الناحية الأخرى أرض كريت. وكان هنالك ما يشبه دهاليز اللابيرانث وطرقها الملتوية، ولكنهم لم يروا إيكاروس، لأن أباه حينما كان يريد أن ينقش بماء الذهب قصة موته، كانت يذاه تخذله، وقد عاود السعي مرتين، وخذله يذاه في المراتين. ولما أراد انياس أن يتابع النظر، خاطبته الكاهنة تقول: «لا تثريب في النظر إلى هذه الأمور، بل سارع إلى ذبح سبعة من ثيران القطيع، وسبعة خراف تختار حالا من بين الماشية».

ولما أتوا الكهف - وكان له مائة باب يخرج الصوت من كل منها - سمعوا سبيل تصرخ قائلة: «لقد حان الوقت يا إلهي، أيها الآلهة»، وقد تغير منظرها، وهي تتكلم، وحال لون وجهها، وانحل شعرها، وخفق صدرها، ثم ضخمت حتى فاقت قامات الرجال. وصرخت تقول: «هل تهمل الصلاة، هل تهملها يا إنياس الطروادي، أمهمل أنت فإن الأبواب لا تفتح

صراخا مريرا، يخيل معه أن الأعداء استولوا على قرطاجنة، أو صور القديمة، وأن الثيران تصاعدت فالثت مساكن الناس والأرياب. وسمعت أختها «أنا» هذا، فأسرعت في وسط الجمع تناديه باسمها وتقول: «أهذه كانت غايك يا أختاه! ألهذا كان الحسام والركام والثيران؟ ولم تميّتيحي لي الموت معك؟ لا ريب في أنك قد انتحرت يا أختاه، ونحرت معك أختك وقومك وبلدك. ولكن إلي أيتها الوصيفات بالماء لنغسل جراحها، ولعل هنالك شيء من الرقم تقدر على الإبقاء عليه».

ثم صعدت الركام، وأخذت أختها بين ذراعيها، وجربت أن تنجف دماءها بملابسها، وقد جاهدت ديدو ثلاثا لفتح عينيها، ولكنها عادت ثلاثا إلى إغمائها. وثلاثا إلى الوقوع في فراشها، وهي تنظر إلى النور بعينين دهشتين وتئن متبرمة بأنها لا تزال تراه.

ورأت جينو من أعالي السماء ما تعانيه ديدو من الألم الطويل، فأرأت بها ويعث إليها برسولتها إيريس، لتخرج هذه الروح التي تكافح للانطلاق. فإن الملكة قد رأت أنها لا تموت موتا طبيعيا ولا بيد إنسان ولكنها تموت قبل أوانها بوحى من جنونها. وعليه فقد هبطت إيريس بأجنتحتها الندية من السماء، وقد أحيطت بمختلف الألوان من نور الشمس، فوقفت عند رأسها، وقالت: «إنني أسلمك إلى الموت كما أمرت، وأحررك من جسدك». ثم قطعت الطوق فأسلمت الملكة ديدو الروح.

ورحلت ديدو إلى عالم الموتى

وأبهر انياس كما أمرته الآلهة

وقد ترك خلقه امرأة أحبه لدرجة أنها قتلت نفسها لأنها لا تستطيع فراقه.



إلا للمصلين». ولم تزد على ذلك شيئا. فطلق أنياس يدعو قائلا: «يا فويس، يا من كنت للطروادين شفيعا على الدوام. يا من وجهت سهم فارس ليصيب من أخيل العظيم مقتلا. لقد اتبعت أمرك، واجتزت الأرضين، وها أنا أخط رحالي على شاطئ إيطاليا، التي كانت وكأنها نفر أبدا من أمامي. فهب لنا بأن يكف النحس عن ملاحظتنا، وأنتم أيها الأرباب والربات الذين لم يضرهموا لطروادة حيا! أرأفوا بنا وارحمونا. أما أنت أيها الكاهنة فهاتي جوابك لأسمعه، ولكي أسعى مع بني قومي لتمجيدك إلى الأبد. وأسالك أن لا تكتبيه على ورق الأشجار كي لا تذروها الرياح، بل دعيني أسمعه بصوتك».

وبقيت الكاهنة تكافح الروح هتية، حتى تغلبت عليها وفتحت الأبواب، ثم تكلمت قائلة: «لقد نجوت من مهالك البحر، ولكن هنالك مهالك أدهى وأشد، تنتظرك على وجه الأرض. فإن رجال طروادة سيأتون مملكة لا فينيوم، فلا يخيفتك هذا، ولو كانوا يتمنون لو لم يقدموها. إني أرى معارك، وأرى نهر التبر يرغي بالدماء، وهنالك كسانثوس سوميمويس جليدان، وأخيل آخر وهو أيضا ابن إلهة. وستظل جيتو على كرها لکم. وستظل لاجئا تتوسل بالمعون إلى كثير من المدن. وستكون سبب كل هذه النكبات امرأة أيضا، فلا تستسلم، ولا تلتن، بل سر قدما متحليا بالجرأة أبدا، كلما لاحت لك الفرصة، ولن يدور بخلدك أن أول ما سيأتيك من النجدة سيكون من مدينة إغريقية».

ولما أنهت هذه الكلمات أجابها أنياس: «إن المشاق والمهالك لن تأخذني على غرة يا سيدتي، فقد فكرت في نفسي بكل هذه الأمور. ولكنني أطلب منك طلبا: فها هو باب مسكن الموتى، وكم أتمنى اجتيازه لعلني أظفر بزيارة أبي. فلقد حملت على كتفي لأنقذه من نيران طروادة، وتحمل معي من مشاق البر والبحر ما لا يقوى على احتماله رجل في مثل سته. وقد طلب إلي أن أسالك هذه المنحة. فارحمي الوالد والولد، وإنك لثائرة

على ذلك إذا شئت، أتم أرجع أورفوس امرأته من الموت، وهو لا يحمل إلا قيثارة؟ أتم يجتز فورلكس هذه السبيل مرارا، وقد اعتق أخاه من الموت؟ فإني أنا الآخر من نسل جوبيتر».

وعند ذلك تكلمت سيبيل قائلة: «إنه لمن السهل يا ابن انخيس أن تنحدر إلى الجحيم، فإن الباب مفتوح ليل نهار. ولكن الرجعة ومكافحة الهواء الأعلى فيها صعب جدا. ولم يفعل ذلك إلا القليل، وهم إما من نسل الأرباب، أو من الأعزاء لدى جوبيتر. وإذا شئت مع هذا أن تحاول ذلك فأصغ لي. في الغابة يختبئ فرع شجرة من الذهب مقدس لدى ملكة الجحيم. وليس لرجل أن يذهب إلى رحلته هذه، قبل أن يجتته لكي تأخذ الملكة هدية لها. وحينما يجتث الفرع، يبت دائما فرع مكانه، وإذا كان ذهابك يرضي الإلهة فإن الفرع سيلين ليديك. ولكن اعلم أن هنالك أحد رفاقك لا يزال مطروحا ميتا على الشاطئ. فعليك أولا أن تدفنه، ثم تقدم التضحية اللازمة ولكن خروفا أسود، وهكذا تقدر أن تقترب من مساكن الموتى».

ترك أنياس الكهف، ومعه اخات، ولشد ما تساءلا عن كون ذلك الميت من رفاقهما. ولما قدما الشاطئ وجدا ميزانوس، وقد طرح أرضا ويا للهول! إنه الرجل الذي ليس لبراعته في دعوة الرجال إلى القتال مثيل، إذا ما نفخ في الصور، وقد كان لهكطور رقيقا فيما سلف من الأيام، ثم صحب أنياس. أما الآن فقد نفخ في بوقه عند الشاطئ، وتحدى الأرباب لمباراته. فقبض عليه غول البحر، وأغرقه في الماء فلقى حتفه. فعمد أنياس ورفاقه إلى تهية دفنه، وراحوا يقطعون من الغاب أشجار البلوط والسنديان والكمثرى. ولما رأى أنياس شدة اتساع الغاب، قال: «فلتسمح الأرباب بأن يكشف فرع الذهب في هذه الغابة الفسيحة عن نفسه». وبينما هو في هذا القول، طارت من أمام وجهه حمامتان، واستقرتا على العشب، فعرف فيهما طيري أمه، وصرخ قائلا: «هيا أرشداني إلى الفرع الذهبي،

وأنت يا أماء هي لي عونك كما كنت تفعلين فيما مضى». فطارت الحمامتان، وما زالتا على قيد البصر منه وهو يتبعهما، ولكنهما لما بلغتا قم أفرنوس حطت كلتاهما على الشجرة، ويا لروعة ما هناك! لقد لمع الفرع الذهبي من بين الغصون وصفق للريح، فاقتطعه إنياس فرحا مسرورا، وحمله إلى مسكن سبيل.

وقام رجال طروادة بدفن ميزانوس في هذه الأثناء، واحتفلوا بذلك احتفالا عظيما عند الشاطئ، فبنوا ركاما من الحطب، وغسلوا الجثة، وطيبوها وأسجوها في الشمس، ومن فوقها الملابس التي كان يرتديها حيا. وعمد الآخرون وقد خولوا وجوههم إلى حمل المشاعل نحو الغابة، وهم يحرقون عليها البخور ويقدمون الزيوت. ولما تم الإحراق أحمدا بقاءها بالنبيذ. وجمع كورينوس العظام في قمقم من البرونز، وطهر القوم وهو يرشهم بالماء بواسطة غصن من شجر الزيتون.

ثم أقام إنياس هضبة عظيمة وضع فوقها بوق الميت وقوسه، وتدعى هذه الهضبة ميزانوس تخليدا لاسمه إلى يومنا هذا.

ولما تم الدفن عمل حسب أوامر سبيل، فقد كانت هنالك مغارة كبيرة تنبعث منها رائحة كريهة إلى حد لا يقدر للطير معه أن يجتازها، طائرا. وإلى هنالك جلبوا أربعة ثيران سود، وصبت الكاهنة النبيذ على رؤوسها، وجزت شعرا من بين قرونها، ولما أحرقوا هذا ذبحوا الثيران وهم يحملون الأروعة للدماء. وقدم إنياس لملكات الخوف حملا أسود، ولملكة ألججيم عجلة عقيما، وقد ذبحها بسيفه. وأحرقوا الأحشاء بالنار وصبوا فوقها زيتا، وسمع للأرض من تحتهم صوت زاعق، ونبتحت الكلاب، وكانت الآلهة على مقربة منهم. وصرخت الكاهنة قائلة: «اذهبوا يا من ليس لكم في هذا الأمر شأن. أما أنت يا إنياس، فاستل حسامك من غمده، واتبعني، فأنت بحاجة الآن إلى كل قواك وشجاعتك». ثم غاصت في الكهف ومعها إنياس.

لقد ذهب معا يجوزان أرض الأشباح، فكانا أشبه برجلين يقطعان غابة لا يتخللها إلا نور مريب، يلقيه القمر وقد سطع حقا، ولكن الغيوم تغشى السماء، فأتيا أول ما أتيا أبواب الجحيم، حيث يقيم الحزن، والندم، والسقم الشاحب، والخوف، والجوع الذي يحفز الناس إلى الخطيئة، والعوز، والموت، والنصب، والنوم نسيب الموت وقريبه، والحرب القاتلة. ورأيا غرف ملكات الرعب والتنازع وشعورهن حيات تقطر دما. وفي هذه المنطقة شجرة عظيمة تسكن على أغصانها جميع أنواع الأحلام، وأشكال من جميع أنواع الأشباح الشريرة، مثل صنتورس الذي كان نصفه رجلا ونصفه حصانا، وبرباروس ذي المائة يد وغيرها من الأشباح التي حينما رآها إنياس، أسرع إليها بسيفه ناويا قتلها، ولكن مرشدته حذرتة بأنها ليست إلا أشباحا.

وقدما بعد ذلك إلى نهر الجحيم، حيث يكدح الملاح شارون، وله لحية طويلة بيضاء شعناء، وقد ثبت ناظريه بتحديق متقد، وعقد على كتفيه شال كما هي عادة الملاحين. وهو كهل عجوز ولكنه صحيح الجسم مورد الوجه. وهنالك على الشاطئ ازدحام دائم، وحشد عظيم من الزوجات والأمهات ورجال الحرب البواسل، ثم فتيات وفتيان قضوا قبل الزواج، وشبان يضطجعون على رخام الدفن أمام أعين والديهم، كل هؤلاء تكاثفوا وكأنهم أوراق الشجر تساقط على الأرض عند بواذر صقيع الخريف، أو كأنهم طير الخطاف يجمع بعضه بعضا، ويتأهب للطيران عبر البحر إلى أرض الشمس.

وكان شارون يأخذ بعضهم إلى سفينته، ويمنع البعض الآخر متبعدا عن الشاطئ، وقد عجب إنياس لرؤيتهم فقال: «أيها السيدة، ماذا يعني هذا الحشد عند الشاطئ؟ وماذا تطلب هذه الأرواح؟ ولم يُطرد بعضهم عن النهر وبعبه الآخرون؟».

فأجابت سبيل: «إن هذا النهر الذي ترى هو نهر ستيكس، وبه يقسم

الأرباب في السماء، ويخشون الحنث يمينهم، وهؤلاء الذين رأيتمهم يطردون عن الشاطئ هم الذين أخطأتم مراسيم الدفن، أما الذين يعيرونهم الذين دفنوا كما يجب. فلا يعبر هذا النهر إلا الذين دفنت أجسادهم في قبورها، وإلا فهم يظلون هائمين مائة عام، وقد يعيرونه بعد ذلك.

وقد رثى أنياس لسوء حظهم، وكانت شفقتة أشد حينما رأى أورونتس وجماعته الليقانيين، الذين ابتلعهم اليم أحياء أمام عينيه، ورأى كذلك فالينوروس قائد سفينته، ولم يتعرف عليه إلا جاهدًا، ولم يكذبصره في الظلام حتى خاطبه قائلا: «أي إله أخذك منا، وأغرقت في البحر؟ لا ريب في أن افلون قد خدعتني في هذا الأمر قائلا بأنك ستنجو من البحر، وتبلغ أرض إيطاليا».

فأجاب فالينوروس: «أجل يا أنياس العظيم، لقد بلغت أرض إيطاليا، وقد حملتني ريح الجنوب ثلاث ليال فوق البحر، ورأيت في اليوم الرابع أرض إيطاليا من فوق الموج، ولما سبحت إلى الشاطئ، وتشبثت بصخوره وقد ثقلت ملابسي المبتلة بالماء، أتانني القوم الوحشيون، وأخذوني فريسة وذبحوني. والآن فإن الرياح والأمواج تدفعني حيث تشاء. فأسألك بحق أبيك، وبحق يولوس أمل بيتك، أن تتقذني من هذا العذاب، وأنوئل إليك أن تذهب إلى سماء فاليا، وتهيل عليّ التراب للدفن، أو أعطني يدك الآن وخذني معك عبر النهر».

فقالت الكاهنة: «أي جنون هذا يا فالينوروس؟ أتقطع النهر قبل تأدية ما يجب عليك من مراسيم الدفن، وهل تقدر على النظر إلى وجوه ملكات الخوف المرعبة؟ ولا تظن أن الأقدار تتغير بالدعوات. ومع ذلك فاسمع ما أقول وهدي من روعك. إن هؤلاء الذين أقدموا على ذبحك سيقدمون لك كفارة، بعد أن نزلت بهم الأوبئة، واشتدت عليهم وطأتها، فسيتبنون لك قبراً، ويقدمون عنده الذبائح عاما فعاما. ويسمى مكان ذبحك باسمك».

فهدأ روعه، ومضى في سبيله. ولكنهما لما قربا من النهر صاح بهما الملاح قائلا: «البثا حيث اتتما، أيًا كنتما يا من تقدمان إلى هذا النهر مسلحين، وأخبراني ماذا تطلبان. إن هذه أرض الأشباح، أرض النوم والليل، أما الأحياء فلا يعيرون في هذا الفلك. وكان يوم سوء، ذلك اليوم الذي حملت فيه هرقل وذيوس وفريديوس، مع أنهم كانوا أبناء الآلهة. فقد كبل هرقل الكلب الحارس للنار بسلسلة، وجره وهو يرتجف رعبا من سيده. أما ذيوس ورفيقه، فقد قصدا إلى حمل الملكة من غرفة زوجها».

عند ذلك أجابت سيبيل: «إننا لم نأت هنا، ونحن نقصد شرا فلا تقلق. ودع الكلب الحارس لجهنم يخيف الأشباح الباهتة، ودع ملكتك تقيم في قصر زوجها، فإننا لن نقر بهما بضر. ولكن أنياس الطروادي نزل إلى جهنم لكي يخاطب أباه. وإذا كنت لا تأبه لبر كهذا، فإنك ستتعرف على هذا الرمز».

وقدمت له الفرع الذهبي، ولما رآه ترك سخطه جانبا، وقد سر لرؤية الهدية الرائعة بعد عدة سنين. ثم قدم فلكه من الشاطئ، وطرد منه الأرواح التي كانت فيه، وأخذ إليه أنياس والكاهنة. وقد تمايل الفلك مما يحمل من ثقل، وتداقت المياه سريعة نحو الحافة. ومع هذا فقد عبرا النهر بسلام.

ثم رأيا سربيروس الكلب الحارس في كهفه، فأعطته سيبيل فطيرة منومة من العسل وبذر الخشخاش، وقد ابتلعها، وهو يفتح أفواه الضارية الثلاثة، فانبسط في عرض كهفه، ونام في الحال.

وسمعا بعد هذا تحييب أطفال شديدا، وهي أصوات أولئك الذين قضاوا قبل أن يأخذوا نصيبهم، أو ينالوا قسمتهم من الحياة. وعلى مقربة منهم أولئك الذين ماتوا بتهمة مزورة، ولم تتقدهم العدالة مع ذلك، فقد كان مينوس يقفل في قضايهم. ومن ورائهم أولئك الذين لا ذنب لهم، وقد أسلموا أنفسهم، ودودا الآن لو تحملوا المشاق، وبقوا على قيد الحياة، ولكن أتى لهم هذا، وهذا النهر يحتفظ بهم مع مجراه البيض، كأنهم في

سجن. ولا تبعد عن هؤلاء كثيرا حقول الحداد، حيث تسكن أرواح الذين ماتوا حباً، مثل بروكرس الذي قتله سنالوس خطأ، ولوداميا التي قصت نحبها حزناً على زوجها. وبين هؤلاء كانت ديدو وقد شفيت حديثاً من الجرح الذي قتلت نفسها به. ولما رآها انياس، وقد غشيها الظلام بين الاشباح، فكان كأنه يرى، أو يخيل إليه أنه يرى على ضوء القمر الباهت، انتحب وقال: «إيه يا ديدو! لقد كان حقاً إذن ما وصل إليّ من أخبار تقول إنك قتلت نفسك بالسيف. أخبريني هل كنت سبب انتحارك؟ لقد كنت مكرها أيتها الملكة - وإني لأقيمُ على ذلك بكل ما هو مقدس في السماء والحجيم - على ترك بلادك. ولكن الأرباب التي آتت هذه الأرض اليوم بطلب منها، أجبرتني على ذلك قسراً. ولم أكن أعلم بأن رحيلي سيسبب لك كل هذا الأسى. ولكن تريثي قليلاً، ولا تذهبي، فلن أقدر على محادثتك إلا هذه المرة فقط».

قال هذا، وبوده لو قدر على تخفيف حدة غضبها، ولكنها أرخت عينيها إلى الأرض، وكان قلبها قاسياً عليه قسوة الصخر. ثم دخلت غابة قريبة من المكان، كان فيها زوجها الأول سيتوس الذي أحبها بقدر ما كان محبوباً. وقدماً بعد ذلك الأرض التي يسكنها الأبطال. وهناك رأيا تيتوس، الذي مات أمام طيبة، وأدراستوس وكثيراً من رجال طروادة، ورأيا أبناء انظور الثلاثة، وأيدوس حامل سلاح الملك فريام، الذي كان يحمل الأسلحة ويقود المركبة. وقد اجتمع كل هؤلاء من حوله، وهم يودون معرفة سبب قدومه. ولكن حينما رأى جيش الملك أجاممنون سلاحه يلتصق في الظلام، فروا كما كانوا يفرون إلى السفن في الأيام السالفة. ولقد كان بعضهم يصرخ عالياً، لو قدر على ذلك، ولكن أصواتهم كانت ضئيلة لأنها أصوات الموتى.

ورأى ذيفوب بن فريام بين هؤلاء، وقد شوه تشويهاً فظيماً، فقد قطعت ذراعاه، وجذع أفنّه، وصلمت أذناه، حتى كادت معرفته تخفى على

إنياس. أما هو فقد ود لو خباً جروحاً جحلاً، ولكن ابن انخيس خاطبه: قائلاً: «من هو الذي عاملك بهذه الصورة القبيحة يا ذيفوب العظيم؟ لقد قيل لي إنك وقعت قتيلاً في آخر ليلة من ليالي طروادة، فوق ركام من رجال الإغريق، قضيت عليهم قبلك. ولذا فقد أقمت لك قبراً عند الشاطئ، وهنفت باسمك ثلاثاً، ولكني لم أجد جثتك لأقوم بدفنك».

فأجاب ذيفوب: «إنك لم تدع شيئاً لم تفعله لأجلي، بل قدمت لي كل إكرام وتمجيد، ولكن سوء حظي، والوقاحة اللعينة التي كانت عليها المرأة الاسبارطية، هي التي سببت هلاكي. وأنت تعلم كيف قضيتا تلك الليلة الأخيرة، ونحن نمرح لاهين، أما هي فقد كانت تحمل مشعلاً في القلعة، بينما كانت نساء طروادة يرقصن أمام الآلهة. وبدت كأنها تقود حركاتهن، أما الحقيقة فهي أنها كانت تشير إلى الإغريق في تنذوس وتدعوهم. وقد اضطجعت في غرفتي بعد أن أنهكتني التعب، فدخلت، وكانت زوجة شريفة حقاً! وجمعت السلاح من المنزل، حتى سحبت سيفي الموثوق من تحت رأسي، ثم عمدت إلى إدخال مانيلا أملة أن تمحو بذلك ما اقترفته نحوه من إثم، وأدخلت أوديس الذي كان دائماً على استعداد لتقديم النصائح الشريرة. وماذا تنتظر أكثر من ذلك؟ فلتشعل بهم الأرباب ما فعلوا بي بل أدهي وأمر. ولكن قل ما الذي جاء بك إلى هنا؟».

وكان الوقت قد جاوز الظهيرة، وقد قضى هذان الاثنان جميع الوقت المحدد لهما بالحديث، فقالت سيبيل: «لقد أقبل الليل يا إنياس، وأضعتنا نهارة بالدموع فيها بنا! وهاك سيلين هنا أحدهما إلى اليمين وهو يقود إلى قصر فلوته وسهول أبليز، والآخر إلى الشمال يأخذك إلى طرطوس مقر الاشرار». فأجاب ذيفوب: «لا تغضي أيتها الكاهنة العظيمة، وسأرجع إلى مكاني، فاذهب يا صديقي، وليرافقك التوفيق».

وبينما كان انياس ينظر حواليه، رأى بناء عظيمًا، وحوله سور ذو ثلاث طبقات، وحول السور نهر من النار. وهناك بوابات عظيمة، وبرج من

النحاس جلست فيه تيزيفون إحدى ملكات الرعب حارسة . وسمع أصوات أولئك الذين يطرقون فوق السندان وقرعة السلاسل . فوقف وقال : «ما معنى هذا الذي أسمع وأرى؟» فأجابت سيبيل : «إن أقدام الصالحين لا تجتاز عتبة هذا المكان . ولكن ملكة الجحيم أخذتني بنفسها إلى هنا ، وأخبرتني بكل شيء عن المكان حينما سلمتني مركزي هذا . فهناك يجلس رادامتوس الكريتي ، ويسقط بين الموتى ، فمن قضى عليهم أخذتهم تيزيفون وفتحت البوابة التي رأيت لاستقبالهم...» وهناك في الداخل حفرة عظيمة ، عمقها بقدر علو السماء عن الأرض ، فيها يرقد البتانيون أبناء الأرض الذين ضربهم جوبيتر بصاعقة من عنده . وفيها أبناء ألوس الذين جاهدوا لطرد الأرباب من السماء ، والموونوس الذي كان يود الاستهزاء بصواعق جوبيتر ممتطيا مركبته ، يقطع بها مدن آيس ، ويهز مشعلا مدعا أنه إله . ولكن البرق ضربه في كبريائه . ورأيت أيضاً تيتيوس ، وقد تمدد فوق تسعة أفئدة من الأرض ، ووقعت عليه النور ثقات من فواده . ورأيت بعضهم ، ومن فوقهم صخر عظيم يكاد ينقض ، والبعض الآخر جلوسا إلى وليمة لا يكادون يمدون إليها يدا حتى تمنعهم ملكة الرعب الجالسة إلى جانبهم ، وترفع مشعلها وتهز فيصم الرعد أذانهم . ثم هؤلاء الذين كرهوا إخوتهم في الحياة الدنيا ، أو ضربوا آباءهم وأمهاتهم ، أو خدعوا من وثق بهم ، أو احتفظوا بغناهم لأنفسهم ، ولم يأبهوا حتى لأهل بيتهم (وعدهم كثير) ، أو أثاروا نزاعا أهليا . ومن هؤلاء من يدرج حجرا عظيماً ، ولا يقف ، ومنهم من أوثق إلى عجالات ، ومنهم من جلس يصرخ أبدا : «سنعمل صالحا ونخشى الأرباب» .

ولما انتهت الكاهنة من هذا الكلام ، أسرعوا في سبيلهما ، وبعد هتية قالت : «هذا هو القصر الذي بناه السيكلويون لفلوتو وملكة الجحيم . وهنا يجب علينا أن نقدم الغصن الذهبي» . وبعد أن فعلا ذلك قدما إلى مساكن الصالحين .

هنا الفسحات الخضراء تحيطها الغابات ، ونور جتتهم أشرق وأعم مما وقمت عليه عين بشر ، فلهم شمس غير شمستا ، ونجوم غير نجومنا ، فيعضهم يلهو بالملاكمة والركض ، وبعضهم يرقص رقصا موقعا ، وهم يغنون أنغاما بهيجة ، وقد ارتدى أورفوس ثوبا فضفاضا ، وجلس يوقع لهم ، فكان يمس قيثارة بأصابعه حيناً ، ويقوس من العاج حيناً آخر . وهنا كان إعجاب انياس عظيماً ، فقد رأى جبابرة الرجال السابقين مثل ايلوس ودردانوس الذي بني طروادة . وقد غرزت رماحهم في الأرض جانباً ، وتركت خيرلهم ترعى في الحقل . فهم لا يزالون يحيون الرماح والمركبات والخيل ، كما كانوا يحيونها على الأرض . وأقبل بعضهم يحتفلون ، وقد اتخذوا من العشب مجلساً ، وفاح عليهم شذى لطيف من بستان من الغار ، حيث يجري النهر الذي يدعوه أهل الأرض باسم فور . هنا أقام الذين قضوا لأجل وطنهم ، والكهنة المقدسون ، والشعراء الذين لم يأتوا أمراً عظيماً ، أو الذين استنبطوا اختراعاً بارعاً ، أولئك الذين قدموا للبشر خدمة عظمى . وجميع هؤلاء كللت رؤوسهم بأكاليل بيضاء كالثلج . وخاطبت سيبيل موزوس الذي وقف في وسطهم ، وقد بهزم جميعا بطول قامته ، وقالت : «خبرني أيها الأرواح السعيدة أين تجد أنخيس؟» . فأجابها موزوس : «ليس لنا أماكن للإقامة معروفة ، فاصصدا هذه الهضبة ، ومنها تريان جميع السهل تحتها ، ولا شك في أنكما واجدان من تطلبان» .

فأبصر أنخيس ، وقد جلس إلى واد أخضر ، وهو يعني بأرواح أولئك الذين سيولدون من نسله . ولما رأى انياس قادماً بسط يديه ، وقال : «هل آتيت يا ولدي؟ وهل وجدت طريقك إلي؟ لقد ظننت أنك فاعل ، ولم يخب أملي» .

فأجاب انياس : «أجل لقد اجتزت طريقاً طويلاً لرؤيتك ، كما رغبت إليّ وروحك ، ولكن دعني أعانئك وأضملك بين ذراعي» .

ولكنه حينما حاول عناقه كان كمن يقبض على الهواء .

ثم نظر أنياس فأبصر نهرا، وعنده حشد عظيم من الأرواح، وقد تكاثفت النحل على جنة من الزنايق في يوم صيف هادئ. وحينما رغب في معرفة سبب هذا الاحتشاد، قال أنخيس: «هذه أرواح أولئك الذين ما زال عليهم أن يعيشوا في الأبدان القانية. وهم مجبرون على الشرب من ماء النسيان». فقال أنياس: «لا يا أبي، وهل هنالك من يرغب في الرجوع إلى الجسم الميت؟ فتأجاب أنخيس: «أصغ إلي يا بني، وسأخبرك بالأمر كله: إن هنالك روحا واحدة في السماء والأرض، في النجوم وضيء القمر السيار، وفي الشمس ذاتها التي تثبت منها حياة الإنسان والحيوان، والطير والهواء، وأسماك البحر. ولهذه الروح طبيعة إلهية، ولكن الجسم القاني يجعلها بطيئة بليدة. وهنا يأتي الخوف والرغبة، ويأتي الحزن والفرح. ولهذا فإن الروح تكون في هذه الحالة وكأنها في سجن، وتعود لا ترى الضوء خارجا. وحينما تبلغ الحياة القانية نهايتها، لا يكون الإنسان قد خلس من كل شرور الجسد، بل إن هذه لا تطرح جانباً إلا بطرق عديدة عجيبة. فبعضها يعلق في الهواء، وتغسل شرور الآخرين بالماء، ومنها ما يحرق بالنار، ولكننا جميعا نجابه عذابا مريعا، ثم يرسل من يستحق منا إلى السيوم، وإلى حقول المباركين. وعندما تنقئ الروح تماما بعد عدد من الأيام، يرسل بها إلى نهر النسيان لكي تشرب منه، ثم تعود إلى العالم الأعلى».

ثم أخذ بأنياس وسبيل إلى هضبة يرون منها الجمع كله، وتطلعههم الوجوه القادمة من حيث يجلسون، ثم قال: «تعال أريك هؤلاء الذين سيأتون من بعدك. إن هذا الفتى الذي يتحني على رمح أبتر، هو سيلفيوس ابنك الأصغر، الذي ستحملة لك لافينيا في أيام شيخوختك. وسيحكم أبا، ويكون أبا لملوك. وهنالك ملوك عديدون سيبنون مدنا عظيمة شهيرة. ثم انظر هذا هو رومولس، الذي ستحملة إيليا لمارس، وسيبني روما التي سينبسط حكمها على الأرض ويمتد مجدها إلى السماء. وهل ترى ذاك

الذي يتوَّج رأسه تاج من الزيتون، وله لحية بيضاء؟ هذا هو الذي سيضع لروما شرائعها. وبجانبه تولوس المحارب. هؤلاء هم التاركينيون، وهذا بروتوس الذي سيحرر البشر، أجل وسيقتل بنيه لأنهم أرادوا بوطنهم شرأ. وانظر إلى دسى وتوركاتوس مع الثور العنيف، وكاميلوس الذي سيسترد أعلام روما. وهناك يقف ذاك الذي سيخضع كورتنا. وهناك آخر سيثار لدم طروادة من سلالة أخيل. وتقدر أن تشاهد السيبيين، وهم صواعق الحرب الذين ستخضاهم أرض افريقيا، وهذا ريخولوس منهمك بالأخاديد. وأخيرا وليس آخرا، هذا هو فايي أعظم الاسماء طرا، وهو الذي سينقذ بلادك بهوادة وحكمه. هؤلاء يا بني هم بنو بنيك، وهنالك غير هؤلاء وهم الذين سيحفرون وجوه البشر بالرخام بلمسات أرق من تلك، وسيلبون البرونز. وسيبرهن غيرهم عن براعة أعظم أو أنهم يخططون للسماء أو يخبرون عن مطالع النجوم. وإخضاع العالم هو لك يا رجل روما. وعملك أن تقيم السلام بين المغلوبين فتدع الغامل وتقر المتكبر».

ثم تابع كلامه قائلا: «وخصص باهتمامك مارسيلوس أول مرافق للقاتحين، فهو الذي سينقذ الحكم في أيام الاضطرابات، وسيهرب من أمامه القرطاجيون والغوليون». فقال أنياس، وقد رأى بجانبه فتى يرتدي السلاح اللامع، وجماله يسر الناظرين، ولكنه كتيب يسبل عينيه إلى الأسفل: «قل لي يا أبي متى يكون هذا؟ ما أشرف منظره! وما أحسن هذه الزمرة التي تراقفه! ولكن هنالك ظل من الظلمه يحيط برأسه».

فأجاب أنخيس: «لا تبحث يا بني عن معرفة ما سيحل بأبنائك من حزن عظيم بعدك. إن الأقدار لن تظهره للبشر إلا بمقدار، وإذا عاش، فإن الأرياب سيرون بأن روما قد اشتد جبروتها وعظم. واي حداد سيكون عليه!، اي ماتم سيقام له. ويا نهر تير! إنك ستجري قرب لحده المشاد حديثا، ولن يرجى من فتى من نسل طروادة ما يرجى منه، ولكن واحسرتاه، إن صلاحه وصدقه وشجاعته لا يعلى عليها، وأنت أيها الفتى السيئ

الحظ، إذا اتفق وقدرت على نقض هلاكك المشؤوم فانك ستكون كما رسلوس. أعطني قبضات من الزنايق. وسأثر هذه الأزهار الثيرة، وأقدم لظل حفيدي الإكرام النافه.

وهكذا أرى أنخيس ولده أمورا قادمة. وأضاء روحه برغبة إلى المجد، ثم أراه الحروب التي سيشتبك بها، وكيف يجب أن يكابدها، أو أن يتفادى الشرور القادمة إذا أمكنه ذلك.

وهناك بوابتان «للنوم» إحداهما من يوق تخرج منه الاحلام الصادقة، والآخرى من عاج، وتخرج منها الكاذبة. وأخرج أنخيس ولده وسييل من بوابة العاج، ورجع انياس إلى السفن ووصل في إبحاره إلى الرأس الذي سمي فيما بعد كاتيا.



نيروس وأدريالوس

كانت جينو تتحين الفرص لرجال طروادة، فبعثت بإيريس رسالة الأرباب إلى طورنوس، حيث أقام في كهف أبيه فيلمنوس، وقالت له: «إن ما لم يجرؤ أحد الأرباب أن يعذك به، أحضره الزمان إليك، فقد ترك انياس صحبه وملكه باحثا عن مدينة أفاندر، أجل، وياحنا عن التوسكانيين كذلك، فاغتنمها فرصة، وباغت بها مخيمه في غيايه».

ثم بسطت جناحيها، وصعدت السماء على سهم قوس قزح، فصرخ طورنوس: «لقد عرفتك أيتها الإلهة، وأنتي متبع لإشارتك». وبعد أن غسل يديه، صلى ونذر للأرباب نذره.

وتقدم الجيش للقتال، يقود ميسابوس مقدمة صفوفه، ويقود أولاد تيروز المؤخرة، وفي الوسط كان طورنوس، ورأى رجال طروادة سحبا عظيما من الغبار يغطي السهل، فصرخ كايكوس عن الأسوار قائلا: «ما هذا السحاب الذي أرى؟ إلى السلاح يا رفاقي، وتسلقوا الأسوار، فإن العدو على الأبواب». ثم أغلق رجال طروادة البوابات، وحصنوا الأسوار، فقد أوصاهم انياس بذلك قائلا: «لا تشبكوا في معركة مهما وقع لكم، ولا تسلموا بأنفسكم إلى السهل، بل دافعوا عن أسواركم». ولذا أغلقوا بواباتهم، ومكثوا ينتظرون اقتراب العدو. وقدم طورنوس أولاً يمتطي جوادا تراقيا، يصحبه عشرون من الفتيان، وصرخ يقول: «هل منكم رجل يجرؤ على الهجوم؟» ورمى نباله يفتح المعركة. وصرخ رجاله عاليا، وهم دهشون لالتزام رجال طروادة داخل أسوارهم، وعدم خروجهم إلى المعركة. وعكف طورنوس على الأسوار يتفحصها عله يجد لاختراقها سيلا. وكما يعسس الذئب حول الحظيرة، وقد أمنت الحملان إلى جانب

أما تها، تنغو ثناء أحتاج لسماعه، وجن جنونه حقدا وجوعا وجف لسانه عطشا للدماء، وهكذا أخذ الهياج طورنوس حول المخيم، وهو يدبر أمرا يقدر معه على استدراج رجال طروادة إلى السهل. وفكر أخيرا بالسفن الراسية بجانب المخيم، فطلب إحضار مشاعر من الصنوبر وتبعه رجاله يتصايحون، وتساعد الدخان إلى السماء.

ووقعت الآن معجزة، فحينما كان أنياس يبني سفنه على جبل إيدا، خاطبت سيبيل أم الأرباب الإله جوبيتر قائلة: «هب يا ولدي هذه السفن التي بينها أنيام من صنوبري - فقد أعطيت أياها منحة - هيها النجاة من الرياح والأمواج». ولكن جوبيتر أجاب: «ما هذا الذي تطلبين يا أماه، أتريدن الخلود لسفن فانية؟ لا بل سامنحه هذا: إن أية سفينة من هاته تبلغ أرض إيطاليا سالمة، تصبح حورية من حوريات البحر». وقد حل الآن اليوم الموعود. وسمع صوت مرعب يقول: «لا تخافوا يا رجال طروادة، ولا تهتموا بالدفاع عن سفنكم». ثم قال الصوت للسفن: «اذهي! وكوني من الآن وصاعدا من حوريات البحر». وبأ للعب! ها قد تقطعت الأسلاك في الحال، وحلت مكان السفن أشكال نسائية، فكانت مكان كل سفينة امرأة. وعجب اللاتيين أشد العجب لهذا وقال طورنوس: «إن هذه المعجزة تعني لرجال طروادة شرا. فإن سفنهم لا تتحمل هجومنا. ولم يعد لديهم ما يقدرن معه على الهرب من أمامنا. أما القدر فلا أبالي به. فقد قدر على رجال طروادة أن يبلغوا أرض إيطاليا، وقدر على أن أهلك هذه السلالة اللعينة، فقد سرقوا مني زوجي، وألحقوا ضربهم بأناس غير مائلا. وقد كان يكفيهم حقاً أن يهلكوا مرة، ولكن لم يعادون خطيتهم؟ وقد كان من الخير لهم أن يعافوا الجنس النسائي بعد ذلك. أم انهم يظنون أن هذا الحاجز سيقوم بحمايتهم؟ ألم يروا الأسوار التي بناها نبتون تنهار في النار؟ والآن من منكم يأتي معي لهدم مخيمهم؟ فانا لست بحاجة إلى أسلحة تخرج من ورش حدادة الإله فولكان، ولا إلى ألف سفينة، وليس

لهم أن يخشوا أعمال التخفي والظلمة، فإننا لن نخشى في حصان خشبي، بل سنحرق أسوارهم في وضوح النهار. وإن فتیان إيطاليا هم حقا ليسوا كفتیان الإغريق الذين ألزمهم هكطور الحدود عشرة أعوام». ثم أصدر الأمر بمحاصرة المخيم، وأقام مسافوس على مراقبة البوابة، وجعل أربعة عشر زعيما من الروتالين مع كل منهم مائة شاب حراسا على الأسوار، وأقاموا الليل بطوله يرقصون، ويحتفلون، ويشربون، ويمرحون.

ولكن رجال طروادة أكجرا على العمل في هذه الأثناء، يدعمون بوابتهم، ويقفون أبراج أسوارهم. وكان منيوس وسرجستوس سريعين في أوامرهما وفي حثهما للرجال على العمل، فقد أقامهما أنياس لمثل هذا إذا مست الحاجة إلى ذلك في غيابه.

وكان الود العظيم يجمع بين نيزوس حارس البوابة، وهو محارب باسل، وأوريالوس أجمل فتى بين الطرواديين، فقال نيزوس لصاحبه، وهما يحرسان: «لا أدري إذا كانت هذه دعوة من الأرباب أم أنها حافز من نفسي، فإن في قلبي لرغبة شديدة هذه الليلة، ألا ترى الأعداء كيف يستسلمون لنومهم ثملين؟ ألا أفتر أن أنال بعض الشرف، وأحمل أنباء هذه الأمور إلى أنيام؟ فهناك عند الهضبة تسلك الطريق إلى مدينة أفاندر».

فأجابه أوريالوس: «كلا يا نيزوس إنني لن أدعك تذهب وحذك، ولن تركني، فإن والذي أوفلتيس لم يدبرني على سفالة كهذه، ولم أحمل نفسي على مثله في صحبتك، وحقا إنني أحسب أن الحياة تستحق أن تضحي في سبيل شرف كهذا».

فقال نيزوس: «إنني لم أظن بك سوءا، ولعل جوبيتر يرجعني سالما وينيلني شرفا، أما إذا أصابني سوء، فإنني أود أن تحيا لاسترجاع جثتي، وإذا ما تعذر هذا فلتكريم روحي، ثم فكر بأمكن التي قدمت إلى إيطاليا من دون أمهات طروادة جميعا حبا بك».

ولكن اوريلوس، قال: «إنك لتأتي بالواهي من الأعداء، فقد عزمنا زما راسخا على الذهب معك، فلنسرع إذن». ثم أيقظ أولئك الذين سيأخذون مكانهما عند البوابة، وقصدا الزعماء يطلبان منهم الإذن بالكلام، فوجداهم يعتقدون مجلسا، وقد وقفوا في وسط المخيم متكين على رماحهم، فقال نيزوس إن لديه ما يقوله، وإن الأمر يستدعي السرعة، فدعاه يولوس إلى الكلام فأجاب: «إن العدو يستسلم إلى النوم ثلثا عند الأسوار، وإن نيرانه لتخبو، وإذا ما أسعفتنا الحظ، فنستظفر بشق طريقنا إلى انياس، في بلدة أفاندر، ونذبح الكثيرين ونريح الأسلاب».

أما الطريق فتعرفه، وقد علمنا بمسالكه حينما كنا نصطاد في هذه الأنحاء. عندها قال المجوز ايتيس: «لا ريب في أن طروادة لن تهلك، ولديها قلوب مثل قلوبكم».

ورمى سلاحه عندهما وهو ينتحب، فقال يولوس: «أرجعوا أبي النيا، فلا يكون إلا الخير، وسأعطيكما كأسين من الفضة نقشا بصور الرجال، أخذهما أبي من بلدة أريسبا، وإذا ما أخضعتنا أرض ايطاليا، فإن جياد طوروس وسلاحه ستكون من نصيبك يا نيزوس، وستنال معها اثنتي عشرة أسيرة، واثنى عشر رجلا بأسلحتهم، مع مملكة الملك لانيئوس. أما أنت يا أوريلوس فلأنك أقرب إلى سنا وستخلفني في كل الأمور».

فأجاب أوريلوس: «إنني أطلب اليك المزيد من أمر آخر. فإن لي أما من نسل فريام، لم أذهب لوداعها، لأنني لا أقدر على احتمال دموعها، فأرعاها بعنايتك إذا ما تكلتني». فقال يولوس: «إنها ستكون لي مثل أمي».

ثم أعطاه سيفه بغمده العاجي، كما أن منيزوس أعطى نيزوس جلد أسد، وأعطاه أليئيس خوذة. وشيعوهما جميعا إلى البوابات بالادعية والتلذذ. أما يولوس، وهو الذي يتصف بحكمه تفوق سنه، فقد أرسل إلى أبيه رسائل كثيرة.

ثم قطعا الخندق، وأتيا الأعداء، وهم نيام، وقد مشى نيزوس إلى

الأمام ووراء أوريلوس مراقبا، لكي لا يهاجمهما أحد من الوراء. فذبح نيزوس رائيس وهو نائب، وهو العراف الذي كان لطوروس فيه ثقة شاملة ولكنه لم يتبأ عن هلاك نفسه. ثم ذبح الخدم الثلاثة، وحامل الأسلحة، وسائق مركبة ريموس. ثم عكف على ريموس ذاته، فقطع رأسه، وذبح آخرين بينهم سرائوس الفتى الجميل، الذي كان المقصود في رياضة هذه الليلة، وقد كان من الخير له لو أطال هذه الرياضة إلى الفجر. وذبح أوريلوس الكثيرين كذلك، وكلهم كانوا يغطون في نومهم، ما عدا روتوس، وهو الوحيد من بينهم الذي كان يقظا، وحاول عشا الاختباء وراء إناء كبير للمياه، ولما أوشك أن يذبح ميسابوس ورفاقه، صرخ نيزوس وقد رآه مأخوذا بحب الذبح، قائلا: «كف الآن، فقد اقترب النهار ويكفي أننا وجدنا في وسط الأعداء سيلنا». وتركوا وراءهما كثيرا من الأسلاب، ولكن أوريلوس أخذ من رائيس حزام سيفه المرصع بمسامير ذهبية - وهو حزام كيديكوس قد أعطاه لريمولوس التيبوري، وهذا أعطاه لحفيده، وربحه منه رائيس في الحرب - ووضع على رأسه خوذة ميسابوس. وهكذا رحلوا عن المخيم.

ولكن حدث أن كان ثلاثمائة من الفرسان يقودهم فولستر قادمين إلى المخيم من المدينة، ولما اقتربوا لمح أحدهم خوذة أوريلوس على ضوء القمر، وقد وضعها لتصغر سنه وتهوره على رأسه، فصرخ فولستر: «من أنت؟ وإلى أين تذهب؟».

ولكنهما لم يجيبا، بل أسرعا بالهرب، فأصدر عندئذ فولستر أمرا بتطويق الغابة من كل ناحية، وكانت شديدة الكثافة، مما بها من أشجار الشريرين الداكنة اللون والعوسج، وقد تاه أوريلوس عن الطريق حقا، فقد ثقل عليه ما يحمل من أسلاب، وتملكه الخوف. أما نيزوس فقد نجا بنفسه، ولكنه حينما أتى الاسطيلات التي تحفظ فيها أبقار الملك لانيئوس وجد نفسه وحيدا، ونظر حوله باحثا عن رفيقه، فلم يجد له أثرا، فعاد على

جويتر العظيم، ما دمت لا أقدر على الخلاص بطريقة أخرى من هذه الحياة البغيضة.

ولكنها مست بئديها قلوب الرجال، فأنستهم شجاعته، ولذا ذهب ألتينوس ويولوس وأحضرا نيزوس وأكتور وأمرهما بأن يأخذا بيدها ويحملها إلى مسكنها.

وهكذا كانت نهاية أشجع الشجعان في هذه الحرب المدمرة.



أعقابه يبحث عنه في أنحاء الغاب حتى سمع أصوات الفرسان تقترب ويا للهول! فإن أوريلوس كان في الوسط يطلب النجاة، ولا يقدر عليها. وقد دعا هذا ديانا أولا، عليها تقدم له العون، فيقدر على تبديد هذه الجماعة، ثم رمى رمحه فورا. فاخترق ظهر سولمو نافذا من قلبه، وحينما تطلع الجميع دهشين، رمى رمحا آخر نفذ من رأس تاغوس من الصدغ إلى الصدغ فأخذ الحقن من فولستر كل مأخذ، وهو يرى ذبحا كهذا، ولا يعلم كيف حدث، فصاح قائلا: «إنك ستجزى على أعمالك هذه على كل حال». وهجم على أوريلوس، ولكن نيزوس لم يقدر على رؤية هذا فأصرع من مخبئه، وصرخ قائلا: «لا، إني أنا الرجل الذي أقدم على هذا الصنيع فحولوا سيوفكم إليّ أما هذا فلم يقم ولا يقدر أن يقوم بأعمال كهذه، ولم يزد على أن كان يتبع صديقه». ولكن سيف فولستر مع ذلك لم يتأخر عن اختراق جنب أوريلوس، فانبثق الدم يسيل على جسمه الجميل، وتدلّى رأسه كما تتدلّى زهرة قطعها حد المحراث في الغاب، أو كزهرة من الخشخاش قطع منها ساقها. ثم هجم نيزوس إلى الوسط وهو لا يفكر إلا بوسيلة، يقتك فيها بفولستر، ولم يقدر الأعداء على وقفه، بل أرسل سيفه إلى فمه وفتك به، ثم وقع قتيلاً فوق جثة صديقه، بعد أن أصيب بجروح كثيرة.

ولكن لما قدم الفرسان إلى المعسكر شاهدوا المذبحة التي حدثت هناك، ولما بزغ النهار أقاموا القتال صفا ضد رجال طروادة، ووضعوا رأسي أوريلوس ونيزوس على صاريين وأروهم إياهما.

ولما بلغت هذه الأنباء مسامع أم أوريلوس ألقت بمغزلها جانباً، وأسرعت تخترق المعسكر، وحينما قدمت السور صرخت قائلة: «أهكذا أراك يا بني؟ لِمَ لَمْ أمتح هبة توديعك؟ ولن أغمض الآن عينيك، أو ألفك بالأكسية التي صنعت وأنا أنسلى عن همومي بالكوف على المنوال. فافتكوا بي برماحكم أيها اللاتينيون، أو فاضربني بصاعقة من لذنك يا

سيكي

كان لأحد الملوك القدماء ثلاث بنات. الاثنان الكبيرتان كالقمر بهاء وجمالا. أما الصغرى واسمها سيكي، فكانت حسناء خارقة الفتنة والإغراء، ذات وجه كأشراق الصباح أو صفحة البلر، تفتح فيها الشباب كما تفتح أزهار الربيع، وتزاحمت فيها ألوان الفتنة، فعتان دججوان، فيهما سحر وإغراء، لهما نظرات فائكة ولحاظ قاتلة، وأنف تأنت في تكوينه يد الجمال فندا دقيقا مستقيما، وفم ياقوتي به صفان من اللؤلؤ الدقيق المنظوم، ضن على الشفاء بالقبليات وعلى المتيمن بالسمات، وجيد لجيني بللوري شفاف. معتدلة القد، رخصة الجسم، خارقة الأنوثة، ذات شعر فاحم داكن. تجلس إليها فيأخذك سحرها، ويفتكك صوتها العذب، وتودعها فيطاردك طيفها.. هي درة لم يلتقط مثلها غواص، وصورة للعفاف والطهر. تمشي في الطريق فتجر وراءها جيشا من المعجبين والعشاق. يقصر البيان عن وصف محاسنها ويمعز اللسان من ذكر مفاتنها.. وكان القوم لا يتحدثون إلا عن روعة جمالها في غدوهم ورواحهم، حتى تحدث بفتنتها الناس، وجرى ذكر بهاثها على كل لسان. فكان الناس يفلدون من كل صوب وحذب ليحفظوا بنظرة إلى طلعتها المشرقة التي تنفتت في صوغها يد الجمال لتكون آية الجمال.. فإذا ما أسعدهم الحظ وفازوا برويتها ألقوا أمامها الأزهار النفيسة الغالية لتطأها بقدميها الرقيقتين الصغيرتين.

كان كل من شاهدها يقول: «لا بد أن هذه الغادة الجميلة، هي فينوس، ربة الجمال والحب، بلحمها ودمها.. إنا سنطلق عليها اسم «فينوس»، فليست فينوس بأروع منها، ولسوف نعبدتها كما لو كانت ربة».

بلغت تلك الأقوال سامع فينوس، فاستشاطت غضبا، واثارت ثائرتها،

وأرغت وأزبدت، وأقامت الدنيا وأقعدتها.. وحق لها أن تثور وتهيج، إذ هدرت كرامتها لأن جميع الناس صاروا يعتقدون أن جمال فينوس ليس بشيء إذا قورن بجمال سيكي، ولذا صاحت فينوس وهي تتميز حقدا وغيره وقالت: «ما هذا الهراء؟ أي وقاحه هذه؟ نعسا لها ولمن يفتن بجمالها! كيف تجرؤ هذه الفتاة، وهي من البشر، على أن تقارن جمالها بجمالي؟ وحق جوبيت لأعاقبها عقابا لم يذق أحد من البشر، ولأجعلها عبرة لمن تسول لها نفسها أن تعتدي على كرامتي، وتغتر بجمالها فتجعل نفسها في مصاف الريات الخالذات».

قالت هذا، ثم استدعت ابنها كيوييد، إله الحب، فلبى نداءها، وجاءها حاملا مهام الحب الرقيقة. فلما مُكِّل بين يديها، قالت له: «بني، هناك عذراء من البشر، يبجلها الناس حتى العبادة، لجمالها وفتنتها. اذهب إليها هذه الليلة واقتلها. كي يعلم أولئك الأغبياء الذين يقدسونها، أنها بشر فانية، فتمتلئ قلوبهم خوفا وهلعا».

أخذ كيوييد آنية، وملأها بالسم الزعاف وانطلق يبحث عن سيكي.. وكانت تنام على سرير من الفضة في قصر أبيها وقد وضعت ذراعها حول رأسها. فدخل كيوييد حجرته يضمم الشر. وما إن وقف بجوار سريرها وهم بإفراغ السم في حلقيها حتى أشرق القمر فجأة، ودخلت أشعته اللجينية من خلال فرجة بين أستار إحدى النوافذ وسقطت على وجه سيكي فأضاءته، ثم انعكست بهية راتمة.

ذهل كيوييد وبهت. وتراجع إلى الخلف دون أن يقدم على ما اعترمه من فعلة شنعاء، لشدة ما اعتراه من دهشة وعجب، فلم يسبق أن رأى في حياته عذراء على هذا القدر البالغ من الجمال الخارق.. فارتبك واضطرب ميزانه، فأسقط أحد سهامه الذهبية الرقيقة فوق قدمه، فاخترقها، وفي الحال، امتلأ قلبه بحب هذه الغادة الغارقة في نومها العميق، ووله بها عشقا وهياما، حتى أنه لم يستطع مقاومة عواطفه.

مال كيوييد على سيكي، وراح يمتع ناظره من جمالها الساحر الخلاب.. وأقسم ألا يمسه بضر أو أذى قط. فلما لاح الفجر الزعفراني الثوب في أفق السماء، وشق بخنجره الفضي حجب الدجى، تسلل كيوييد خارجا من حجرة سيكي، بنفس الهدوء الذي دخل به إلى خدرها.

أصبح الصباح، فاستقبلته الطيور بالغناء والتفريد، مبهجة بروائح الوادي الشذية التي تسر النفس وتعش الفؤاد، وانطلقت من أعشاشها تبشر بقدوم مليكة النهار قبل أن يبدو موكبها الوهاج في أفق الشرق.. واختالت السحب في جنبات السماء الصافية الأديم، سكرى من النور. وصحا كل راقد وهب لاستقبال اليوم الجديد، سعي وراء الرزق. ما خلا فينوس فزتها كانت تسعى وراء الشر. فأطلت إلى القصر من نافذة السماء، لترى هل ماتت سيكي. وكيف تبدو على فراش الموت. ولكن، كم كانت دهشتها بالغة عندما أبصرت الفتاة تجري مرحلة في حديقة القصر، تداعب حماماتها في سعادة وابتهاج. خالية الذهن تماما عما يدبر لها في الخفاء وما تحيكه ضدها هذه الربة من وراء السماء.

اشتد غضب فينوس عن ذي قبل. وعقدت العزم على النيل من هذه الفتاة المسكينة. وإذاقتها ألوان العذاب بشتى الطرق، إلى أن تجعلها تؤثر الموت على الحياة.

توالى الأيام وتعاقبت. وكل يوم يأتي إلى سيكي بما يسبب تعاسها وشقاءها وحزنها، ولم يبد أن هناك نهاية لهذه الآلام والأحداث. فاستسلمت لليأس والقنوط، وأقسمت أخيرا أن تضجع حدا لحياتها بينيها.. وعولت على أن تصعد إلى قمة جبل شاهق. وتلقي بنفسها إلى بطن الوادي.

انطلقت سيكي إلى جبل عظيم الارتفاع، وأخذت تصعد إليه حتى بلغت قمته بعد شقة وتعب، فألقت بنفسها غير هيأة ولا مترددة.. ولكن كيوييد الملدل بغرامها كان يراقبها، فأشفق على شبابها، وشق على نفسه أن تموت

هذه الغادة الفاتنة التي ملكت ليه وعقله وقلبه، وأحس بالحدق يتغلغل في فؤاده ضد أمه لتعذيبها هذه العذراء دون رحمة ولا شفقة. فما إن أبصر بمعشوقته تهوي في الفضاء، حتى نادى زيفيروس، ملك الريح الجنوبي، وأمره بأن يمكس الفتاة بين ذراعيه، ويحملها بعيدا إلى جزيرة نائية لا يعرف مكانها أي فرد.

أغضمت سيكي عينيها وهي تهبط في الهواء، حتى لا ترى ما حولها، وجعلت كل همها أن تتخلص من الحياة لتضغ حدا لتلك المتاعب، ولكنها ألقت نفسها بين ذراعي الريح الجنوبية الناعمين عبر الفضاء، تحملانها إلى جزيرة قصية.. ثم تضاعها في رفق وحذر فوق شاطئ هادئ مملوء بالأزهار والرياحين، حيث يتوضع الجو طيبا بأريجها العبق وريحها الزكي العطر. فخليل إليها أنها في حلم، وسوف تشعر بالصدمة بعد ذلك الحلم. فتحت سيكي عينيها، وراحت تتطلع حوالها في عجب واندهاش. ما هذا؟ ألم تزل في حلمها؟ وهل انتقلت إلى العالم الآخر؟

وجدت سيكي نفسها في حديقة غناء ساحرة، كأنضر ما تكون الحدائق فأينما يمت رأت الأزهار تسر الناظر وتهيج الخاطر وتعش الفؤاد. فالأشجار تنهاس بالأسرار، والأزهار تتناجي بالألفاظ، والطيور تنغنى بالأشعار وفي وسط الحديقة قصر جميل منيف عبق بشذى الورود والزهور.. فسارت متاثلة نحو القصر، وهي لا تزال مذهولة من هول ما رأت، وما إن اقتربت من عتبه، حتى انفتحت الأبواب على مصاريعها تستقبلها بالترحيب.

كان جو القصر باردا ينعش ولا يرعش، وهواؤه معطرا يوحى بالآمان والأطمئنان.. وشعرت الغادة بأيد رقيقة تطوقها وتهمس في أذنها عبارات ناعمة، قائلة: «مرحبا بك أيها العذراء الفاتنة. ادخلي ومثمي ناظريك بقصرك. فكل ما هنا ملك يدك. وإذا رغبت في الطعام، وجدت كل ما تحتاجين إليه وكل ما يلذ لك وتفضليه على سائر الأطعمة. ولئن

شئت أن تنامي، وجدت فراشا وثيرا من الريش الناعم، وموسيقى عذبة تشف أذنك حتى تستسلم للكرى عنك...».

اطمأنت سيكي ودخلت القصر مسرورة جدلانة، فإذا مائدة رائعة حافلة بكل ما تشتهي من لذيذ الطعام وحلو الشراب. ثم وجدت حجرة نوم فاخرة بها فراش بنفس الوصف الذي ذكرته الأصوات.

عندما أرخى الليل سدوله ولث الكون في غلالة سوداء دكناء، دخل كيوييد مخدع سيكي.. فلم تستطع رؤية وجهه، ولكنها أحست بوجوده. توسل كيوييد إليها بقوله لها: «لا تضطربي يا فتاتي الحسنة.. فما أنا إلا المقيم بهواك، الولهان بحبك. أريدك زوجة لي.. ينبيي ألا تَرَني وجهي أو تستئي إلى معرفة شخصي. فلو حاولت هذا، لضاعت سعادتنا وانقضت...».

رُوِّعت سيكي بادئ ذي بدء، ولكن سرعان ما زالت مخاوفها، إذ كان كيوييد رفيقا بها، عطوفا عليها، يحبها ويدللها ويستميل قلبها اليه بكل أساليب الاستعطاف، فلم يسعها إلا أن تبادل الحب والهيام، وتشاركه الشغف والغرام.. فكان يقضي معها الليل بطوله ينعمان بالمتعة الحلوة حتى يؤذن آخر الليل بقرب مجيء الفجر ليبدد حجب الظلام، فينهض كيوييد وينصرف، وعندئذ تملكها الكآبة والحزن، وتستسلم للموعها الخزيرة تبلل بها فراشها، فيعود إليها كيوييد يقول: «تكفني دمعك الغالي يا سيكي، ولا تكتئي يا عزيزتي، فسوف أعود اليك في الليلة القادمة، وإنك لآمنه مطمئنة هنا في هذا القصر الجميل الذي شيدته خصيصا لك. وكل ما تريدينه أو تحتاجين إليه، ستجدينه هنا. فما من شيء ترغبين فيه إلا وفرت له لك هنا». ثم ينصرف ثانية فلا تراه حتى يخيم الظلام.

كانت سيكي تتسم ابتسامه السعادة، وتتفرج أساريرها بعد انقباض، وتشعر بالهناء والغبطة، فتنام ملء جفניה حتى تغمر مخدعها أشعة الشمس الذهبية، فتنبه بضوئها الساطع الفياض وتبعث الدفء في جوانبه. وعندئذ

تنهض من فراشها وتطلق مرحلة في أرجاء القصر، تتناول طعامها، وتخرج إلى الحديقة تقضي فيها نهارها تلعب بالأزهار، وتتاجي الطيور وهي تملأ الجو بتفريدها العذب الشجي، وتجري بين الأشجار والزهور، تنتظر مجيء الليل بصبر نافذ، ليأتي زوجها الحبيب فيضمها إلى صدره وقد طوقها بذراعيه القويتين، ويرتشف رضاب الشفاء ويقضم تفاح الخدود ورماد النهود.

كان إله الحب يجيء إلى زوجته الرائعة الجمال كل ليلة، ويسعد بها بصوته الرخيم الناعم، وهداياه العديدة الثمينة الحبيبة إلى نفس كل فتاة.. ولكن سيكي لم تكن لترى وجهه قط. كما أنها لم تعرف شيئا عن شخصيته. ولم تحاول التفكير فيمن يكون هذا الزوج العجيب. كأنها سعيدة معه أي سعادة.. ولكنها سرعان ما أدركت أن الأيام بدونه طويلة غاية الطول، لأنها تتوق إلى صحبته الدائمة.

كانت سيكي سعيدة في تلك المنطقة النائية القصية. ولكنها لم تكن تعلم شيئا عن أسرته وأخواتها، وعاودها الحنين إلى شقيقاتها، وأشتاقت إلى رؤيتهن. فتوسلت إلى كيوييد ذات ليلة، أن يسعي إلى إحضار شقيقاتها إلى قصرها لتراهن إذ تأقت إليهن، وهي وحيدة في ذلك المكان المنعزل البعيد عن العمران، وإن حديثها إليهن ليذهب عنها وحشتها، ويخفف عليها عزلتها ويرقِّع عن نفسها ويسليها، ويزيد في بهجتها وسرورها.

فقال كيوييد: «يا لسذاجتك وطيبة قلبك، يا سيكي! إنهن لن يجلبن لك إلا المتاعب والآلام والتعاسة، ومن الخير لك أن تنسوين إلى الأبد، وتمتعي بالسعادة هنا وحده، فلو جئت إلى هنا، ورأيت ما أنت فيه من هناة ونعيم مقيم، لأكلتهن نار الغيرة المتأججة، ولسعين في تنقيص عيشك».

لم تنصح سيكي بقول كيوييد، ولم تكتمل سعادتها إلا عندما وعدوا بأنه سوف يحضر إليها شقيقاتها.. ومن ثم، أرسل الريح الجنوبية ذات صباح لاحضارهن. فما هي إلا غمضة عين حتى كانت الشقيقات في الحديقة وقد

اعتزتن الدهشة والذهول ولم يعرفن أنهن في عالم الحقيقة أم في عالم الخيال، فأخذن يتجولن حول القصر بين الأشجار. وهالهن عظمة تلك الحديقة الغناء، وذلك القصر المنيف الباذخ..

كانت سيكي تنزه في روضة قصرها ذلك الصباح، فإذا بها تبصر شقيقتها، فجرت نحوهما وتعانقن طويلا وأمطرت كل واحدة منهن الأخرى بالقبلات الحارة. ثم صحبتهما إلى داخل القصر، فإذا بهما تريان ما لم ترياه من قبل، لا في قصر والدهما، ولا في غيره من القصور. فهذه تحف بديعة ليست من صنع البشر. وتلك نقوش جميلة لم تخطها يد إنسان.. وأعجبين كثيرا بالفن والفنانات النادرات. وبعد أن طفن بأرجاء القصر وجوانبه، دعت شقيقتها إلى تناول طعام الإفطار.

دخلت الشقيقتان عندما رأتا سيكي تصدر أوامرهما دون أن يكون هناك خدم أمامها، فإذا المائدة تمد حافلة بشئ ألوان الأطعمة الفاخرة والحلويات النادرة والفواكه الناضرة والأشربة العاطرة، في صحاف من الذهب وأنية مرصعة بالجوهر.

فرحت سيكي بشقيقتها أيما فرح، وأخذ ثلاثهن يتجاذبن أطراف الحديث في أثناء تناول الطعام، وكل منهن تسأل ماثات الأسئلة وتلهف لمعرفة ما ليس لها به علم. فسألت الشقيقتان أختهما الصغرى عما جاء بها إلى هذا القصر العظيم المتألق الواسع، وقد اتقدت الغيرة في قلبيهما نارا متأججة.

فقد كان بيتهما حقيرا وضيقا إذا قورن بهذا القصر الباهر الرائع الموثث في كثير من الترف والبدخ.

فأجابت سيكي قائلة: «أعطانيه زوجي الحبيب.. إنه لا يدخر وسعا في جلب الهناء إلى نفسي وتلبية سائر طلباتي وإنه ليحييني جبا جبا».

زوجها! هل تزوجت؟ كيف ذلك، ومتى؟.. دارت هذه الأسئلة

بخاطرهما، وشرعت عقارب الغيرة والحسد تلسع جسدتهما في كل موضع. حتى أحستا بأنهما لا تطيقان ما عليهما من ثياب، وأخذتا تتململان في مقعديهما الناعمين كأنما تجلسان على شوك شائك، فسألتهما بقولهما: «وما شكل ذلك الزوج العزيز؟».

عقدت الحيرة لسان سيكي وارتبكت، لا تدري بماذا تجيب على سؤالهما.. وحق لها أن ترتبك، فإنها لا تعرف عنه شيئا، ولم تبصره عينها.. وأخيرا قالت لهما: «إنه رحيم ودود».

فقال الشقيقتان الخيبتان: «ولكن ما شكل وجهه؟ أهو شاب أم كهل؟ وسيم أم دميم؟ وأين هو؟ ولماذا لم يأت ليحيينا؟». مسكينة سيكي لم تعرف بم ترد على أسئلة شقيقتها.. ولا حظت الشقيقتان حمرة الخجل تملو وجه سيكي، وأنها تخفض عينها حيرة وارتباكاً.. فأدركتا لتوهما أن هناك سرا غريبا تحتفظ به، ولا ترغب في إطلاعهما عليه.. وقررتا في نفسيهما الوقوف على حقيقة هذا الزوج العجيب مهما كلف الأمر. فراحتا تمطرانها أسئلة عدة عن زوجها، حتى اضطرت سيكي في آخر الأمر، أن تعترف بأنها لا تعرف شكل زوجها، وأنها لم تره في حياتها.

قالت: «عندما ينشر الظلام أجنته على الكون، وتمتع الرؤيا يأتي إلي زوجي، ولا يسمح لي برؤية وجهه.. ولكن هذا لا يهمني في كثير أو قليل، لأنه مثال الطيبة والإخلاص والثبات في الحب، ولذا لا أرغب في معرفة شخصيته، يكفيني هذا».

زاد حسد الأخنتين لها، فقالت إحداهما: «لا يسمح لك برؤية وجهه، ولا يأتي إلا في الظلام! لا بد أن في الأمر شيئا يخافه، وإلا لما حجب نفسه عنك.. لا بد أن يكون وحشا، ولذا يمنعك من رؤية وجهه.. ثقي بأنه وحش كتيب الخلقه بشع المنظر، أليس كذلك يا أختاه؟ ووجهت كلامها إلى شقيقتها الأخرى.

فأجابت هذه بقولها: «نعم، وإنك لعلی حق فيما تقولين. إن الوحوش

تتظاهر بحب الفتيات حتى يأمن لها، وعندئذ تلتهمهن في إحدى الليالي
وهن مستغرقات في النوم.

فقال سيكي: «لا، لا يمكن أن يكون كذلك. إنه رقيق لطيف، ولا
يستطيع الوحش أن يتظاهر بالركة واللطافة طيلة هذه المدة... و... و...»
ثم انخرطت في البكاء وقد بدأ الشك يتسرب إلى نفسها، والهلع يمتلك
فؤادها.

فقال الأختان: «يجب أن تأخذي حذرك.. استمعي لنا، وسنخبرك
بما يجب أن تفعلي. أعدي مصباحا وسكينا قبل أن تغرب شمس هذا
اليوم. وعندما يأتي زوجك. ويسلم للكرى جفنيه، أشعلي المصباح
وانظري إلى وجهه.. فإذا كان وحشا حقيقة، اغمدي السكين في قلبه قبل
أن يلتهمك».

صمتت سيكي برهة، تفكر، وقد بدأت تساورها الشكوك، ثم قالت:
«سأفعل بما تأمراني به.. والآن أرجو أن تصرفا، فقد أتعستمانى، وأفضل
الاعتكاف وحدي، والاختلاء إلى نفسي».

عندئذ أسرع الرياح الجنوبية تحمل الشقيقتين إلى منزلهما تاركة سيكي
المسكينة تبكي وحدها في حرارة ومرارة. وقد تبليت أفكارها فقالت في
نفسها: «حقيقة، لا بد أن يكون وحشا! لماذا لا يريدي أن أرى وجهه، أو
أعرف اسمه؟ لا بد أن أعد المصباح والسكين كما أشارت عليّ شقيقتاي.
لأرى بنفسى من يكون هذا الزوج».

أحضرت سيكي مصباحا.. وضعت فيه كمية من الزيت، وفتيلا،
وأعدت سكينا، ثم أخفتهما وراء ستارة مجاورة لسريها، وانتظرت مجيء
زوجها وقد دبرت في نفسها أمرا، ولكنها كانت تتنفض ذعرا وترتعد فرقا
وخوفاً.

عندما خيم الظلام على الكون، وأخذ غراب الليل يثر النجوم في رقعة

السماء حتى اكتمل عقدها وانتظمت في أماكنها، أقبل كيوييد كعادته،
فاستقبلته سيكي وهي تتكلف الابتسام لتخفي ما يشغل بالها ويقض
مضجها، فطرقها بذراعيه وضمها إلى صدره المتلطف المشتاق، وأخذ
يوسعها عنقا وتقبلا، ويتحسس شعرها الناعم السط. ولكنها لم تقابل
حبه بالمثل خشية أن يكون وحشا كما قالت أختها..

أبصر كيوييد سيكي واجمة مأخوذة، على غير عاداتها، فتبدلت بهجته
وجوما واستحال وجهه كآبة وتقطيا. ولكن سرعان ما غلبه النوم، إذ كان
متعبا.

ما إن أبصرته سيكي يستغرق في سبات عميق، حتى أدركت أنه استسلم
للنوم، فقامت مترددة مرتجفة، وأشعلت المصباح وأمسكت السكين
بيدها.. ثم حملت السراج فوق وجه كيوييد، ومالت بوجهها تدقق النظر
في وجهه، متوقعة أن ترى وحشا مخيفاً، كتيب الخلقة، بشع التكوين،
كأقبح ما تكون الوحوش.

ولكنها رأت ما أذهلها، وأدخل السرور إلى نفسها، وشرح صدرها..
إذ رأت فتى يافعا حلو القسمات، رائع التقاطيع، جميل الخلقة، يفوق
الغيد الحسان جمالا وبهاء، ذهبي الشعر.. ويريز من كتفيه جناحان في
بياض الثلج.

أذهلت المفاجأة سيكي، فارتعدت فرائص وأعضاء، واهتزت يدها
بالمصباح. فسقطت قطرة من الزيت الساخن فوق كتف الرب النائم،
فاستيقظ من شدة الألم.. ثم حمل في سيكي مدهوشا وسرى الحزن بين
ضلوعه. ولما أبصر السكين في يدها ذهل وبهت وزادت كآبته وهمومه.

وثب كيوييد من الفراش، والنقط قوسه وسهامه، وانطلق من الشباك
يطير في الفضاء.. قائلا إيان طيرانه:

«وداعا! وداعا! فلن آتى اليك بعد اليوم».

أخذت سيكي تعض بنان الندم. وراحت تبكي تعاستها وتندب حظها وأنشأت تلحن الساعة التي التقت فيها بشقيقتها، وتنحي على نفسها باللائمة إذ حذرهما زوجها من أختيها فلم تصغ إلى نصحه وألحّت في حضورهما. ولكن ما فائدة كل ذلك، وقد سبق السيف العذل؟

وفجأة هبت ريح قوية عاتية، زلزلت القصر من أعلاه إلى أساسه، فنصدع وتداعت حوائطه، فأسرعت سيكي تجري إلى الحديقة مرتاعة لمتاعة، حيث سقطت مغشيا عليها فاقدة الوعي، وراحت في غيرة.

فلما أفاق فتحت عينيها، كانت الشمس قد توسطت كبد السماء.. ونظرت حوالها فلم تجد للقصر أثراً، ولا للحديقة بقية، بل حل محلها بركة واسعة الفلاة كثيرة الصخور والرمال.

نهضت سيكي على قدميها، وتطلعت حوالها، فلم تدر إلى أين تذهب أو ماذا تفعل.. وأخيراً شرعت تتجه نحو الغرب أملو أن تعثر على زوجها، وتطلب منه الصفح والغفران.

طفت سيكي تسير على غير هدى. وظلت تقطع الفيافي تبكي بدمع لا ينقطع. وتسال كل من تقابله في طريقها عن كيوييد، عسى أن يكون قد أبصر به بعضهم. ولكن دون جدوى، فما من أحد رآه أو سمع عنه ممن رآه.. وأخيراً التقت بالربة كريس التي ما إن تذكرت الحزن العميق الذي اجتاج فوادها يوم أن فقدت ابنتها بروسيريينا، حتى أحست بالإشفاق على الفتاة الباكية.

قالت الربة لسيكي: «إن كيوييد مع أمه، الربة فينوس. إنه مريض بالحمى، إذ احترقت كنفه، وتؤلمه ألماً بالفا برّح به».

سمعت سيكي هذا فها لها ما فعلت.. وراحت تبكي بحرقة أكثر من ذي قبل، لأنها كانت تعلم أنها هي التي فعلت به هذا بحماقتها وانخداعها بقول شقيقتها الحاقدين.

فسألته سيكي قائلة: «وماذا عساى أن أفعل أيتها الربة الجليلة الرحيمة؟ هل يمكن أن تصفح عني فينوس يوماً ما؟».

ف قالت كريس: «قد تعفو عنك.. إذهبي وأطلبي منها الصفح. كانت تغار منك منذ زمن، لأنك جميلة. أما الآن فهي غاضبة منك، حاقدة عليك، لأنك سلبتها فلذة كبدها، وأحدثت بكنته جرحاً بالفاً».

انطلقت سيكي حتى بلغت مسكن الربة فينوس. فسجدت أمامها وسألته العفو، قائلة: «اصفحي عني، أيتها الربة.. واجعليني خادمة لك. ولسوف أخدمك بإخلاص، وأكون لك عبدة أيتها الربة العظيمة».

كانت فينوس غاضبة أشد الغضب، فقرقارها على أن تسخر سيكي في أشق الأمور وأصعبها، وتطلب منها القيام بأعمال تعجز عنها كل العجز.

قادت الربة سيكي إلى كومة شاهقة من القمح والشعير والفول والحمص والذرة، ثم قالت لها: «افصلي هذه الحبوب، بعضها عن بعض، جاعلة كل صنف على حدة.. وانجزى هذا العمل قبل أن تغيب الشمس.. فبمثل هذه المهام فقط يمكنك أن تحصلي على زوجك، أيتها الفتاة المغرورة الحمقاء».

مسكينة هذه السيكي! كانت تعلم يقيناً أنها لن تستطيع قط أن تفصل حبوب تلك الكومة، وتنتهي منها قبل المساء.. فجلست تبكي بأساً وكمداً..

سمعت نملة بكاءها، وأحست بالعطف عليها، فأسرعت إليها لتعلم خبرها، وماذا يبكيها. فلما عرفت جليلة الأمر، انطلقت تستدعي سائر النمل.. وراحت الحشرات الصغيرة العديدة تعمل طول النهار من أجل سيكي، تحمل كل صنف من الحبوب إلى مكان منفصل.. فما غربت الشمس حتى كان العمل قد أنجز.

دهشت فينوس لهذه المعجزة. وصاحت في سيكي غاضبة تقول: «لم

يتم هذا بفعل يديك» ثم ألقت إليها بكسرة من الخبز الجاف، وتركتهما وحدهما في الظلام.

وفي صباح اليوم التالي، جاءتها فينوس ثانية، وأرتها تلا مرتفعاً على قمته قطع من الأغنام المفترسة، ترى وسط أشجار العليق... ثم قالت لها: «إن هذه الخراف مفترسة كالأسود تماماً، وإني أريد أن تحضري لي ملء قبضة اليد من صوفها... اذهبي وأحضريها».

صعدت سيكي التل المرتفع الشديد الانحدار، بيد أنها ما كادت تقترب من الكباش، وترأها تتناطح في شراسة ووحشية، حتى ارتعدت فرائصها خوفاً وذعراً. وفي هذه اللحظة سمعت صوتاً رقيقاً عذبا يتحدث إليها من بين مياه جدول قريب... قال الصوت: «لا تقتربي من الكباش، آيتها العذراء، والشمس شديدة اللظى... فعندئذ تكون في أشد وحشيتها، ولا تردد عن افتراسك والفك بك، وإنها لموتوحشة ضارية كما رأيت. لذلك انتظري إلى أن تسقط الظلال على جوانب التل، وعندئذ سترقد الكباش لتستريح. فيمكنك أن تصعدي إلى أشجار العليق وتلتقطي ما علق بها من الصوف الذهبي اللون، وما علق بالأشواك».

انتظرت سيكي حتى وقعت الظلال على جانب التل حيث كانت الأغنام تتقاتل وتتطاحن، ويفترس بعضها البعض الآخر في وحشية ما بعدها وحشية. ولكن ما إن سقط الظل حتى همدت الكباش في سكون واطمئنان، كأنما قد عقدت هدنة فألقت سلاحها... فلما أبصرتها سيكي، قد خلدت إلى الهدوء والمسالمة، تسلمت صاعدة إلى التل، وجمعت كمية من الصوف العسجدي اللون، ملء اليد.

تنفست سيكي الصعداء، وانفجرت أساريرها بعد العبوس عندما أمكنها أن تجمع الصوف الذي طلبته فينوس، غظاً منها أن متاعها تنتهي عند هذا الحد. فانطلقت تجري إلى الربة تحمل ما جمعت من صوف... غير أن فينوس قطبت جبينها وغضبت عندما ألفتها قد أنجزت مهمتها، كأنما كانت تريد أن فترسها الكباش فتخلص منها ومن جمالها الذي ينافس جمالها.

فقال لها: «إنك لم تقومي بهذا العمل وحده... فللمرة الثانية جاءتك المساعدة والعون. وكان يجدر بك أن تؤديه دون معاونة أحد... وعليه سأكلفك غداً بمهمة لا يستطيع أي فرد أن يساعدك في أدائها».

بقيت سيكي طيلة هذه الليلة تبكي، وتحسب ألف حساب لمهمة الغد، حتى مضى الليل أكثره، ثم استسلمت لما يأتي به القدر، وأغمضت عينيها، واستغرقت في النوم حتى خرجت شمس الصباح من خدر أمها، فاستيقظت وذهبت إلى فينوس لترى ما تطلب منها.

صحبت فينوس سيكي إلى مجرى ماء أسود، يتدفق بقوة من حافة جبل ناء... ثم أمرتها قائلة: «خذِي هذه القارورة البللورية، وإصعدي بها إلى حيث ينبثق الماء، واملئها منه، وعودي إليّ بها قبل أن تغرب الشمس». سارت سيكي في طريقها إلى الجبل، حاملة القارورة، وهي لا ترى في هذا العمل أية خطورة ولا مشقة... بيد أنها ما كادت ترتقى الجبل، وتصعد في جانبه حتى أبصرت ما أفزعها وروعها، وجعلها تتخاذل أمام هذا العمل الذي خالته سيرة هيئاً. إذ رأت أفوانات ضخمة مفترسة تحرس الطريق إلى مجرى الماء. وتفتك بكل من يريد الوصول إليه أو الاقتراب منه.

ارتاعت سيكي ووجلّت وقالت: «ويحي، أنا الشقية، جلبت البلاء على نفسي بنفسي، فما هو ذا كل مصيبة تأتيني أعظم من الأخرى». فوقعت على الأرض من شدة الهول، وحارت في أمرها لا تدري ماذا تفعل، ولا كيف تفر من تلك الأفوانات.

كان في تلك الأثناء صفر كبير يحوم في الجو حول هذه المنطقة فأبصر سيكي المسكينة ترتعي على الأرض، فأشفق عليها وصمم على مساعدتها مهما أصابه، فهبط إلى جانبها، وخطبها بقوله: «أيتها الفتاة الحمقاء، ماذا تفعلن هنا، عودي أدراجك قبل أن تتبتلك هذه الأفوانات... فليس في مقدورك أن تسرفي قطرة واحدة من التبع المقدس، فإن الحراسة عليه شديدة، والطريق إليه وعر مليء بالمخاطر».

خالدة.. ثم أقيمت وليمة الزواج فوق جبل أولمب. وهكذا تزوج الحبيبان أمام جميع الآلهة.

عادت سيكي ثانية إلى قصرها العجيب، وعاشت مع كيوييد في سعادة وهناءة، وما عادت تراه بالليل فقط، إنما ليل نهار.



فيثوس أرسلت ابنها كيوييد ليقتل سيكي، التي اشتهرت بجمالها

نظرت سيكي إلى الصقر في يأس وقنوط، ولكنه كان قد عول على مساعدتها وإنقاذها من ورطتها، فأخذ القارورة البللورية من يدها، وأمسكها بمقارنه القوي، وارتفع بها في الفضاء حتى غاب عن الأنظار.. وما هي إلا فترة قصيرة حتى عاد إليها بالقارورة مملوءة بالماء البارد المتلج. ملاها من المجرى المتدفق.

ما كان أشد غبطة سيكي وفرحها عندما أمكست بالقارورة وفيها الماء المقدس، فطفقت تشكر للصقر ذلك الصنيع، وكان شكرها ما يخرج من أعماق قلبها معبرا عن صدق امتنانها.. ثم طار الصقر ثانية واختفى في الجو بعيدا.. وشرعت بعد ذلك سيكي تهبط الجبل في عناية وحذر فانتقن خشية أن تزل قدمها فتتكسر القارورة وتكون الطامة الكبرى.

تناولت فيثوس قارورة الماء المقدس، وأرغت وأزبدت وأخذت تكيل للفتاة المسكينة أقسى عبارات التقرع والتأنيب، وراحت تتفنن في تعذيبها وتكليفها بالمهام الشاقة الصعبة الأداء، حتى شحب وجه الفتاة ووهن جسدها تعباً وإرهاقا.

كان كيوييد طوال هذه المدة راقدًا في قصر أمه، مريضاً بالحمى.. غير أنه ذات يوم، طار من النافذة، عندما بلغه أن أمه تلقي زوجها العذاب صنوفاً وألواناً. فوجد سيكي مغمى عليها في الطريق العام تتجلى في ملامح وجهها أمارات التعب والإعياء، وعلامات الكآبة والهم والتعاسة.. فامتلاً قلبه شفقة وعطفًا عليها.. فقلبها في حنان ورقق، فاذا بها تفتح عينيها.

كم كانت الغبطة التي غمرت قلب سيكي الآن بالغة عندما رأت زوجها الحبيب من جديد وسمعت صوته يتودد إليها بعبارات الشوق والهيام.

أمرها كيوييد ألا تخاف بعد ذلك، ثم أخذها معه إلى الأولمب، جبل الآلهة، حيث توسل إلى جوبيتر أن يسمح لها بتناول شراب الآلهة كي تصبح خالدة مثله.

وافق جوبيتر، وتناولت سيكي كأساً من الشراب العجيب، فغدت

أثينة الاهة المرب

وتسمى أيضا بلباس أثينة وكانت في الأصل ربة مبنوية، ويعتد ربة موكنية، واسمها نفسه ينتهي مثل موكني، بنهاية غير مألوفة في اليونانية، وقد شيد أشهر معابدها على الأكروبول بأثينا مكان قصر موكني قديم، يعرف في الإلياذة باسم بيت إرخيوس. وقد تظهر أحيانا، مثل ربات كريت، في صورة طائر، وبخاصة البومة التي اقترنت بها في العبادة خلال العصر التاريخي. ولهذا وصفت أثينة «بذات العينين المشابهتين بعيني البومة» أو البراقين أو الخضراوين خضرة الزيتون أو ماء البحر وتشبه تماثيلها الغريبة، وهي تماثيل إناث مسلحات، الربة الموكينية المسلحة بالدروع. ومن هذا كله نستخلص أنها كانت الربة الحارسة لملوك كريت وموكنيا بالذات. ومن المرجح أن رعاياهم قد عبدوها وأخلصوا لها العبادة. وعلى أي حال فقد ظلت تحتل مكانة سامية في الأجيال التالية.

ويروي كهنة أثينة نفسها قصة غريبة عن والدها، فيقولون إن زيوس أشتهى ميتس، وهي الربة العظيمة من الجبابرة، وابنة أورانوس أي السماء، وجايا، أي الأرض، غير أنها تنكرت في صور مختلفة حتى تهرب منه، ولكنه تمكن منها في آخر الأمر وأنجب منها طفلا. وأعلنت نبوءة «الأرض الأم» أن المولود انثى، وأنه إذا حملت ميتس مرة أخرى فستلد ذكرا يطيح بعرش أبيه، مثلما أطاح زيوس بكرنوس وأطاح كرونوس بأورانوس. واحتاط زيوس للأمر فأخذ يغوي ميتس بكلام معسول حتى استكانت له، ولكنه ففر فاه فجأة وابتلعها. هكذا كانت نهاية ميتس، وإن زعم زيوس أنها ظلت تمدد بالنصيحة والرأي السديد من داخل بطنه. ولم يلبث كبير الآلهة

أن أصابه من جراء ذلك صداع شديد بينما كان يسير على شواطئ بحيرة تريتون، حتى أحس بأن رأسه على وشك الانفجار، فأخذ يعوي كالمجنون عواء هائلا رجعت السماء صدها، وهرع إليه هرميس الذي أدرك من فوره سبب ألمه وتعبه. وما زال بأخيه هفايستوس حتى أقنعه بضرورة تخليص أبيهما من عذابه. وعندئذ هوى هفايستوس بنفسه على رأس زيوس وشجها، فانثقت منها أثينة. وقد خرجت الربة منها مدمجة بالدروع نصيح صيحة الحرب التي ارتجفت لها الأرض والسماء. وارتاع منها الآلهة، وزلزل جبل أولمبيوس، وهاج البحر وماج.

وقد أصبحت أثينة بعد مولدها المعجب أحب الأبناء إلى قلب زيوس حتى أنه كان يعهد إليها أحيانا بحمل درعه المخيف وترسه الرهيب وصاعقته المهلكة. وكانت أثينة زعيمة الربات الثلاث اللاتي لم يتزوجن أبدا حتى أنها لقيت بالفتاة العذراء، وعرف معبدها في أثينا بمعبد العذراء. فإذا وصفت أحيانا بالأم، فإن هذا لا يعني سوى أن الأمهات كن يتعبدن لها، مثلما كانت هيرا، مع أنها زوجة زيوس، توصف بالفتاة والزوجة والأمرل. أو لعله يعني أنها كانت في الأصل، أي في الفترة قبل التاريخية، ربة متزوجة وأمًا، وإن حاول الأثينيون طمس هذه الحقيقة لأنهم جعلوا من ذرية أثينة رمزًا على استحالة قهر مدينتهم. وقد توحى الأسطورة التالية بوضع الربة القديم.

فقد رغب الإله هفايستوس في الزواج من أثينة إما بدعوى أنه كان له فضل كبير في ميلادها، أو في مقابل أسلحة صنعها لها في الحرب الطروادية عندما رفض زيوس إعارتها أسلحته لوقوفه على الحياد. أدخل بوسيدون - إله البحر - في روعه أن الربة راغبة فيه، وأن أباه راض عن زواجها منه. غير أن زيوس في الواقع ترك لابنته الخيار في أن ترفضه إذا شئت. وعندما هم بها هفايستوس تمتعت عليه فانقض عليها يريد اغتصابها. وثار بينهما نزاع شديد وصراع عنيف سقط خلاله لقاح الإله على ساقها، فنفضته عنها في اشمتراز بقطعة من الصوف، فسقط على

الأرض: ونبتت الأرض طفلاً نبذته «الأرض - الأم»، فاحتضنته أئينة وتكلفت به وأسمته إريخثونيوس. ولكي تتحاشى شماته بوسيدون فيها وتحرمه لذة التفكه بنجاح خدعته، فقد أخفت هذا الطفل في سلة أو صندوق مقدس وعهدت به إلى جلاوروس كبرى بنات ككرويس ملك أئينا الذي كان نصفه إنساناً ونصفه الآخر ثعباناً، وأوصتها بأن تحفظه وديعة عندها. غير أن الفضول دفع أم جلاوروس وأختها إلى إزاحة الغطاء عن الصندوق ليشاهدن ما في داخله. وقد هالهن أن رأين طفلاً له ذيل ثعبان بدلا من الساقين، فتملكهن الفزع، وولين الإديار قاذفات بأنفسهن من أعلى الأكروبول. ولما علمت أئينة بهذه الفاجعة، حزنت حزنا شديداً حتى أن الصخرة الهائلة التي كانت تحملها آنذ لتدعم بها حصن الأكروبول أفلتت من يديها فانحرفت بعيدا حيث أصبحت جبل ليكابيتوس المتاخم لأئينا.

وأما الغراب الذي نقل إليها الخبر فقد بدلت لونه الأبيض باللون الأسود، وحرمت على الغربان جميعاً أن تحوم فوق الأكروبول. وقد لاذ إريخثونيوس بدير أئينة التي سهرت على تربيته وذلك حتى ظن البعض أنها أمه. ولما شب طفل الأكروبول المقدس وصار رجلاً يافعا ارتقى عرش أئينا حيث أدخل عبادة الربة، وعلم مواطني المدينة استعمال الفضة، وابتكر العجلة الحربية ذات الجياد الأربعة. ولهذا قيل إن صورته ظهرت في السماء بين الكواكب باسم الأوريجاس أي الساق.

ولم تتنازع أئينة وهفاستوس فقط، بل تنازعت أيضاً وبوسيدون إله البحر، وهو نزاع مشهور ثار حول امتلاك أرض أتيكا. واحتدمت المناقشة فرأى بوسيدون أن يظهر آيته، وضرب بحرته المثلثة الشعاب صخرة الأكروبول فتصجرت منها عين ماء أجاج كماء البحر، ثم انبثق منها الحصان. وأما أئينة فكانت آيتها شجرة الزيتون التي غرستها في أتيكا لأول مرة. ولذلك حكم شعب أئينا أو بالأحرى ملكها كرويس في صالح الربة لأنها وهبت البلاد ما هو أنفع. وأثار ذلك الحكم غضب بوسيدون فأغرق

بماء البحر سهل ثريا. ولكنه تصافى والربة في آخر الأمر ورضي عن أتيكا، وأصبح يلقى في أئينا عظيم التكریم. ولما كانت أئينة في الأصل نصيرة ملوك كريت وموكنياني وحامية ذمارهم، فقد ارتبطت بالقلع، وبالتالي ارتبطت بالمدن نفسها، ولذا اشتهرت بأنها «ربة المدينة الدولة» وربة أئينا بالذات التي لا يعدو اسمها أن يكون الواقع اسم الربة في صيغة الجمع. على أنه من الخطأ الاعتقاد أن أئينا وحدها كانت مدينتها المقدسة، فقد كانت أرجوس واسبرطة وطروادة مدناً مقدسة لدى هذه الربة.

ومع أن أئينة لها صلة وثيقة بالماء كما يتبين من لقبها، فإن أبرز اختصاصها كان في ميدان القتال. لقد كانت أئينة ربة محاربة بوجه عام، مثلما كان أريس إلهاً للحرب. ولهذا تظهر في الإلياذة كإلاهة خبيرة بالخطط العسكرية، مقاتلة شديدة العراس، قد تتسم أحيانا بالقسوة والشراسة عندما يملكها غضب عنيف. وهذا، وإنها لم تكن تقاتل إلا من أجل بطلها أو فريقها المختار فتقوده إلى المعركة أو تبسط عليه حمايتها مثلما تبسط محارب قوي حمايته على الضعيف.

على أن دفاع الربة عن مدينة أئينا لم يقتصر على وقت الحرب فقط، بل تعداه إلى وقايتها من شتى الأخطار في وقت السلم أيضاً. ومن ثم فقد اعتبرت أحيانا مبتكرة لبعض معدات القتال كالعجلة الحربية وبقوق الحرب واللجام الذي يروض الإنسان به الجياد. ومع أنها كانت ربة للحرب إلا أنها لم تكن تبتهج بالقتال كآريس وإيريس، ربة الشقاق، بقدر ما كانت تبتهج بحسم النزاع ومناصرة القانون بالوسائل السلمية. فهي لم تحمل السلاح في زمن السلم. فإذا احتاجت إليه استعارته من زيوس. وكانت ربة رحيمة القلب، فإذا تساوت أصوات المحلفين في قضية جنائية أمام محكمة الأريوياجوس، أدلت بالصوت الذي يرجح كفة البراءة على الإدانة. وعندما فأجها تيريسياس مرة وهي تستحم، وضعت كفيها على عينيه فسلته البصر، غير أنها وهبته عوضاً عنه عكازاً سحرياً ليقوده وعمرًا مديدًا، ووهبته، وفوق ذلك كله، نفاذ البصيرة، فأصبح من أشهر العرافين.

ناركيسوس عاشق نفسه

كانت إخو حورية ذات وجه باسم وضاح، وعيتين نجلاوين وجمال رائع، تفتح فيها الشباب، وجرى فيها ماء النضارة. ولم تكن كسائر الحوريات، بل كان لها شغف خاص وهوابة معينة. . كانت ذات صوت رخيم شجي، عذب الثبرات، حلو النغمات، لذا كانت تعجب بصورتها إلى درجة أنها نادرا ما كانت تكف عن الغناء أو الكلام أو الثرثرة، لتسمع كل فرد ذلك الصوت الذي حبتها به الآلهة.

وبيتما هي تسير ذات يوم في الطريق، إذ قابلت الربة جونو، فراحت تحدثها حديثا طويلا لا ينتهي، وكلما أرادت جونو أن تسد عليها أبواب الكلام، فتحت إخو بابا آخر وأخذت تثرثر فيه وتطيل، وتكرر وتعيد، حتى سئمت جونو حديثها، فأبنتها على ثرثرتها، وأخبرتها بأن ذلك لا يليق بحورية فاتنة مثلها، وأمرتها بأن تكون رقيقة في حديثها، تزن الكلام قبل أن تنطق به، ولا تتكلم إلا بالضرورة من الألفاظ، فخير الكلام ما قل ودل.

استشاطت إخو غضبا، وزمجرت وطار الشر من عينيها، وعَدَّت ذلك إهانة بالغة من الربة، وردت عليها ردا جافا لا ذوق فيه ولا أدب. إذ أكبرت من جونو أن تنهرها عن الاسترسال في إظهار محاسن صوتها، وإبراز نبراته العذبة. وركبها الغرور القاتل، فشق عليها أن تؤنبها إحدى الربيات، وهي الحورية الباربة الجمال، الرائعة الإغراء، ذات الصوت الشجي الذي لا تمتنع بمثله حورية ولا سيدة من البشر، بل ولا أية واحدة من الربيات.

ويحك يا إخو! ما هذا الحق؟ ألم تعلمي أن جونو هي عظمى الربيات، وزوجة جوبيتر والد الآلهة والبشر؟ ألم تُذَرِ أن في استطاعتها أن تسحقك

ولما كانت ربة مدينة أثينا التي أحرزت فيها الصناعة تقدما ملحوظا، فقد أصبحت أيضا راعية للحرف والصناعات، وبخاصة صناعة الغزل والتسيج والخزف والأشغال النسوية بوجه عام. وفي الحق إنها غدت معبودة الصانع على اختلاف مهنتهم، فاعتبرها صانعو القفار وصانعو الذهب والحدادون معلمة لهم. ولا عجب إذن أن لقيت أثينة براعية المهن الصناعية، وتداخلت اختصاصاتها إلى حد ما واختصاصات هيفيستوس، الأمر الذي يفسر ارتباطها به في الأساطير. وكان من الطبيعي أيضا أن تتطور أثينة، بوصفها راعية المهن الفنية، إلى ربة للحكمة في الأجيال التالية. ولعل منشأ هذا التطور يرجع إلى أيام هيبودوس الذي يروي عن مولدها قصة مختلفة فيقول إنها ابنة ميثس، ربة الرأي السديد التي فاق علمها علم الآلهة والناس أجمعين. كذلك ارتبطت أثينا بربة الصحة فلقيت باسمها في بعض الأحيان. وكانت ربة النصر ذات الجناحين، وهي فكتوريا عند الرومان - أشهر الربيات اللاتي سرن في ركابها، وما تزال أطلال معبد هذه الربة قائمة فوق الأكروبول.

ولقد صورها الإغريق حسناء ممشوقة القوام قوية البنية. . ساحرة الجسد، تلتف في ثوب فضفاض منسدل حتى قدميها، تغطي صدرها عادة بدرع محفور عليه صورة صديقتها بالاس التي قتلتها وبكتها، وعلى رأسها خوذة وتمسك الرمح بإحدى يديها ورمز النصر باليد الأخرى.



سحقاً، وتحرك ما تتمتعين وتزهين به من مغريات ومفاتيح؟.. ولكنها هكذا ركبت رأسها.

غضبت جونو من وقاحه إخو، وأرادت أن تلتقها درساً فيه عبرة لغيرها، فقالت لها: «ما هذا الغرور، يا إخو؟ وما هذه الوقاحة؟ كيف تجرئين أيتها الحورية الحقيمة على مخاطبتي بهذه اللهجة؟ ألا تعرفين أنني جونو زوجة جوبيتر الذي يقذف بالصواعق، ويرعد في عليائه؟ عقاباً لك، ستفقدين صوتك الذي تعزين به وتباهين.. لن تكلمي بعد اليوم كلمة واحدة. وكل ما يمكنك أن تنطقي به هو ترديد لأواخر الألفاظ التي يتفوه بها الآخرون! انطلقى الآن واحتججى وسط اللال، وإياك أن تتجاسري على المجيء إلى هنا أو إظهار نفسك، إلا إذا أمرك أحد بذلك، هيا اغربي عن وجهي!». انطلقت إخو تجري وقد غمرها الحزن وعصف بقلبها، فانقلبت بهجتها هموماً، وتبدلت أفراسها وجوماً، واستحالت أمانها حشرات وترقرقت الدموع بين جفونها وفي نفسها، وامتلاً قلبها باليأس والقنوط.. ولما حاولت الكلام اكتشفت أنها فقدت صوتها العذب، وأنها لا تستطيع أن تقول أي شيء إلا متى سمعت الآخرين يتكلمون. وحتى في هذه الحال، ما كان في مقدورها أن تردد سوى آخر مقطع ينطق به هؤلاء.

قدم إلى اللال ذات يوم شاب يافع يدعى ناركيسوس، فارع الطول معتدل القوام، أبيض البشرة، وسيم الخلقة، جميل المحيا، يفوق الحوريات فتنة ورواء، وحسناً وبهاء، ذو شعر أسود قاحم سبط، ينساب فوق جبينه الأغر، وكانت عيناه اللامعتان تشعان ضياء وسناء، فضضفیان على وجهه إشراقاً دونه إشراق الشمس في كبد السماء.

كانت إخو واقفة خلف شجرة باسقة، فإذا به تلمح ذلك الجمال البارع، فها لها حسنه وبهاؤه، وخيل إليها أنها تنطلق إلى البدر الساطع في كامل استدارته. فقالت في نفسها: «رأه! ما هذا الشاب البهي؟ أيمكن أن يكون للذكور مثل هذا الجمال الخلاب، وهذه الفتنة الجذابة؟». وفي الحال أحست بشعور غريب يجتاح قلبها.

كانت لا تملك قياد نفسها، ولا زمام عواطفها.. لقد كانت مطية يسيرة للحب وفريسة دسمة للغرام، وأسيره ذليلة للهوى، وما كان سيد هيامها غير ذلك الفتى الذي انشقت عنه الأرض فظهر لها ليسلبها قلبها، ويعذب فؤادها ويسبي عينيها، ويفتك بحياتها، ويشغل بالها، ويبلبل أفكارها. لقد ألفت نفسها مستسلمة لعينه الدافنتين الساحرتين، فإذا به فتى أحلامها، وجل آمالها وغاية مناهها..

هكذا عرفت إخو الحب وذاقته لأول مرة.. علمها إياه، بلا معلم، هذا الشاب النضير، بما هو عليه من جمال فتان، وخلقة رائعة، وتكوين بدیع. تغلغلت جذور هذا الحب بسرعة في قلب إخو، وتعمقت وامتدت بين جوانحها وفي أعماقها، وودت لو أن هذا الشاب يبادلها حباً بحب، وغراماً بغرام، فيفهم بها كما تفهم به.. ولكن، هيهات! هيهات أن تحفظي بذلك يا إخو. فإنك محرومة من الظهور أمام الناس، والخروج من بين اللال.. فكيف يمكنه أن يرى وجهك الفتان، أو يلمح طلعتك المشرقة، وفنتك الفذة، وأنت محتجبة وراء الأشجار واللال؟ أتى لك أن تلقني أنظاره إليك وتجذبني قلبه نحوك بلحاظك الفتاك، وقد حكمت عليك جونو القاسية، بألا تخرجي من مكانك إلا إذا أمرك بذلك؟ ما كان أغناك يا إخو عن كل ذلك! إن الحكم لقاس مرير والعقاب رادع مهين.

اقتفت إخو إثر ناركيسوس، ولازمة كالظل دون أن يشعر بها. فما صعد جبلاً إلا صعدته خلفه، ولا مشى في طريق إلا مشى وراءه، إذ كانت متمية بهواه، لا تستطيع إلى فراقه سيلاً.

وأخيراً توقف ناركيسوس فجأة عن المسير، إذ بلغت آذانه وقع أقدام آتية من خلفه... فراح يتطلع حواله ذات اليمين وذات اليسار، وأمامه ووراءه.. ولكنه لم يصر أحداً، أو يتبين شيئاً.. فاستأنف سيره من جديد ليفتح ثانية بعد فترة وجيزة، وقد عرف يقيناً أن هناك شخصاً ما يقتفي أثره.

فصاح قائلاً: «من هناك؟»

«هناك؟» أجابت إخو مرددة آخر مقطع من سؤاله.

فقال ناركيسوس: «من أنت؟».

فأجابت إخو: «أنت؟».

ولما لم ير ناركيسوس أحدا، رغم سماعه صوته، غضب وصاح قائلا «أيتهما الفتاة لا تسخري مني».

فأجابت إخو فرحة مغتظة: «مني».

فجن جنون ناركيسوس، وأمر الفتاة بقوله: «تعال، وأظهري نفسك هنا».

فردت إخو، وهي لا تكاد تتمالك نفسها من الفرح: «هنا» وفي الحال ظهرت له بطلعتها المشرقة، وفنتها الساحرة، وجمالها الصارخ. فغضب ناركيسوس إذ كان مزهواً بنفسه ممثلاً بالغرور والخيلاء.. ولإيمانه بأن إخو قد سخرت منه، لم يعر نظراتها الغرامية أي الفتاة. ولما حاولت أن تطلوqe بذارعها البضتين الرخصتين، أقصاها عنه في شدة وعنف.. وهو يقول: «سمعتك تسخرين مني، فلم تتظاهرين بحيي؟ ما أنت إلا ضاحكة مني، هازئة بشخصي، ولا شك في أن صدقاتك يكمن خلف الأشجار يسخرن مني كذلك.. إليك عني، أيتهما الحمقاء اللعوب!».

لم يسع إخو إلا أن تطيع أمره، فانصرفت مكتئبة حزينة، تتمتم قائلة: «عني... لللعوب» وهي تشق طريقها إلى التلال خلال الأشجار، متمنية من كل قلبها أن يأتي اليوم الذي يقع فيه هذا الفتى المعتطرس في حبال العشق والغرام، فيرح به الجوى، ويكتوي بنار الحب، دون أن يجد متفقا لهواه، أو صدق لجه. حتى يدرك معنى الحب ويذوق آلامه..

استأنف ناركيسوس سيره صاعداً إلى الجبل.. فما هي إلا فترة قصيرة حتى أحس بحاجة إلى الماء إذ ألهب الظما أحشائه، فأخذ يبحث عن غدير يرثوي منه، فلم يجد سوى مستنقع من الماء الصافي، فافترش الأرض

منكثاً على وجهه ليعبّ من الماء عباً.. وقيل أن يشرب منه، أبصر وجهه في صفحة الماء... فاعتقد لئوه أنه أمام حورية حسناء فاتنة تنظر إليه من داخل البحيرة. فأعجب بجمالها وهام بها حياً، إذ لم تقع عينه على وجه أبيه من ذلك الوجه المائل أمامه وسط الماء.. وهكذا وقع ناركيسوس المتعرج في غرام صورته الشخصية.

راح الشاب الوسيم الخلقة يتوسل إلى من ملكت عليه ليه وفؤاده، واستولت على عقله وجنانه، ويخاطبها بعبارات الاستعطاف قائلاً: «أيتهما الحورية الجميلة، ذات الطلعة الساحرة، والعيون الآسرة، متى ستخرجين من البحيرة حتى يسعدني الحظ بإن ألعب معك؟».. فلم يحظ بأي رد على توسلاته غير تحريك شفتي الوجه المتطلع إليه من الماء بينما كان هو نفسه يحرك شفتيه، دون أن يسمع أي صوت صادر من تلك الشفاه. فأراد أن يعبر عن حبه وتلفه إلى ضم الحورية إلى صدره فمد ذراعيه نحوها، غير أنه ما كادت ذراعاه تلمسان المياه، حتى اضطرب سطح المستنقع واختفى الوجه الجميل.

أسف ناركيسوس على ما بدر منه، وظن أنه أغضب الحورية فوجم وانتظر صاغراً حتى سكن سطح الماء ثانية، وبان الوجه من جديد. فأنحنى بالقرب من البحيرة، وراح يبتسم لذلك الوجه، وما كان أشد فرحه وأعظم غبطته عندما ابتسم له الوجه! إذن لقد رضيت عنه الحورية وبادرت غراماً بغرام. فتحدث إليها بينما هيامه ويرجوها أن تخرج حتى يتمتع ناظره بقوامها الرشيق... ولكنها، كما سبق، لم تكرم عليه بتلك المنة، وحركت شفتيها ليس غير.

أبصرت إخو ناركيسوس يتحدث إلى شخص ما داخل المياه، فالتقت نار الغيرة في فؤاده حتى كادت تفتك بها. كيف يحب حورية أخرى، لا تميل إليه، بينما يعرض عنها، وهي التي أحبت من كل قلبها؟ فاستولقت النظر من فوق كتفه لترى وجه الحورية التي يتحدث إليها.. فإذا هي لا ترى

غير وجه ناركيسوس على صفحة الماء، فتاقت نفسها إلى إخباره بأنه لا ينظر إلا إلى وجهه. ولم يغم إلا بنفسه، بيد أنها عجزت عن الإفصاح له بذلك، لأنه لم يكن في مقدورها أن تنطق بأي لفظ غير إعادة الكلمات الأخيرة التي يقولها.

اكتشفت إخو أن أمنيتهما قد تحققت، فوقع ناركيسوس في حب فاشل، إذ ليس في مكنة طيف ناركيسوس أن يبادل الغرام الذي يظهر له.

لم يستطع الفتى المسكين مبارحة البحيرة، وعبثا كان يتوسل إلى الحورية أن تخرج من المياه، وعبثا كان يبتسم لها، ويمد إليها ذراعيه. ظل الشاب المقيم يقضي يومه كله راقدًا بجانب المستنقع، يتطلع إلى الوجه الذي خدعه. . . ويمضي الليل مسهدًا ساهرا ينظر إلى صورته في الماء عندما يسطع القمر على البحيرة بنوره الفضي، يتحدث إليها بأحاديث الغرام، ويشكو هواه وهيامه مستخدما كل ما في معاجم اللغة من ألفاظ العشق والهوى، ولكن دون جدوى. . .

مرت الأيام، وتعاينت الشهور والأعوام، وناركيسوس ما زال راقدًا إلى جوار البحيرة. . . وقد حرم نفسه الطعام والشراب، إذ نسي كل شيء ما عدا حبه للحورية الفاتنة التي تسكن البحيرة يلذف الدمع الغزير، فتساقط كاللؤلؤ إلى الماء، ولما اكتشف أن البكاء يحرمه مشاهدة الحورية التي عذبت فؤاده وأضنت جسده، كف عن البكاء، لأنه ما كان يطيق فراق الحورية أو اختفاء صورتها عنه بأية حال من الأحوال.

سرعان ما ذوى ناركيسوس، وشحب لونه، وهزل جسمه، كما عانت حورية البحيرة نفس الشيء. . . وأصبح الفتى تعيسا شقيا معذبا، وانقلب نعيم دنياه جحيما لا يطاق. . . أما إخو فقد أخذت تلدري وتبتس هي بدورها، لأنها أدركت أن حبيبها سوف يموت كمدا. . . في الوقت الذي لا يمكنه فيه أن تمنع عنه الضرر، أو تفضي إليه بحقيقة أمره، وتحلره من المصير الذي هو مقبل عليه.

وفي صباح أحد الأيام أشرقت الشمس على الصبي، وقد ذبل جسمه وامتع لونه وفارقه الحياة. كان لونه أبيض ناصعا، وجماله واضحا جليا صارخا وهو يرقد رقدته الأخيرة إلى جوار المستنقع الصافي، لدرجة أن الآلهة نفسها بكته وبكت حبه الضائع اليأس. . . وبجانب جسده نبتت زهرة في بياض ناركيسوس وجماله - وهكذا ظهرت النرجس الصغيرة التي تحب دائما أن تنمو وتزدهر بالقرب من غدران الماء.

ولا تزال هذه الزهرة تحتفظ بانحنائها لثرى صورتها في الماء، كما كان يفعل ناركيسوس تماما، منذ سنين طويلة، ليشخص بصره إلى صورة طيفه. أما إخو النعيسة، لقد ذبل عودها أيضاً وضمر جسمها ضمورا شديدا من فرط حزنها، حتى أنه لم يبق من صورتها إلا صوتها. . . ويمكن أن تسمعها إذا شئت بين التلال والغابات الفسيحة تردد آخر صدى صوت ألفاظك. . . ولكن لا شك أنه لن تراها عين بعد اليوم قط.

لقد أصبحت إخو ظلياً شاردًا يجري بين الوديان والتلال، بين الجداول والزهور تبكي وتولول على حبها المفقود.



ناركيسوس.

بريسيس

صانت كلينمنسترا عفتها ما ظل زوجها أجامنون وفي

وانزلت للخطية حين اكتشفت إثمه

سمعت أن الكاهن خريسيس آثام معتمدا فوق عصاه معتمرا بالعصاة المقدسة، قابضا على غصن الغار، متوسلا اليه عشا أن يرد اليه ابنته بريسيس. وكذلك سمعت كيف أدمى الحزن قلبك، يا بريسيس بعد اختطافك.

وأناها نبأ خصومات شائنة أطالت أمد الحرب وما كان ذلك كله غير قصص حملها الرواة إليها.

لكنها رأت بعينها كاستندرا بنت بريام بصحبة زوجها فأدرت كيف غدا اجامنون المنتصر أسيرا ذليلا لاسيرته لحظتها.

وهبت ابنة تنداريوس قلبها مرجبة به في فراشها ودبرت الثأر انتقاما من جريمة زوجها المهيبة.

أوفيد

وهكذا انهمك الجميع في سائر انحاء المعسكر، ومع ذلك فلم يكف أجامنون عن المشاحة التي هدد بها أخيل في بادئ الأمر، بل استدعى اليه رسولي وخادميه المطيعين «تالوثيوس» و«يوروباتيس»، وقال لهما: «أذهب إلى خيمة أخيل، ابن ييليموس، واختطفوا بريسيس الجميلة الخدين، واحضرواها إلى هنا، وإذا لم يعطكما إياها، فأسأذهب بنفسى بصحبة عدد أكبر من الرجال وأخذها، ويكون هذا شرا لى» قال هذا، وأرسلهما لتوه، وشدد عليهما الامر. فذهب على كره منهما يسيران بمحاذاة شاطئ البحر

القاحل، ووصلا إلى مخيمات «المورميدون» وسفهم. فوجدوا أخيل جالسا بجوار خيمته وسقيته السوداء، ولم يظهر ابتهاجا برويتهما. وإذا سيطر عليهما الخوف، والفرح من الملك، وقفا لا يتيسان بنت شقة، أو يطلبان شيئا، غير أنه أدرك الأمر، فتكلم قائلا: «مرحبا، أيها الرسولان، يا رسولي زوس والبشر، اقربا. لستما الأثمين في نظري، ولكنه أجامنون، الذي يبعث بكما من أجل الفتاة بريسيس. ومع كل فهيا، يا باتروكلوس، يا سليل زوس، أحضر الفتاة، وسلمها اليهما ليذهب بها. وعلى ذلك فليكن هذان نفساهما شاهدين أمام الآلهة المباركة والبشر المعرضين للموت، نعم، وأمام ذلك الملك المتهور، لو احتاج الامر إلى أبعد من ذلك لأدفع الهلاك المزري عن الجيش. الحق إنه ليثور بعقل مخرب، ولا يعرف إطلاقا أن يستشف المستقبل على ضوء الماضي، حتى يمكن لاتباعه الأخيين أن يشنوا الحرب في أمان بجوار سفنهم».

واذ قال هذا، أطاع باتروكلوس قول زميله العزيز، فأخذ «بريسيس» الفتاة الخدين، وسلمها اليهما ليذهب بها. وهكذا عاد الرسولان أدراجهما يسيران بجوار سفن الأخيين، ومعهما، على مضض منهما، سارت المرأة. بيد أن أخيل استسلم من فوره إلى البكاء، واتفق بعيدا عن رفاقه، وجلس على شاطئ البحر الرمادي اللون، وأتجه بصره نحو اليم ذي اللون البيضي القاتم، ويشوق جارف راح يتضرع إلى أمه العزيزة باسطا يديه: «أماه، بما أنك قد ولدتي - ولو أن ذلك لفترة قصيرة من الحياة - فمن المؤكد أنه كان يجب على الاوليمبي، زوس الذي يرعد في علاه، أن يضع المجد في يدي، ولكنه الآن لم يخصني بشيء ما من المجد. هذا حق، فإن ابن أتريوس، أجامنون الواسع الملك، قد نال من كرامتي، لأنه اغتصب غنيمتي بواسطة عمله المتفطرس».

قال هذا وهو يبكي، وسمعت أمه الملكة وهي جالسة في أعماق البحر بجانب الشيخ المسن، أبيها. وسرعان ما خرجت من البحر الرمادي

كسحابة من الضباب، وجلست أمام وجهه، وهو يبكي، وضربته بيدها، وكلمته، ونادته باسمه قائلة: «أي بني، لِمَ تبكي؟ أي حزن استولى على فؤادك؟ أفصح لا تُخفِ الأمر في بالك، كي يعرفه كلانا».

عندئذ تحدث إليها أخيل وهو يتأوه تأوها ثقيلًا فقال: «إنك لتعرفينه. لماذا، في الحقيقة، يجب علي أن أخبرك بالقصة يا من تعرفين كل شيء؟ لقد ذهبتا إلى طيبة المقدسة، وخريناهما، ثم أحضرنا إلى هنا جميع الأسلاب. وهذه قسمها أبناء الأخيين فيما بينهم بالعدل، ولكنهم اختاروا ابنة خرويس الجميلة الخدين لابن أتريوس. غير أن خرويس، كاهن أبولو الذي يضرب من بعيد، جاء إلى السفن السريعة التي للأخيين ذوي الحلل البرونزية، ليحظى بالحرية لابنته، وأحضر فدية تفوق الحصر، حاملا في يديه سهام أبولو، الذي يضرب من بعيد، فوق صولجان من الذهب، وتضرع إلى جميع الأخيين وبصفة خاصة لولدي أتريوس، قائدتي الجيش. عندئذ صاح سائر الأخيين الباقين بالموافقة، أمرين باحترام الكاهن وقبول الفدية العظيمة. بيد أن الأمر لم يسر قلب أجاممنون، ابن أتريوس، فطرده بغلظة، وأصدر إليه أمرا صارما. ومن ثم عاد الرجل المعجوز غاضبا، وسمع أبولو صلاته، لأنه كان عزيزا جدا عليه، فأرسل سهما شريرا صوب أهل أرجوس. وعندئذ بدأ الناس يموتون جماعات وبسرعة، وراحت سهام الرب ترمجر في كل مكان خلال معسكر الأخيين الواسع. فأعلن لنا العراف، جازما، نبوءات الرب الذي يضرب من بعيد...

وعلى ذلك، كنت أنا أول من أمر على الفور بمهادنة الحرب، غير أن الغضب تملك ابن أتريوس من جراء ذلك، فنهض في الحال ونطق بكلمة تهديد، كان لها أن تنفذ الآن. لأن الأخيين ذوي العيون المتألفة يأخذون الفتاة في سفينة سريعة إلى خروسي، حاملين الهدايا للرب، بينما الأخرى أخذها الرسل الآن من خيميي. وذهبوا بها، بـ«برسيس» التي أعطانيها أبناء

الأخيين. فلو كان لك قدرة، حقا، فصوني ابنك، أسرعني إلى أوليمبوس وتوسلي إلى زوس، إذا كنت قد أدخلت السرور إلى قلبه بالقول أو بالفعل. فكثيرا جدا ما سمعتك تتباهين في ساحات أبي، معلنة أنك وحدك من دون الخالدين التي ذدت الخراب المشين عن «ابن كرونوس» سيد السحب الدكناء، في اليوم الذي عزم فيه الأولمبيون الآخرون أن يكبلوه بالاصفاد، وكانت من بينهم «هيرا» و«بوسيدون» و«أثينا». ولكنك أنتيت، أيها الربة، وخلصته من قيوده، عندما استدعيت بسرعة إلى جبل أوليمبوس الشامخ ذلك الذي له مائة يد، الذي يسميه الآلهة برباريوس، ويسميه سائر البشر «إيجابون» لأنه كان أقوى من أبيه «بوسيدون» فجلس إلى جانب «زوس»، تحيط به هالة مجده، فذعر منه الآلهة المباركون ولم يكبلوا زوس. عليك أن تذكره بهذا وتجلسي إلى جانبه، وتمسكي بركبته عسى أن يقرر نجدة الطرواديين، وحبس أولئك الآخرين، الأخيين، بين مؤخرات سفنهم وحول البحر وهم قتلى، لعلهم يفيدون جميعا من ملكهم، وحتى يعرف ابن أتريوس، أجاممنون الواسع السلطان، أن العمى قد غشيه يوم لم يحترم بأية حال صالح الأخيين».

عندئذ أجابت «ثيتيس» على تضمره وهو ما زال يذرف الدموع: «ويحي، يا بني، لماذا نشأتك، واللعنة تلحقني إبان حملي؟ ليت حظك كان أن تمكث بجوار سفنك بلا دموع وبلا حزن، حيث إن حياتك قصيرة المدى ولن تتحمل مزيدا من الطول. ولكنك الآن مهدد ببينة سريعة، فوق أنك محوط بالحزن أكثر من سائر البشر، إذن فقد أنجبتك في ساحاتنا لتلقى مصيرا مؤلما. ومع كل فلكي أروي هذا الذي تقول لزوس الذي يقذف الصاعقة، سأذهب لأضرب إليه فوق قمة أوليمبوس الجليدية، أملا في أن يُصغني إلي. ولكن هل لك أن تتلصقا بجوار سفنك السريعة، ماخرة البحار، وتمضي في غضبك على الأخيين وتحجم بتاتا عن القتال، لأن زوس قد توجه بالامس إلى أوقيانوس، إلى الاثينييين الثبلاء، من أجل وليمة، فتبعته

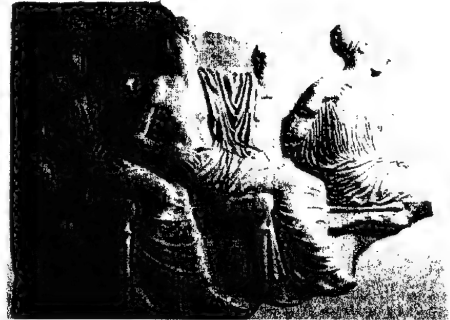
عودة بريسيس

في تلك الأثناء كان «أوديسيوس» وجماعته وابنة الكاهن قد بلغوا خروسي، ومعهم الذبيحة المقدسة من مائة ثور. فلما صاروا الآن داخل المرفأ العميق، طواوا الشراع، وحفظوه في السفينة السوداء، وخففوا الصاري إلى قاع المركب وجعلوه بسرعة في مستوى الدعامة، وجذفوا بالسفينة بواسطة المجاذيف إلى مكان الرسو. وبعد ذلك ألقوا أحجار المرساة وثبوا الحبال، وذهبوا هم أنفسهم إلى شاطئ البحر. وفي الحال أحضروا ذبيحة المائة ثور لأبولو، الذي يضرب من بعيد، كما أسرعوا بانزال ابنة خروميس من السفينة مآخرة الجحار. ثم قادها أوديسيوس الكثير الحيل إلى المذبح، ووضعها بين ذراعي أبيها العزيز، وقال له: «أي خروميس، إن أجامتون، ملك البشر، قد أوفدني إليك لأحضر لك ابتك، وأقدم لأبولو ذبيحة مقدسة من مائة ثور بالثيابة عن الدانين، حتى يمكننا بواسطتها أن نسترضي الرب الذي جلب على أهل أرجوس الويلات والأحزان».

قال هذا ووضعها بين ذراعيه، فأمسك الكاهن يابته العزيزة فرحا، ولكنهم أسرعوا ليقدموا الذبيحة المقدسة من مائة ثور حول المذبح الراسخ البنيان، من أجل الرب، وبعد ذلك غسلوا أيديهم، والتقطوا حيات الشعير. عندئذ رفع خروميس يديه وصلى بصوت مرتفع من أجلهم قائلا: «استمع لي، يا صاحب القوس الفضية، يا من تشرف على خروسي وكبلا المقدسة، ومن تحكم جزيرة تيندوس. كما سبق أن أصغيت إليَّ عندما صليت - وشرفتي، وأنزلت ضرباتك شديدة على جيش الآخيين - الآن أيضا حقق لي رغبتي هذه: أبعد الوياء البغيض عن الدانين».

جميع الآلهة، لكنه سيعود إلى أوليمبوس في اليوم الثاني عشر، وعندئذ اذهب إلى بيته ذي العتبة البرونزية وأمسك بركبته متوسلة، وإنني لأعتقد أنني سوف أحظى برضاه».

وما إن قالت هذا، حتى انصرفت وتركته حيث كان، يملأ الغضب قلبه من أجل الفتاة الجميلة التي اختطفوها منه رغمًا عنه.



پومپيدون، أبوللو، ارتيميس



تكلم هكذا في صلاته فسمعه الاله أبولو . وبعد أن صلى القوم ونثروا
حبات الشعير، شدوا أولا رؤوس الذبائح إلى الوراء وذبحوها .

ورأى جواره كان الشبان يسكون في ايديهم المذاري ذات الشعب
الخمس . غير أنه عندما احترقت الذبائح عن آخرها، وتذوقوا الأجزاء
الداخلية ولما انتهوا من عملهم وأعدوا الوليمة، أكلوا كفايتهم من المائدة
الحافلة . ولكن عندما ولت عنهم الرغبة في الطعام والشراب، ملأ الشبان
الكؤوس حتى حافتها بالشراب وداروا بها على الجميع، ساكين أولا
قطرات في كؤوسهم . وهكذا قضوا اليوم كله إلى إرضاء الرب بالغناء،
منشدن أغنية النصر الجميلة، ورتل الآخيون مديح الرب الذي يضرب من
بعيد، فابتهج قلبه وهو يستمع إليهم .

يبد أنه عندما غربت الشمس وساد الظلام، رقدوا ليستريحوا إلى جوار
حبال السفينة، وما كاد الفجر الباكر ذو الأنامل الوردية يظهر حتى اقلعوا
صوب معسكر الآخيين الواسع . فأرسل إليهم أبولو، الذي يضرب من
بعيد، ريحا مواتية، فأقاموا الصاري ونشروا الشراع الأبيض . ومن ثم
ملأت الريح بطن الشراع، وراحت الموجة الدكاء تغني عاليا حول جؤجؤ
السفينة، وهي تشق طريقها بسرعة فوق الموج، ولما بلغوا معسكر الآخيين
القيح، سحروا السفينة السوداء فوق الشاطئ، إلى علو فوق الرمال،
ووضعوا تحتها صفا من الدعامات الطويلة، وتفرقوا هم وسط الأكواخ
والسفن .

ولكن ابن بيليوس المتحدر من السماء، أخيل، السريع القدمين، ظل
يجترّ غضبه بجوار سفته السريعة، ولم يتقدم على الإطلاق إلى مكان
الحشد، حيث يقوز الرجال بالمجد، ولا إلى الحرب قط، بل اعتمز في
نفسه أن يظل عاطلا، يئسًا حيث هو، رغم أنه كان يتوق إلى صيحة الحرب
وإلى القتال .

أبوللو

يروى أن أبوللو اضطر أن يرعى قطعان أدميتوس ملك فيراي وأنه قنع
بكوخ متداع يأوي إليه

من منا يستنكر أن يحذو حذوه

أطرح عنك الكبرى إن تشوّت إلى أن تحيا قصة حب تطول وتعمق

فإذا منتحك الأقدار طريقا سهلا إلى قلب فانتك

أو ألقيت بابها موصدا في وجهك

فألق بنفسك من كوة السقف

أو تسلل نحوها من نافذة شاهقة

وسيسعدنا إن خضت المخاطر في سبيلها

عربون الحب الذي عن يقين ستظفر به .

لقد كان في وسعك أن تنغيب عن عشيقك ياليناندر⁽¹⁾ فلا تلقى بنفسك
في التهلكة .

ولكنك أثرت أن تقطع أمواج البحر مابحا، برهانا منك لها على ما
تحمل من عاطفه متأجحة

أوفيد

ورأى جوار رب الأرياب كانت زوجته «هيرا»، تشاركه الملك العظيم،
وتفرض سلطانها على الجميع لقربها من حاكم الأرض والسموات،
وتتدخل في كل شيء . من فوق هذا العرش حكم «زيوس» العالم كله،

(1) ياليناندر: عشيق هيرا إحدى كاهنات معبد فيثوس الجميلات .

بعدما قضى على أعدائه من أبناء عمه «تيتان» الرهيب، بأن أرسل عليهم سهامه المدمرة التي صنعها «السيكلوب» أمهر الحدادين العملاقة ذوي العين الواحدة في وسط الجباه.. الذين كانوا يوقدون النيران في جوف الأرض، ومن أفرانهم تنطلق أعمدة رهيبة من النيران والدخان تقذفها البراكين.

وكان «زيوس» خليقا أن ينعم بتلك الحياة... إلا أن زوجته «هيرا» التي تشاركه عرش الأولمب، ملأت نفسه سأمًا مريًا، بطباعها السيئة وخلقتها البغيض، وعنادها الذي لم يكن يقف في وجهه شيء.

ولم يجد «زيوس» العظيم - فرارًا من حقد زوجته، ومقتًا لها - بدا من أن يحاول الهرب منها بين الحين والحين. وفي كل مرة كان يعيش سرا مع حب جديد. وعندئذ لم يكن يهتم بأن تكون زوجته الجديدة من بين ربات السماء، أو من بين نساء البشر.

وكانت «لاتونا» واحدة من زوجات زيوس العظيم، وواحدة من الربوات اللاتي صبت عليهن «هيرا» جام غضبها وحقدًا، بعد أن رأت في جوفها جنينا خشيت أن يحتدب قلب أبيه العاشق إلى أمه، فيجلسها معه على العرش بدلًا منها.

وأخذت «هيرا»، مندفعة بحقدِها الرهيب، تثير غضب «زيوس» على لاتونا. ووقع رب الأرباب في الشرك، فطرد «لاتونا» من فوق أولمب، وأرسلها إلى الأرض شقية معلقة.

ومع ذلك فقد ظلت لعنة «هيرا» تلاحقها وهي حائرة على الأرض. وحاولت المسكينة عبثًا أن تجد مكانًا تختفي فيه من لعنة «هيرا». ولما عجزت عن الحصول على المخبأ الأمين.. ألفت بنفسها في البحر.

وكان «بوسيدون» إله البحر يتبع بنظراته الزوجة الحزينة الثائفة، وأبت عليه الشفقة أن يدعها تغرق في الماء، فاستقبلها في جزيرته «ديلوس» التي صنعها ليرفع منها أمواج البحر بضربات رمحه ذى الشعبتين.

وهناك - في هذه الجزيرة الساحرة - وضعت «لاتونا» أجمل توأمين من أبناء زيوس العظيم: ديانا، و أبوللو.

ومع ذلك، فقد ظلت «هيرا» تلاحق «لاتونا» بحقدًا ولعنتها.. في حين كانت الأم مشغولة بتربية ولديها، اللذين وهبا جمالًا رائعًا وذكاءً نادرًا أثارا عليهما حقد أهل الجزيرة.

وراحت «هيرا» تملأ صدور النساء حقدًا على لاتونا، حتى أثارت عليها إحدى ملكات الجزيرة، فاحتكت بالأم المسكينة.. وكان نقاش وصدام، ثم وجدت «لاتونا» نفسها، وقد حكم عليها أن تعود مرة أخرى طريدة، شقية هائمة.

غير أن «لاتونا» - قبل أن تمضي - ثارت على المعاملة السيئة التي لقيتها، ومست الإهانة كبرياءها، فسلحت «أبوللو» بالدروع، وأعطت «ديانا» حربة مستنونة، وأمرتهما أن يقتلا أبناء الملكة، فراحا يضربان بكل ما في شبابهما من قوة وغضب حتى قضيا على الجميع.

وعادت «لاتونا» تبكي من جديد. ومست دموعها قلب زيوس الذي كان لا يزال يحمل لها في أعماقه بقايا غرام.. فعمط عليها، ولم يجد وسيلة لانقاذها من غضبة هيرا إلا أن يحيلها تمثالًا رائعًا من رخام.. ناصع الجمال.

وشب «أبوللو» و«ديانا»، فكانا موضع إعجاب في السماء والأرض، وحقق قلب زيوس لولديه، فأرسل يستدعيهما ليصبحا من الآلهة. وقدمت لهما «هيني» شراب الخلود، ليقطع كل ما يربطهما بالأرض. وأمر ابنته الصغيرة بأن تكون ربة للصيد، في حين جعل ابنه ربا للشمس، وقائدًا لمركبتها الذهبية الرائعة في رحلتها كل يوم بين الشرق والغرب.

وأصابته مهام كيويدي إله الحب قلب أبوللو فقد أحب «أبوللو» فتاة من البشر تدعى «كليمني» وتزوجها. وأنجب منها أولادًا: «فايتون»، و«كرونيس»، «إيسكلويس».

ونشأ أبناء أبوللو، كما نشأ أبوه من قبل، بارعين في كل ميدان نزلوا فيه. ويرع من بينهم «أيسكلويس» في دراسة خواص النباتات والمعادن، واستخلص منها أدوية تشفي جميع الأمراض.. وأعلن «أيسكلويس» عن اكتشاف دواء يعيد الحياة إلى الموتى.

وفد الناس أفواجا على «أيسكلويس» يطلبون منه أن يرد الحياة إلى موتاهم، ويشفي مرضاهم. هنا ثار «زيوس» فما كان يحبه أن يتحدى حفيده رغبات آلهة أولمب. وما كان يرضيه أن يترك الناس تقديم القرابين إلى محاولة استرضاء الفتى الطيب. فأرسل صواعقه المدمرة. فقضت على «أيسكلويس» ابن «أبوللو»، وأحرقت أدوات طبه ومكتشفاته.

وحزن «أبوللو» لما أصاب ولده، ولم يعرف كيف ينتقم لابنه القتل من قاتله. وكان كل ما يمكنه أن يفعل هو أن ينزل غضبه بصانعي الصواعق التي يستخدمها زيوس.. فانطلق إلى براكين ليمنوس، وانحدر من فوهتها إلى حيث يعمل السيكلوب، وأهلكهم جميعا.

وانطلقت نيران البراكين، وانطلقت أصوات المطارق الهائلة واتبه «فولكانوس»، الإله الحداد، إلى السكون الغريب، فانطلق إلى مكان صناعه المهرة، فوجدهم جثا هامدة على الأرض.

وانفجر «فولكانوس» غضباً، وانطلق يحجل بساقه العرجاء صاعداً إلى السماء، حيث شكاً لزيوس ما صنعه ولده أبوللو بعامله الحدادين، وقدم له السهام التي استخدمها في القضاء عليهم.

وأجج الغضب في صدر زيوس، وارتعد جبل أولمب مع زفريات رب الأرباب وهو ينطق بحكمه الرهيب بنفي أبوللو إلى الأرض، ليرعى الأغنام تحت إمرة واحد من البشر.

وهبط «أبوللو» إلى أرض البشر.. وعمل راعي للأغنام عند آدميتوس ملك تساليا. سرعان ما أدرك الملك أن الراعي الجديد من نوع لم ير مثله

من قبل. فقد سحرت الأغنام السماوية التي تصدر من ناي «أبوللو» سكان المملكة جميعهم.

وكانوا يجتمعون حول الراعي الغريب، وهو جالس على شاطئ نهر أمفريسوس، ليستمعوا إلى شذوه الساحر في نشوة تبلغ حد الذهول.. وكم حاول زملاؤه الرعاة أن يتعلموا منه هذا النغم الرائع، فاستعصى عليهم الأمر، واكتفوا بالالتفاف حوله أينما ذهب ليستمعوا بالحنان السماوية على الدوام.. لقد تحول أبوللو من قائد مركبة الشمس إلى رب الشعر والفن والموسيقى.

وأحب الملك راعي الغنم الجديد، وازداد له حبا عندما مكَّنه بموسيقاه من قلب «الكستيس» ابنة الملك «بيلاس» الذي قرر ألا يزوج ابنته الأميرة إلا لمن يحضر إلى قصره في مركبة تجرها السباع.

لقد انطلق «أبوللو» يعزف على أوتار قيثارة السماوي، فهرعت إليه السباع من كل صوب، نشوانة باللحن السحري.. وأسلست له قيادها، وأمتلت لأمره أليفة مستكنة، وهو يربطها إلى المركبة المذهبة التي انطلق بها الملك «أدميتوس» إلى قصر الملك بيلاس.

وأن لأبوللو أن يستريح.. فقد بلغ من تعلق الملك «أدميتوس» به أن اتخذ له صفا له، ولم يعد يرهقه بالعمل في رعي أغنامه. وسارت به الحياة رغبة ناعمة إلى أن مات الملك.. فلم يطق «أبوللو» البقاء في المملكة بعد وفاته، وهام رب الموسيقى على وجهه لا يستقر في مكان.

وفي ذلك الوقت كان «بوسيدون» قد طرد هو أيضا من السماء وكلف ببناء أسوار طروادة. ولم يكن ذلك بالعمل السهل. وناء بوسيدون بحمله، وأوشك على الهلاك.

ثم التقى «أبوللو» ببوسيدون، وأشفق عليه، وقرر أن يساعده.. فأخرج نايه من جعبته، وانطلق يشدو بالحنان تحركت لها الصخور، واهتزت لها طربا، وصارت تقفز إلى حيث يومئ لها أبوللو بمؤخرة نايه.. واستمر في

العزف حتى تراصت الصخور في ثبات، واستقرت مكونة سور طروادة العظيم!

ومضى «أبوللو» على ظهر الأرض يؤدي للبشر خدمات عظيمة لم يكونوا ليبلغوها بمفردهم.. وبالرغم من ذلك، فإنه لم يكن موفقا في صداقاته. كان يلعب ذات يوم مع صديقه «هياكتوس»، ويستليان بقلف القرص. ومربهما «زفيروس»، رب الريح الغربي، فلم يرقه لعب الصديقين، وامتلا قلبه الحقد حسدا وغيره للمرح البادي عليهما، فقرر في الحال أن يضع حدا له.

وانتظر «زفيروس» حتى قذف أبوللو القرص، فأرسل ريحا عاتية من الغرب غيرت اتجاه سير القرص، وإذا به يصدم رأس «هياكتوس» صدمة قوية قضت عليه لساعته.. وصرخ أبوللو في ألم وذهول، وألقى بنفسه على جسد حبيبه الميت يكيه في لوعة وأسى. وأفاق من غمرة حزنه، ووارى جثة صديقه التراب. ثم تناول بعض الأزهار البرية وغمسها في بقايا دمه الأرجواني، ثم غرسها فوق مثوى الصديق.. فترعرعت الزهور الجميلة، وسميت منذ ذلك اليوم «زهرة الهيكاتوس».

حتى في الحب.. كان «أبوللو» تعباً شقياً، فحين كان يرعى الغنم على سفوح جبل أوسرا. التقى بحورية حسنة اسمها «دافني» إحدى بنات رب النهر بنبوس - فأحس نحرها يميل شديد، سرعان ما تحول إلى وجد مشبوب غمر حواسه كالفيضان.. وكثيرا ما حاول «أبوللو» أن يجتذب إليه نظر حوريته الحسنة، وإن يستميل قلبها إليه، ولكن جهوده ذهبت كلها أدراج الرياح.. حتى أنغام قيثارة السحري ما كانت لتؤثر في «دافني» فقد كانت دائما تفر من طريقه، وتهرب من أي مكان يكون فيه.

وقرر «أبوللو» أن يلجأ إلى القوة لجبر فتاته على التحدث إليه.

وذات صباح انتظر عند منحى على سفح الجبل، ولم يكد يراها تمر حتى وقف في طريقها، وتدفقت من فمه عبارات الحب تفضح هواه

المكبوت، وتنبئ عن نار الشوق المستعرة في صدره. وكاد قلب الفتاة يرق للواجع غرامه.

إلا أن ذهول المفاجأة زال أثره سريعا، وتمالك نفسها، وفرت في رشاقة الظني الشارد من طريقه.

واندفع «أبوللو» وراءها كالريح.. فما عاد يتمالك وعيه، بعد أن طغى الحب على وجدانه، وأعمى بصره وبصيرته عن كل شيء ما عدا جمال حوريته.. وتمكن من اللحاق بها. ولم يكد يمد يده إليها حتى صرخت مستغيثة بأبيها:

النجدة يا أبي.. أدركني.. أنقذني.

وأسرع إليها رب النهر، ولكنه عجز عن اللحاق بها لبعدها عن شاطئه. وعادت الفتاة إلى صراخها الموجه:

حولني يا أبت إلى أي صورة أخرى، أو اجعلني أغوص في الأرض قبل أن تمسني يداها!

ومد «أبوللو» يده، وقبضت أصابعه على شيء، حسب في نشوته الغامرة ذراع الفتاة، وتحسسه في لذة.. فإذا أصابعه تكاد تنهز. وفتح عينيه فإذا أمامه شجرة غار يانعة الفروع، وإذا بيديه تقبضان على فرع منها. أما الحبيبة فلم يعد لها أثر.

وانطلق «أبوللو» والأسف يغمر نفسه، لأنه كان السبب في أن صارت الفتاة الممتلئة حيوية شجرة جامدة صماء. ومد يده فجمع بعض أغصان الشجرة الخضراء، وصنع منها تاجا وضعه على جبينه ليكون ذكرى دائمة لفاتنته.. ومضى في الطريق يعزف على قيثارة لحنا حزينا مؤثرا..

كل ذلك كان يحدث على الأرض، في حين كانت عربة الشمس تجري وحدها بين الشرق والغرب، بلا قائد ينظم سيرها ويقودها خلال منعرجات السماء.

وبالرغم من أن «زيوس» كان يواجه من عليائه جياد المركبة الذهبية بنفسه، إلا أن سيرها اختل، وبدأت الجياد حائرة مضطربة، حتى الساعات الاثنتا عشرة التي تحيط بالمركبة، وتدور حولها خلال رحلتها الأبدية، اختل نظامها فما عادت تحس رقبيا أو حسييا.

وأحسن الآلهة جميعا بقيمة «أبوللو» وبراعته في قيادة المركبة.. فانطلقوا إلى «زيوس» يكررون الرجاء، ويلحون في طلب العفو عن رب الشمس وأعادته إلى مكانه السماوي.

ولم تكن «هيرا» جالسة إلى جوار «زيوس» في ذلك الوقت فأصدر أمره بالعفو عن ولده وأعادته إلى مكانه بين الخالدين..

وشمة حادثة أخرى في حياة رب الشمس.. أبوللو.

لقد تزوج أبوللو كورنيس ابنة فلجياس إلا أنها خاتمه مع عشيق من البشر اسمه أسخيس من أركاديا، وعلم أبوللو بخيانتها من رسوله الغراب الوفي. ويزعج بندار أنه عرف ذلك عن طريق علمه بالغيب، ولذلك أرسل شقيقته أرتيمس للانتقام منها، أو أنه رامها هو بسهمه القاتل.. إلا أن حبه لكورنيس ملك عليه نفسه ولكن بعد فوات الأوان، ولهذا عاقب الغراب ذا الريش الأبيض بتحويله إلى غراب أسود - هو الذي يظهر لنا حتى اليوم - وإذا تيقن أنه لن يستطيع إعادة الحياة إلى كورنيس أنقذ حياة ابنتها اسكلوبيوس الذي لم يكن قد وُلد بعد، فانقض أبوللو على جثمانها الممدد فوق المحرقة الجنائزية وانتزع اسكلوبيوس من رحمها وأسلمه إلى خيرون القنطور الحكيم، وتحت وصايته العلمية الباهرة سرعان ما حذق أسرار العشب وفن الطب حتى بلغ أن يعيد الحياة إلى الموتى.

وترك «أبوللو» قيثارة نايه، وصعد إلى السماء ليقم في قصر تيميس، ولينطلق مع الفجر حين تفتح «أورورا» أبواب الشرق، فيخترق بمركبته الفضاء، ويظل سائرا في طريقه المرسوم حتى يصل إلى الغرب حيث يستريح مع جياده الأربعة في انتظار اليوم الجديد.

في ذلك الوقت كان «فايتون» ابن أبوللو يعيش مع أمه «كليمني» في أرض البشر. وبالرغم من أن الفتى الصغير كان عفيفا طيب الخلق.. إلا أنه كان دائما يفاخر بين أصدقائه بأنه من نسل الآلهة، وأن أباه «أبوللو» رب الشمس، وجده «زيوس» رب الأرباب.

ولم يكن أصحابه يصدقون دعواه قط، بل طالما سخروا منه وهزأوا به. فكان «فايتون» ينطلق إلى أمه صارخا باكيا، طالبا منها البرهان على أنه ابن رب الشمس حقا. وكانت أمه تقسم له على صدق ما يقول فيصرخ فيها دائما: أين الدليل؟

وضاق صدر الفتى ذرعا، ولم يعد يحتمل سخرية أصحابه.. وعندما وقف أمام أمه كعادته يطالبها بالدليل على بثوته لرب الشمس، صاحت قائلة: فايتون إذا كان الشك يبدلك إلى هذا الحد، فإن الجبل الذي تشرق منه الشمس غير بعيد.. إذهب إليه بنفسك، وأسأل رب الشمس أنت ولده حقا، أم أنني أغرر بك؟

وارتاح الصغير لهذا الرأي، وفرح فرحا شديدا، ونهض من فوره ومضى في طريقه إلى جبل المشرق. فبلغه بعد عناء وجهه، وصعد إلى القمة، وقد أنهكه الإعياء والتعب، وارتى فوق صخوره ريشا يسترد أنفاسه المتقطعة. وكان فجر جديد قد بزغ.. فتفتحت عينا الفتى على ضياء بهر وأخذ يلبه، وفغراه من روعة المنظر الذي بدا لناظريه: قرص الشمس يتلأأ في فيض من أشعتها الذهبية، وقد انتصب القصر على عمد من ذهب يغطيه سقف من عاج، وأبوابه من فضة خالصة.

ورقف الفتى مبهور الأنفاس، ثم خطا إلى الأمام في وجل، ودلف من الباب الكبير إلى القاعة الكبرى، للقصر. وهناك رأى «فايتون» منظرا عجبا، لقد كان «أبوللو» جالسا في رداء أرجواني زاه، على عرش من الماس يخطف بريقه الانظار وحوله الساعات والأيام والأعوام في صفوف منتظمة رائعة.

ولمح «أبوللو» ولده «فايتون» واقفا في خشية، وقد بهره الضوء، فناده في وداعة ورفق:

أي بني.. ما جاء بك هذه الساعة؟ اقرب ولا تخف.
وتقدم الفتى في ببطء، تحدو خطواته الرهبة، ويملا نفسه الإعجاب..
وقال:

أبناء.. يا نور كل نور، إن صحي يهزأون بي كلما أنبأتهم أنني ابن رب الشمس، ولم أعد أحتمل إهاناتهم لي. ولقد جئتكم ولي رجاء عندك: إن كنت ابنك حقا.. فأعطني الدليل.

ونفض «أبوللو» عن عرشه المهيّب، وأزاح عن نفسه هالة النور، وأمسك بيد ولده، واجتذبه إلى صدره، وقبله في خنان، ثم خاطبه قائلا:
بني.. لك أن تطمئن إلى نسب الرفيع. وإني لأقسم لك بسيكس، ربة العزة والوقرة، أن أحبيك إلى ما تطلب كي تخرس السنة الهازئين بك، وترفع رأسك تها على كل أبناء البشر.. سل يا بني ما تريد، ولن أرفض لك طلبا.

وغمرت الصغير نوبة من الفرح الجارف، وهتف بأبيه في جذل: أحقا يا أبته؟ إذن، فأقصى أمني أن تسمح لي بأن أقود مركبة الشمس بدلا منك يوما واحدا لن أزيد عليه.

وفوجئ «أبوللو» بطلب صغيره، واضطرب ميزانه.. فقد أدرك تسرعه بالقسم العظيم الذي لا حث فيه. وراح يحاول أن يثني ولده عن هذه الأمانة الغريبة، ويعدة أن ينقله له أي مطلب عدها مهما يبلغ من العظمة أو الغرابة. إلا أن ابن «أبوللو» أبى إلا هذا المطلب، وصمم عليه وهو موقن أنه مجاب، فما كان لأبيه أن يحنث في قسمه وعاد «أبوللو» محاولته قائلا:

إن في إجابة طلبك خطرا عظيما يهددك، فإنك معدود من البشر، إلى جانب حداثة سنك. وهذان السببان لا يسمحان لك قيادة مركبة الشمس.

فهز الفتى رأسه.. واستأنف أبوه قائلا:

أي بني.. إنه لا يمكن لمخلوق مهما تكن قوته أن يسيطر على مركبة الشمس.. فإن الطريق شديد الانحدار لا تصعبه الخيل إلا بجهد يقصر عنه الوصف، كما أن نهاية الطريق لشدة وعورتها تكاد تسقط فيها المركبة مني أنا نفسي رغم حيلتي وتحكمي في قيادتها. ناهيك بالوحوش الكاسرة والمهاوي السحيقة التي تعترض المركبة في كل رحلة. والجياد يا بني جامحة تنفث من صدورهما الحمم. وإني أنصحك أن تعدل عن هذا المطلب الخطير، لأنك إن أبيت، فمعنى إبانك الهلاك لك وللعلم بسبك.

ولكن الفتى تشبث بطلبه، ولم يتزحزح قيد أنملة عما عقد عليه العزم. فما كان لأبيه - وقد تورط في قسمه العظيم - إلا أن يذعن، فقاد ابنه من يده إلى حيث وقفت المركبة الذهبية المرصعة بالزبرجد والياقوت والماس، وقد شدت إليها الخيول الأربعة، وأخذت تضرب بحوافرها الأجواء في تحفز واضطراب، وتزفر الحمم من أنوفها استعدادا لرحلة اليوم.

ولم تمض لحظات حتى فتحت «أورورا» أبواب الشرق القرمزية..
وعندئذ أمر «أبوللو» ولده بأن يثبت نفسه في مكانه من المركبة، ثم مسح وجهه بالدواء الوافي من الحرارة والوهج، ووضع على رأسه هالة الأشعة وهو يقول: «لا زالت أمامك الفرصة يا ولدي لتعدل عن رأيك، فالأمر جد خطير».

وكانت إجابة الفتى صرخة حمقاء أطلقتها في أذان الخيل وهو يهز أعتتها في قوة، فانطلقت المركبة كالسهم المارق في طريقها المرسوم.

وسارت الجياد، كما اعتادت أن تسير كل يوم، دون أن تحس أن في الأمر أي تغيير.. فقد كانت بداية الطريق مرحلة هيئة لا تحتاج إلى حزم القائد وإرشاده. ولكن ما إن بدأت وعورة الطريق، وتلمست الخيل حكمة القائد حتى انقلب الحال إلى غير ما كان عليه. فقد أحست الجياد بخفة

المركبة وعدم اتزان الزمام . . وبدلاً من أن يعمد الفتى إلى التقليل من سرعة الخيل، ترك لها العنان فاندفعت في انطلاق مجنون لا حاكم له ولا رابط، وفقدت المركبة اتزانها فمضت تتأرجح ذات اليمين وذات الشمال، تندفع إلى أعلى، وفجأة تسقط إلى أسفل. وتأزم الموقف، وأفلت الزمام تماماً من يدى «فايتون»، وامتلا قلبه رعباً، وخافته شجاعته، فاكتفى بأن أحكم قبضته على سياج المركبة. ولم يلبث أن راح في غيبوبة من شدة الرعب وهول الفزع.

ومضت الجياد في انطلاقها الجامح . . وكلما أحست باضطراب المركبة خلفها، اندفعت في سرعتها المجنونة. وبين ارتفاع المركبة وانخفاضها، وتمايلها يمينا وشمالاً . . كانت تصطدم بالجبال فتشتعل قممها ناراً وهماجة، وتزلزل الهواء فجفت مياه السحب، وتهاوت النجوم شواظاً محترقة، وهلك الزرع، واستحالت الأرض صحارى فقراء جرداء، وجفت مياه البحار والأنهار، وتعالَت في الجو صرخات الاستغاثة يطلقها الإنسان والنبات والحيوان!

وامتلا قلب ربة الأرض رعباً، فانطلقت على عجل إلى «زيوس» رب الأرباب تستحلفه وتتضرع إليه أن يرفع عنها هذا البلاء. وفزع «زيوس» وهو يرى من عليائه ذلك الفتى الأحمق يجري بالمركبة على غير هدى في فضاء اللانهاية. وخشى رب الأرباب أن يدمر طيش هذا المخلوق الصغير الكون، فدعا إليه الآلهة كلها، فهرعوا إليه ومن بينهم «أبوللو» رب الشمس الذي تخلى عن واجبه، وأخذوا جميعاً يفكرون في وسيلة لإنقاذ الكون. وعجز الجميع عن التفكير، ولم يجد «زيوس» بداً من أن يطلق أحد سهامه الصاعقة نحو الطائش الصغير الذي تثير صرخاته ثائرة الخيل فتندفع في انطلاقها.

واستقر سهم «زيوس» في صدر «فايتون» فسقط صريعاً على أرض المركبة، ولم يلبث أن سقط منها في الفضاء إلى نهر بادومس.

أما «أبوللو» فما كان في وسعه إلا الحزن على ولده، ثم انتظار وصول المركبة إلى قصر تيميس بعد أن تهدأ ثائرة الجياد . . ثم ليبدأ مع اليوم الجديد رحلته الجبارة الخالدة.

وابتدأت الشمس تشرق من جديد وتبدد ظلمات الكون، ويتوالى الشروق ثم الغروب وهكذا . . . لم تقف عجلة الزمن «ولم تقف الدنيا عند هذا الحد».



بريسيفوني

ولم يشأ جوبيتر أن يلتزم الحياذ بين أخيه وشقيقته الحزينة، فإذا هو يقضي بتقسيم العالم إلى قسمين متساويين حتى تستطيع الآلهة التي بسطت هيمنتها على عالم الحياة والموت أن تقضي مع أمها عددا من شهور العام مساويا لما تقضيه منها مع زوجها. وما أسرع ما تبدلت سيماء ديميترًا ومزاجها، وأشرق جبين الآلهة بريسيفوني وتألقت بالسعادة والحبور بعد أن كان معتما متجهما في عيني بلوتو نفسه، وكان الشمس التي حجبتها السحب الحليلى بمياه الأمطار حين تطل ظاهرة من بين الغيوم.

وكانت الآلهة ديميترًا ربة الأرض أعقل الآلهة جميعا: أم الأرض، وربة كل ما ينبت فيها من نبات، وما يدب على سطحها من حيوان - تعيش في أعماق هذا الوادي الجميل.

وكانت «ديميترًا» تسمح لابنتها الصغيرة الجميلة «بريسيفوني» بالخروج بضع ساعات كل يوم للعب في مروج الوادي العجيب. ولذلك لم يكن غريبا أن تخرج «بريسيفوني» في ذلك اليوم لتلعب مع صديقاتها من بنات حوريات الوادي وكن يجرين في مروح، وهن يضحكن ويعدون بأقدامهن العارية على الحشائش الرطبة اللينة. وصاحت «بريسيفوني» في صديقاتها خلال الضحك والمرح: هيا بنا نقطف الأزهار.

وفرحت الصغيرات ورحن يجمعن ما طاب لهن من زهور جميلة بين بنفسج وزنبق وسوسن أرجواني.

ولفتت الأصوات المرحية الضاحكة انتباه «بلوتو» إله العالم السفلي، حين كان مارا في مركبته الداكنة التي تجرها أربعة جياد في سواد الليل البهيم.

ونظر «بلوتو» إلى الصغيرات، فأعجبته تلك الصبية الضاحكة الحلوة، التي كانت تقفز هنا وهناك، في مروح لم ير مثله قط في عالمه المظلم المخيف.

وتوقف «بلوتو» واستغرق في دوامة هائلة من التفكير.. لقد تصور مملكته الكثيرة القاتمة، ومحاولاته الدائمة في البحث عن ربة ترضى أن تشاركه الجلوس على عرش العالم السفلي، وما كان يقابل به دائما من رفض الربيات كلهن الاستماع إلى توسلاته، فلم تقبل واحدة منهن الهبوط إلى عالم مظلم لا تشرق عليه الشمس، ولا تشدو في أجوائه الطيور.

وكان بلوتو - لشدة شوقه إلى ملكه تجلس بجواره، وبأسه وألمه من محاولات الحصول على بغيته عن طريق الاقتناع - قد قرر أن يستعمل القوة للوصول إلى تحقيق مرامه.

ورأى بلوتو - في هذه اللحظات بالذات، «بريسيفوني»، وأيقن أن جمالها الوضاء، وفتنتها الطاغية، هما القادران على بعث الحياة في مملكته الخاملة الكثيرة.. وهكذا قرر أن يختطفها.

أما «بريسيفوني» فلم تتبه إلى وجود غريب في مكان مرحها. وانطلقت في ضحكها ومرحها متقلة من زهرة إلى أخرى.

وفجأة.. لمحت «بريسيفوني» زهرة رائعة لنوع عجيب من النرجس، ملكت عليها حواسها، وأنسها كل ما عداها.

وقفزت الصبية إليها، ووقفت إلى جوارها، وراحت تتأملها في سرور وإعجاب. لقد كانت تختلف عن كل زهرة رأتها من قبل، وكانت ساق الزهرة تحمل ما لا يقل عن مائة نورة، أما شذاها فقد ملأ أريجها العطر أرجاء الوادي، وانتشرت على قمة الجبل.

ونادت «بريسيفوني» رفيقاتها ليشهدن معها جمال الزهرة العجيبة، إلا أنهم لم يسمعتها، فقد كن ابتعدن عنها كثيرا في عدوهم بين المروج.

واندفعت «برسيفوني» لتطوف الزهرة، وأمسكت بعودها فأحست كأنه حية رقطاء تتلوى بين أصابعها.. وحاولت أن تكسر العود، فلم تتمكن، ولم تجد وسيلة إلا أن تقلعه من جذوره. ومالت على الشجيرة تقتلها، فأحست بالتربة السوداء تلين فسيحة، ويخرج منها أربعة جياذ سود، تجر مركبة داكنة، يجلس فيها ملك متوج، لم يسبق لميني برسيفوني أن رأت مثله على ظهر الأرض.

وارتعزت الصبية مذعورة، إلا أن «بلوتو» كان قد قرر أن يأخذها عنوة.. فلم يترك لها الفرصة لتسترد أنفامها اللاهثة، فانقض عليها، ورفعا بين يديه وأجلسها بجانبه، ثم ألهب ظهور جياذه، فانطلقت تسابق الريح.

ظل «بلوتو» ينهب الأرض بمركبته، والقلق يملأ قلبه خشية أن تلاحقه «ديميترا»، فسترد ابتها الحبيبة. ولم يحاول أن يتوقف قليلاً ليريح الجياذ.. بل كان كلما تباطأت، أو غيل إليه أن سرعتها قلّت عن ذي قبل، انهال عليها بسوطه في قسوة، فاندفعت والزبد من أشداقها.

وبلغ بلوتو آخر الأمر نهر «سيان»، فوجد أمواجه صاخبة مرغية مزيدة، تقطع عليه طريق الهرب.. وأصبح محاصراً لا يمكنه أن يتقدم إلى الأمام، ولا يجرؤ على أن يعود إلى الخلف.

ثم تذكر رمحه المقدس ذا الشعبين، فتناوله ورفعاه إلى أعلى، وضرب به الأرض ضربة قوية، فانشقت عن هوة واسعة ممهدة.. انحدر إليها بعربه وجياذه وأسيرته، وراح يخترق أعماق الأرض حتى بلغ مملكته في عالم الموتى.

أما «ديميترا»، فقد كانت تشرف على الحصاد في بلد آخر بعيد عن وادي «أنا».. إلا أن صرخات «برسيفوني» التعمسة سكّت - على بعد الشقة - سمعها، فاندفعت إلى الوادي صارخة مولولة تنادي ابتها، ولكنها لم تسمع لنداءاتها رداً سوى رجع الصدى!

وامتلاً قلب «ديميترا» أسى ولوعة، وراحت تلزع الوادي طولا وعرضا باحثة عن ابتها.. تنديها وتبكيها في حرقة ولوعة، وقد يئست تماماً من العثور عليها.

ونادت «الربة» رسولها الخاص.. طائر الكركي الأبيض، الذي يجلس الأمطار.. وأمرته بالبحث عن ابتها. ودار الطائر حول العالم دورة سريعة، جاب فيها الأفقار، وعاد إلى ربه بلا خبر.

ومضت الأيام، ولم تعد «برسيفوني» وصعدت «ديميترا» إلى قمة جبل «إتنا»، ثم راحت تقطع القيافي والقفار، وتطوف مشارق الأرض ومغاربها.. تتسلق المرتفعات، وتهبط الوديان، وقد ولى صباها، وانحنى ظهرها لثقل ما تنوء به من همٍّ على فقدان ابتها.

وكانت «ديميترا» تخرق، ذات يوم، صحراء جرداء قاحلة، فاشتد بها العطش وأدركها الإعياء فسقطت على الرمال.. وما كادت تنهض حتى تعثرت وسقطت، واحست ببودار الهلاك تدب في جسدها، وراحت في غيبوبة طويلة.

وفتحت «ديميترا» عينيها، فوجدت إلى جوارها «هيكيت» حاملة في يدها مصباحها، وتبدو كمن تبحث عن شيء.. وقدمت إناء ممتلئاً إلى «ديميترا» فشربته إلى آخر قطرة. ثم سألتها عن قصتها، فحكّت لها «ديميترا» قصة ابتها. وأخبرتها «هيكيت» أنها سمعت هذا الصراخ، مصحوباً بصوت عجلات رهيبة، ونصحتها بأن تلجأ إلى «ابوللو» إله الشمس.. فهو الوحيد الذي يمكنه أن يذلها على مكان ابتها.

وانطلقت «ديميترا» إلى رب الشمس ضارعه متوسلة وكان «ابوللو» جالساً في مركبته، لاستئناف رحلة كل يوم عبر السماء. وعندما سمع توسلاتها، أوقف جياذه النارية، وأخبرها أن «بلوتو» رب العالم السفلي هو الذي خطف ابتها، وأخذها لتقيم معه في الأعماق المظلمة! وعندما عرفت «ديميترا» حقيقة الأمر، أدركت أن ابتها لن تعود. فنضت

عنها ثياب الآلهة، وقررت أن تعيش على الأرض متكررة في زي عجوز حطمتها السنون.

وعاشت «ديميترا» على الأرض تجوب أرجاءها آناء الليل وأطراف النهار دون أن يعرفها أحد.. إلى أن وصلت، ذات يوم، إلى «اليوس» معجدة قد نال منها الإعياء والتعب.. وأخذت تتجول في شوارع المدينة، حتى وجدت نفسها داخل حديقة جميلة، فاستندت إلى سياج رخامي يحيط بنافورة تتوسط الحديقة.

وشاهدت «ديميترا» بعد برهة أربع فتيات في سن ابنتها يمرحن في الحديقة.. وتصورت «برسيفوني» الضاحكة، وكيف كانت تمرح فأنحدرت على خديها خيوط متصلة من الدموع.. وانتهت الصبيات إلى العجوز الباكية، فاقتربن منها، والتفنن حولها وأخذن يسألنها عن سر بكائها وحزنها.

فأجابت بأن لصوصا اختطفوها من بين أهلها، ولكنها تمكنت من الهرب منهم، وظلت تجري حتى وجدت نفسها في هذا المكان، ولم تعد تعرف مكانا تأوي إليه.

وتركتها الفتيات الصغيرات بعد أن استأذن منها وانطلقن إلى قصر أمهن الملكة «ميثانيرا»، وأخذن يحدثنها عن العجوز الطيبة، وطلبن منها أن تدعوهن إلى القصر.. واستجابت الملكة لفتياتها الصغيرات، وأذنت لهن باستدعاء العجوز.

ودخلت «ديميترا» القصر، فأكرمت «ميثانيرا» وفادتها، وجلست تتجاذب معها الحديث. وعرفت «ديميترا» من ثنايا الحديث، أن ابن الملكة الصغير يعاني مرضا عضالا، حار في علاجه الأطباء.. وطلبت «ديميترا» أن ترى الطفل، فقادتھا الملكة إلى فراشه، فنظرت العجوز إليه، وقالت لأمه إن علاجه سهل عليها، وإن في إمكانها إنقاذه، وإن كان في حاجة إلى عناية فائقة حتى ينجو من الخطر.

واستعطفت الملكة ضيفتها العجوز أن تبقى معها، وأن ترعى الطفل.. فقبلت ديميترا، وطلبت أن تخصص لها حجرة تقيم فيها مع الطفل حتى تتمكن من علاجه.

ومرت الأيام.. وصحة الصغير تتقدم يوما عن يوم حتى تم له الشفاء. ثم مرت الشهور، والطفل ينمو، ويزداد تعلقه بالعجوز التي لم تعد تطيق فراقه لحظات.. بيد أنها خلال ذلك لم تكن لتنسى ابنتها الغائبة «برسيفوني»، فكانت متى هبط الليل، وأغلقت عليها حجرتها، تبكي بكاء مرا حتى يغلبها النوم على أمرها.

وكانت الغرفة التي تقيم فيها «ديميترا»، متى جاء الهزيع الأخير من الليل، تضاء كأن نور الشمس يسقط فيها، وتنبعث من جسمها نار ذات لهب، فتنهض من فراشها، تمسك بالطفل بين يديها، وتغمره في تلك النار المقدسة.. والطفل يضحك، ويضرب برجليه في الهواء.. ثم تخذم النار بفتة، وتظلم الحجرة، فتعود «ديميترا» إلى فراشها ويجانبها الطفل.

ولم يكن أحد يدري سر ما يحدث، حتى سرت إشاعات في القصر بأن العجوز تشعل النيران في حجرتها، وأنها تحاول إلقاء الطفل فيها. وأسرت بعض الوصيفات، ممن تجسسن على العجوز، الأمر إلى الملكة.. فامتلا قلبها رعبا، ونهضت في الوقت الذي حدثته الوصيفات، وأطلت من ثقب باب حجرة العجوز، فرأت نورا يهر البصر. ولم تطق الأم صبرا، فدفعت الباب بقوة فافتتح على مصراعيه، فإذا النار تملأ الغرفة وتندلع ألسنتها من جسم العجوز، وإذا بتاج من النيران يتعقد فوق رأسها، والطفل في أعماق اللهب.

وصرخت الأم مذعورة. وفي لمح البصر تبدل كل شيء.. خمدت النيران، وأظلمت الغرفة إلا من الضوء الباهت المنبعث من المشعل الضئيل. وأطلت الأم فرأت طفلها نائما نوما عميقا في فراشه. أما «ديميترا» فكانت واقفة والشرر يتطاير من عينيها، وأسرعت الأم إلى طفلها

تحتضنه .. وتكلمت ديميترا في صوت رهيب: أيتها الأم.. لقد حرمت
ولذلك نعمة الخلود بجعلك وتسرعك!

وأدركت الملكة أن ضيقها ليست إلا إحدى الربات الخالدات، فجلت
على ركبتيها متوسلة: عفوك يا مولاتي.. لقد رأيك تلقين بابني في النار،
فلم أتمالك نفسي.

وأجابت «ديميترا»: لقد جاهدت طوال هذه الشهور لكي تبيد النار
المقدسة عناصر الفناء في جسم ولدك فيمنح الخلود، وكادت جهودي تكفل
بالنجاح لولا تدخلك.

وبكت الأم في أسى، وتحرك قلب «ديميترا» شفقة، فابتسمت قائلة:
حسنا.. لئن كان ابنك قد حرم الخلود.. إلا أن الآلهة ستبهبه ذكاء نادرا،
وقوة خارقة.. وسيكون طويل العمر، محبوبا من الناس جميعا.

ولم يكن أمام «ديميترا» إلا الرحيل، بعد أن افتضح تنكرها، واضطرت
إلى الظهور في زيها المقدس.. إلا أنها قبل أن تمضي وعدت بالعودة إلى
المدينة إذا أقيم فيها معبد تقدم فيه القرابين.

ولم تمض أشهر قلائل، حتى كان أهل «اليوسس» قد أقاموا معبدا عظيما
للآلهة «ديميترا».. وما هي إلا أيام، حتى عادت الربة لتقيم في معبدها
الخاص.. وقد عقدت العزم على اعتزال جميع الآلهة إلى أن تعود إليها
«بريسفوني».

ومرت الأيام.. وكانت «ديميترا» قد أهملت الحب في الأرض، فلم
يعد ينمو فيها نبات ولا زرع، ونذر القمح حتى خلت منه الطواحين،
وجفت الحشائش، وتجردت الأشجار من أوراقها، ورحلت الطيور عن
الأرض، وهزلت الماشية وبدأت معالم الحياة تختفي رويدا رويدا على
ظهر الأرض.

وارتفعت صرخات الإنسان والحيوان، متوسلة إلى «زيوس»، رب
الأرباب، أن يتدارك الكون بحكمته قبل أن يحل به الخراب.

وأطل «زيوس» من عليائه فوق قمة الأولمب، فرأى الأرض يخيم عليها
شبح الفناء، وأدرك أن الآلهة غضبي لحرمانها من القرابين التي كانت
تقدمها «ديميترا».

واستدعى زيوس الربة «ايريس» وحملها رسالة إلى «ديميترا» أن تعود إلى
الأرض.. ولكن «ايريس» عادت باكيا بكاء مرا.. فقد أثار حزنها منظر ربة
الأرض في نحيبها الشقي على ابنتها الحبيبة «بريسفوني».

وأرسل «زيوس» الآلهة واحدا واحدا.. إلا أنهم فشلوا جميعا في إقناع
ربة الأرض بالعودة إلى مكانها، وعادوا إلى «زيوس» بجرون أذبال الفشل.

ولم يجد «زيوس» بدا من أن يرسل رسوله «هرمز» إلى مملكة «بلوتو»
لاقتناعه باعادة «بريسفوني» إلى أمها.. إلا أن الإله الكتيب، لم يكذب
«هرمز» حتى سخر منه، وأبى أن يرد «بريسفوني».

أما هي فلم تكذب ترى رسول رب الأرباب، حتى استخفها الطرب، وطار
لها شوقا إلى أمها، فوثبت من فوق العرش!

وهنا وجد «بلوتو» نفسه مضطرا إلى القبول، فأمر بإعداد مركبته ذات
الجياذ السود، لكي تنقل «بريسفوني» إلى الأرض إلى أمها الحبيبة.. إلى
الشمس والنور والحياة.



مراجع البحث

- الإلياذة - هوميروس، أمين سلامة
 الاوديسة - هوميروس، أمين سلامة
 الاوديسة - هوميروس، دريني خشبة
 فن الهوى - أوفيد، ثروت عكاشة
 مسخ الكائنات - أوفيد، ثروت عكاشة
 أساطير اليونان - محمد صقر، خفاجة، وعبد اللطيف أحمد علي
 ساحر الدلافين، أمين سلامة
 أساطير الغرب، سليمان مظهر
 الإنياذة - فرجيل، عبدة الخالدي
 أساطير في الفن والحب والجمال، أمين الصيرفي
 أساطير إغريقية، د. عبد المعطي شعراوي
 الإغريق بين الأسطورة والإبداع، د. ثروت عكاشة
 الأساطير، د. أحمد كمال ذكي.



الفهرس

- همنة حب 5
 نشأة الأسطورة الأغريقية 6
 قالوا في الاساطير 7
 الخيانة والوفاء في الأسطورة الاغريقية 10
 رأي علماء النفس في الاسطورة 12
 ملحمة الخلق 14
 الحضارة الاغريقية والأسطورة 16
 الأسطورة 18
 خلق الإنسان وخلق المرأة 20
 «بندورا» .. المرأة 21
 آلهة الفن «المرأة في الأسطورة» 22
 عرائس الفنون 22
 الفن والأسطورة (صراع ديونيزوس وأبوللو) 26
 اسطورة المرأة 28
 زيوس 33
 زيوس 34
 هيرا 45
 هرميس (اللس الصغير) 49
 بوسيدون (اله البحر) 59

240	بريسيس
245	عودة بريسي
247	أبوللو
260	برسيثوني
268	مراجع البحث
269	الفهرس

66	حواء والتفاحة الذهبية
71	لقاء العمالقة
81	الحرب من أجل هيلين الجميلة
96	هستيا (فستا)
99	أريس (مارس)
102	أرتيميس (ديانا)
105	بيجماليون
106	بيجماليون
109	خيانة زوجة مينوس البشعة
116	ميديا البحث عن القروة الذهبية
136	سقوط طروادة
145	مغامرات أوديسيوس
160	فينوس إلهة الحب والجمال
161	أفروديتي إلهة الحب والجمال والخصب والتناسل عند الاغريق
172	أنياس وديدو
172	يقول فرجيل
176	ديدو
191	سيبيل
205	نيزوس وأوربيلوس
212	سيكي
228	أثينة إلهة الحرب
233	ناركيسوس عاشق نفسه



زيوس كبير الآلهة (صفحة 33-44)



هرميس ابن زيوس. (صفحة 49-58)



هيرا زوجة زيوس. (صفحة 45-48)



هياين الجميلة (صفحة 81-95)



پوسيدون - إله البحر (صفحة 59-65)



أرتميس. (ديانا). ربة الصيد. (صفحة 102-104)



أريس. (مارس) إله الحرب ابن زيوس. وهيرا. (صفحة 99-101)



تازده، پيوارع، المينوثور. (صفحة 109-115)



أرتيميس (ديانا) الجميلة، شقيقة أبولو (صفحة 102-104)



أفروديتي، إلهة الحب والجمال (صفحة 160-171)



حصان مطروادة الخشبي (صفحة 136-144)



سينيل. (صفحة 191-204)



أنياس وديو. (صفحة 172-190)



أبوللو. إله الشمس (ابن زيوس) (صفحة 247-259)



أثينا. إلهة الحرب (صفحة 228-232)



إختلاف برميثوني. (صفحة 260-267)